

مش
تर्फ

رؤى

مقاطعة



تجارب في تحويل الصحافة
الثقافية إلى إنتاج فني مناصر

2026



جميع الحقوق الفكرية لهذا الكتاب تعود لمؤسسة
حزرموت للثقافة، وأي نسخ أو استخدام للمحتوى يتطلب
موافقة خطية من المؤسسة



المحتويات

- 01 عن المشروع
- 02 عن المؤسسة

04 مقالات الفن التشكيلي

- 05 الألعاب الشعبية في مدينة المكلا
- 09 لماذا يعد إشراك المرأة اليمنية قاعدة أساسية لا استثناء؟
- 14 اجعلوا البساطة طريق الفرحة المستدام
- 19 ظاهرة التنازع على الميراث في وادي حضرموت وسبل المعالجة
- 22 أهمية مدونة السلوك كعرف مجتمعي أثناء الانفلات الأمني
- 26 أصواتٌ منسيّة في مدينة الثقافة
- 31 إقصاء المهمّشين من المشاركة الثقافية والفنية بالمسلسلات اليمنية
- 35 الانقسامات المناطقية وتداعياتها على التماسك المجتمعي في تعز
- 40 الأهازيج الرمضانية
- 45 الدان الحضرمي في تريم
- 50 التراث من الذاكرة إلى الممارسة
- 54 الصالون الأدبي في حضرموت... منصة ثقافية لنقل التراث وتعزيز التماسك المجتمعي
- 58 الصيغة بين القديم والجديد، موروث يساهم في التماسك المجتمعي
- 63 الفن العدني... حين تتحوّل الأغنية إلى جسرٍ للسلام



المحتويات

- 68 _____ الفنون تهزم تداعيات الحرب وتنتصر لاقتصاد المرأة في عدن
- 72 _____ المهاجل الزراعية أداة للصالح المجتمعي
- 76 _____ بالفن يمكن تعافي الأطفال بعد النزاع
- 80 _____ بطالة الخريجين في اليمن
- 84 _____ تحديات القاهرة تواجه الفئات الهشة في تعز
- 87 _____ تعز التي فرقتها الحرب... كيف تحاول الدراما إنتاج مساحات مشتركة
- 90 _____ تعز بين تعليم جاف وثقافة غائبة: هل يمكن استعادة المدرسة كفضاء للحياة؟
- 95 _____ تعز عاصمة الثقافة في مواجهة النزوح وتآكل النسيج المجتمعي
- 101 _____ حين تنكمش المدينة ويتسع خطاب الكراهية: عدن من سيارة وزور إلى أسئلة الهوية
- 105 _____ خارج أبواب الصراع، تمكين المرأة بين التقاليد والتنمية
- 110 _____ رحلة الزامل اليمني من موروث القبيلة إلى أداة للاستقطاب السياسي
- 115 _____ صرخة من المستقبل.. الجهل ينشر رداءه في عدن
- 119 _____ عبد الرحيم مشاقر.. الفن ومقاومة التهميش
- 124 _____ عدن.. حين كان الفن لغة السلام والموسيقى صوت المجتمع
- 129 _____ عذنة العمل الإنساني بروح الأربطة لإيواء مشرّدي اليوم
- 134 _____ غيبة القارئ: كيف تموت الذاكرة؟
- 139 _____ قضايا الميراث... شرخ في ذاكرة المجتمع



المحتويات

- 143 كيف تنقذ الواجهة الاجتماعية السلم المجتمعي في حضرموت _____
- 146 كيف كانت البيوت تتواصل عبر النوافذ؟ _____
- 150 كيف نحمي الناجيات من سياط الكيورد والمحاكمات الشعبية؟ _____
- 154 كيف نستعيد الانتماء في زمن الحرب؟ _____
- 159 كيف يكون الإعلام بحضرموت مساهمًا في التعايش السلمي ونبذ خطاب الكراهية _____
- 164 مسرح الدُمي في عدن: جسْر للسلام _____
- 168 من أجل تعزيز الصورة الإيجابية للمرأة في الأمثال الشعبية اليمنية _____
- 174 هل بإمكان الفنون والإبداع أن تحمي المجتمع من التفكك؟ _____
- 179 هل ستظل كلماتنا حية إذا توقفنا عن نطقها _____
- 184 هل يمكن للदान أن يكون وسيلة للحوار؟ _____
- 188 وقف سقايات الماء في تريم بين الأصالة والحداثة _____
- 191 التشاهير في تريم.. تقليد رمضاني يحفظ دماء العلاقات _____
- 196 حضرموت تحمي ذهبها مبادرات مجتمعية لإنقاذ عسل السدر _____

202

الصور الفوتوغرافية

- 203 "الإعانة" خيط الموروث الذي لمّ شتات الريف في زمن الحرب _____
- 207 "وا ذي السواقي" أغنية تجسّد الارتباط بالأرض وتعزز التعايش اليمني _____
- 211 إبداع الصمت: أناملُ تقطرُ فنًا، وصرخةُ جمالٍ لا تحتاج إلى حنجرة _____
- إرث علاجي قديم، يفتح أبوابًا جديدة للمستقبل



المحتويات

- 215 إرث علاجي قديم، يفتح أبواباً جديدة للمستقبل
- 219 اكسروا صورته النمطية، المقهى الشعبي حيث يلتقي الشاي بالمعرفة
- 223 البرع في الحُجْرية: من رقصة احتفالية إلى جسر للتكافل الاجتماعي
- 226 الشائعات تأكل الحقيقة في حضرموت
- 230 الشعر الشعبي في حضرموت لسان المجتمع وصوت السلام
- 234 العوادات كعادة ثقافية لمواجهة عزلة الأجيال وتعزيز التماسك في المجتمع الحضرمي
- 238 العيد من عزلة الشاشات إلى دفء اللقاء
- 243 المنتديات والأنشطة الثقافية في تعز ترّم فوضى الحرب
- 249 دمج النازحين ثقافياً، خطوة ضرورية نحو التماسك المجتمعي
- 254 زفة أيوب... أغنية تعزّز التعايش والسلام في تعز
- 258 شاشة عدن... حين كانت السينما تجمع المدينة
- 262 على إيقاع واحد في أبين: ثقافتنا طريقنا للتماسك والسلام
- 268 عندما أدرك المواطنون أن حيّهم جزء منهم
- 272 مبادرة شبابية تعير المعدات الطبية مجاناً للمرضى والمقعدين
- 275 من طريق الرجوعية إلى الأزمة الإنسانية.. عندما يصنع الترابط المجتمعي الفارق
- 279 من عدن إلى جبال الحُجْرية.. حين صنعت الحرب ما عجز عنه السلم من تمازج
- 284 موسم الجماعة... ما خلده الحصاد من سلام القرى



المحتويات

عقّال الحارات وجهودهم التطوعية في إصلاح ذات البين وحل المشكلات في المجتمع _ 289

294

كوميكس

295 _____ صحة ضمير. مبادرة أعادت لسينون سمعتها

310 _____ المحازي الحضرية وتأثيرها على الأطفال

322 _____ نساء تعز.. سلام يُصنع بصمت

332 _____ وادي وصحراء حضرموت نموذج راسخ للتضامن والتعايش السلمي



توظيف الشباب من خلال التراث والثقافة في اليمن المناصرة الثقافية لتعزيز التماسك الاجتماعي وبناء السلام

يأتي مشروع "توظيف الشباب من خلال التراث والثقافة في اليمن - المناصرة الثقافية" انطلاقاً من الإيمان بدور الثقافة والفنون في تعزيز الحوار المجتمعي وصناعة السلام في اليمن. ويسعى المشروع إلى تمكين الشباب والشابات، الصحفيين والصحفيات، والفنانين والفنانات، وصنّاع وصانعات المحتوى من توظيف السرد والإنتاج الثقافي كأدواتٍ للتأثير الإيجابي والتعبير عن القضايا الإنسانية والاجتماعية، عبر برامج تدريبية وإنتاجات إبداعية وأنشطة ثقافية تُسهم في تعزيز التماسك المجتمعي، وتوسيع مساحات التعبير، وترسيخ ثقافة الحوار والتفاهم المشترك.



حزرموت للثقافة مؤسسة ثقافية تُعنى بتنمية الوعي الثقافي والأدبي والفني، ودعم المبدعين والمبدعات، وتمكين الشباب والشابات، وتعزيز حضور الثقافة في المجتمع بوصفها أداة للتنمية والحوار والتغيير الإيجابي. تعمل المؤسسة على تنفيذ المبادرات والبرامج الثقافية والإبداعية التي تجمع بين الفن والإعلام والمعرفة، وتسعى إلى بناء بيئة ثقافية أكثر تأثيرًا واتساعًا في حضرموت واليمن عمومًا.



ضمن مشروع "توظيف الشباب من خلال التراث والثقافة في اليمن - المناصرة الثقافية"، أنجز برنامج تدريبي استهدف 130 صحفيًا وصحفية، وصانعًا وصانعة محتوى من عدن، والمكلا، وسيئون، وتعز، في مجالات المناصرة الثقافية، والإعلام الحساس للنزاع، وإنتاج المحتوى الثقافي. وعمل المشاركون والمشاركات على تطوير أعمال صحفية وفنية تعبّر عن قضايا المجتمع والهوية والسلام، بإشراف مختصين وخبراء في المجال. ويضم هذا الكتاب 70 مقالة صحفية، يرافقها 70 عملًا فنيًا يتوزع بين الرسم التشكيلي، والتصوير الفوتوغرافي، والكوميكس، لتلتقي الكلمة بالفن في تجربة ثقافية تحتفي بتعدد أشكال التعبير، وتفتح آفاقًا للتأمل والحوار.

الفن التشكيلي



الألعاب الشعبية في مدينة المكلا

مدرسة القيم في مواجهة العزلة الرقمية

أشرف فاضل

تُعد الألعاب الشعبية التقليدية في موروثننا الثقافي واحدة من أعمق التجليات الإنسانية التي صمدت عبر العصور. إرثٌ حي يتناقله الأجيال كابراً عن كابر. لقد صاغ الأجداد هذه الألعاب من بيئتهم البسيطة لتكون بمثابة التكوين الاجتماعي الأول للطفل، ومنها يتعلم أبجديات الحياة قبل أن يواجه معتركها الحقيقي. واليوم وفي ظل الزحف التكنولوجي الهائل، الذي تحاول فيه الألعاب الرقمية الهيمنة على عقول الأطفال، واستبدال الساحات بالشاشات، تبرز الألعاب الشعبية كأحد دوافع الحفاظ على الحيوية الاجتماعية والتماسك الاجتماعي لدى الأطفال.

إن الجوهر الحقيقي للألعاب الشعبية يكمن في طبيعتها الجماعية التي ترفض الفردية والانطواء. فبينما تدفع الألعاب الرقمية الطفل نحو زاوية معزولة في الغرفة ليتفاعل مع كائنات افتراضية، تعيد الألعاب الشعبية الطفل إلى الساحة ليتفاعل مع بشر. وهذا التفاعل المباشر ينمي أواصر اجتماعية قوية منذ الصغر، حيث يتعلم المشارك كيف ينسجم مع الفريق، وكيف يضحى بمصلحته الفردية من أجل فوز المجموعة. إنها عملية صهر للشخصية في بوتقة المجتمع، مما يساهم في تقوية مدارك الفرد ويجعله يتعلم فنون التكيف التي تعد حجر الزاوية في التوازن النفسي والاجتماعي.

وتمثل لعبة (خط طويل) في مدينة المكلا، نموذجاً مثالياً للتخطيط الاستراتيجي والتعاون الجماعي. عندما يجتمع الأطفال ليفترشوا الأرض ويرسموا خطوطهم، فإنهم يبنون عالماً من القواعد الصارمة والمنافسة الشريفة. النظام المتبع في تقسيم اللاعبين إلى مجموعتين (مدافع ومهاجم) يغرس في نفوس الناشئة مفهوم الأدوار المتكاملة. فالفوز يتحقق بتناغم الفريق ككل. هذه اللعبة تحاكي جمالية العمل المشترك، حيث يسود الود والمحبة في صورة جماعية تعزز من الوعي الثقافي والذكاء الميداني. إنها مدرسة لتعليم الصبر والمناورة، وهي قيم تفتقر إليها الألعاب الرقمية التي تعتمد غالباً على ردود الفعل الميكانيكية السريعة بدلاً من التخطيط البشري

المشترك.

وتأتي لعبة (تركيز القصاع) لتضيف بعداً آخر للحياة الاجتماعية، وهو التطوع من أجل الجماعة. التفاعل الكثيف الذي تشهده هذه اللعبة، بين فريق يضرب وفريق يحمي، يخلق حالة من النشاط البدني والذهني المتصل. هنا، يبرز التكافل الاجتماعي في أبهى صوره. فكل فرد في الفريق المدافع يشعر بمسؤولية حماية (القصاع) - وهي عبارة عن علب معدنية في الأغلب - وكأنها جزء من كيانه الشخصي. هذا النوع من الألعاب ينمي روح المبادرة والشعور بالانتماء، ويحول المنافسة إلى أداة لتمتين الأواصر الإنسانية. إن الشجاعة المطلوبة في مواجهة الضربات والتكاتف لاستعادة التوازن يعكسان بوضوح كيف يمكن للموروث الشعبي أن يبني جيلاً يؤمن بقوة العمل الجماعي في مواجهة الأزمات.

في المقابل، توفر ألعاب مثل (القصعة مكرورة) مساحة لتطوير الشجاعة الفردية والذكاء الاستراتيجي في آن واحد. تبدأ اللعبة بالقرعة، وهي وسيلة عادلة لتعليم الطفل تقبل النصيب والمسؤولية. الحارس الذي يقف وحيداً لحماية القصعة يواجه تحدياً يختبر يقظته وحرصه، بينما يتعلم المختبئون فنون الاختفاء والمباغتة. هذه اللعبة تعلم الأطفال حب المغامرة والبحث عن الجاني دون طلب مساندة، مما يعزز من مفهوم الاعتماد على الذات في سياق جماعي. إنها تدريبات عملية على التفكير الإبداعي والسعي لإيجاد الحلول تحت ضغط المنافسة، وهي مهارات حياتية لا تقدر بثمن في بناء شخصية قيادية ومستقلة.

وتمتد الألعاب الشعبية لتشمل الدقة في التركيز، كما يظهر في (لعبة الكرة) التي تُمارس باليد فقط. القواعد البسيطة لهذه اللعبة، هي استبعاد من تلمس الكرة قدمه. هذه اللعبة تفرض على اللاعبين مستوىً عالياً من اليقظة الذهنية والتحكم الحركي. الفائز في هذه اللعبة هو الأكثر قدرة على التوقع واصطياد أخطاء الخصم بذكاء وهدوء. هذا النوع من الممارسة يطور مهارات التركيز الدقيق ويقلل من مخاوف الخسارة، حيث يتحول الموت في اللعبة إلى درس في التعلم من الأخطاء والانتظار بصبر لجولة جديدة. إنها عملية صقل للذهن تجعل الطفل أكثر وعياً بحركاته وقراراته اللحظية.

وتجسد لعبة (رمي الجلة) التكامل بين الأدوات البسيطة من البيئة (عصا، لوحة، حجارة) وبين المهارة اليدوية الفائقة. انقسام المشاركين إلى مجموعتين يحرص كل منهما على إصابة الهدف أو حماية النفس يخلق حلقة من الترابط القوي والتركيز المكثف. إن الحاجة لإصابة اللوحة الخشبية الصغيرة تتطلب تنسيقاً بين العين واليد لا توفره الشاشات المسطحة. هذه اللعبة تساهم في خلق روح المشاركة الشريفة،

وتؤصل في نفوس الشباب أهمية الحفاظ على المكونات البيئية وتوظيفها في الإبداع واللعب. إنها دعوة للعودة إلى الطبيعة واستخدام الحواس الخمس في التفاعل مع الواقع المادي بدلاً من الانغماس الكلي في الافتراض.

ورغم الهجوم الكاسح للألعاب الرقمية وسيطرتها على وقت الجيل الجديد بفعل سرعة الإنترنت، إلا أن الوعي الثقافي يفرض علينا البحث عن نقطة توازن. لا يمكننا عزل الأطفال عن عصرهم، لكن يمكننا توظيف التكنولوجيا لتكون مكملة لا بديلة. إن الألعاب الرقمية حين تُستخدم حسب الطلب وبشكل مدروس يمكن أن تنمي مهارات تقنية، ولكنها تظل قاصرة عن توفير التفاعل الإنساني الحي الذي تقدمه الساحة الشعبية. والهدف هو خلق حلقة ترابط تضمن مواكبة العصر الحديث مع تقوية الروابط الاجتماعية الأصيلة، لضمان بناء أجيال منفتحة تمتلك مهارات الغد دون أن تفقد جذور الأمس.

تظل الألعاب الشعبية مختبر اجتماعي ومخزن للقيم الإنسانية التي صاغتها فطرة الأجداد لتشذيب الروح وتقوية الجسد. وبينما تفرض الثورة الرقمية إيقاعها السريع وتحدياتها التي قد تفضي إلى العزلة، يبقى موروثنا الشعبي بمثابة طوق النجاة الذي يعيد للطفولة حيويتها، وللمجتمع تماسكه. إن استحضار هذه الألعاب استثمار ذكي في مستقبل جيل يحتاج إلى الذكاء الميداني بقدر حاجته للذكاء الاصطناعي. إن الرهان الحقيقي اليوم يكمن في قدرتنا على غرس هذه الأنماط الحركية والقيمية في وجدان الناشئة، لنضمن لهم نمواً متوازناً يجمع بين براعة التقنية ودفع التواصل الإنساني، محولين بذلك الساحات إلى مدارس للقيم، والشاشات إلى أدوات للتطور، دون أن تطغى إحدهما على جوهر الأخرى.

الألعاب الشعبية في مدينة المكلا



حفصة بن هامل



لماذا يعد إشراك المرأة اليمنية قاعدة أساسية لا استثناء؟

إيناس بارجاش

في مجتمع يحاول أن يمشي بساق واحدة ويصق بكف، تبدو خطواته مثقلة بالتعثر، وصوته خافتاً لا يبلغ مداه. فنهضة الأوطان لا تُبنى بنصف طاقتها، ولا يكتمل حضورها في العالم ما دامت تُقصي نصف مجتمعها عن دوائر الفعل والتأثير. وفي اليمن، حيث تتكاثر التحديات وتتعاظم الحاجة إلى كل جهدٍ مخلص، ظلّ حضور المرأة في المشهد الثقافي والاجتماعي أقرب إلى الاستثناء، رغم ما تختزنه من كفاءة وطموح وقدرة على الإسهام. والعودة إلى التاريخ تكشف أن المرأة لم تكن غائبة تماماً عن المجال العام، غير أن صوتها لم يُمنح المساحة التي تعكس قيمته الحقيقية. ومن هنا تنبع الإشكالية: فالتنمية والاستقرار لا يتحققان بجهدٍ أحادي، بل يتطلبان اعترافاً صريحاً بإسهامات النساء في مختلف المجالات، وإشراكاً فعلياً لهن في مواقع صنع القرار. لقد أثبتت تجارب دول عديدة أنّ تمكين المرأة ركيزة أساسية لإحداث تحول ملموس في مسارات التنمية وبناء مجتمعات أكثر توازناً وعدالة.

وتعد رواندا مثلاً دالاً على أنّ إشراك المرأة ضرورة تنموية حاسمة. فبعد الإبادة الجماعية التي تعرضت لها عام 1994م خلق النزاع فجوة ديموغرافية هائلة في سوق العمل ومواقع القيادة وصنع القرار، فملأت النساء هذه الفجوة؛ مما أدى إلى نتائج عظيمة انعكست على اقتصاد الدولة كان أبرزها انخفاض نسبة الفقر بـ 18 نقطة مئوية ونمو اقتصادي سنوي بنسبة 7.٪، وارتفاع دخل الفرد من 188 دولار إلى 1070 دولار في 2024. لقد كان هذا التحول أثراً مباشراً لتحول النساء من فرد هامشي إلى قائد في صناعة القرار.

لقد فرضت ظروف الإبادة على المجتمع الرواندي إعادة النظر في أدوار أفرادها، فأصبح إشراك المرأة خياراً وجودياً، في حين لا تزال بعض المجتمعات ترفض هذا الإشراك رغم حاجتها إليه. وفي ظل المألآت التي انتهت إليها الأوضاع في اليمن من

تراجع سياسي واقتصادي واجتماعي، تبرز الحاجة إلى استدعاء طاقات النساء وأصواتهن بوصفهن شريكات في التعافي وإعادة البناء؛ فكما نهضت رواندا من ركام أزمتها عبر توسيع دائرة المشاركة، يمكن لليمن أن يستعيد عافيته حين يُفسح المجال لنصفه الآخر ليكون جزءاً أصيلاً من مشروع النهوض.

إنّ التحول الحقيقي في تمكين المرأة يُقاس بمدى ترجمته إلى سياسات وتشريعات تحمي حضورها وتدعمه. فقد امتد ذلك النموذج الذي أشرنا إليه سابقاً في رواندا إلى تعديل الأطر الدستورية والنقابية، وتخصيص ميزانية سنوية تتجاوز 230 مليون فرنك رواندي لبرامج وطنية لمناهضة العنف والتحرش ضد المرأة. يظهر هذا التوجه وعياً بأن مشاركة النساء في التنمية تظل منقوصة ما لم تُهيأ لهن بيئة آمنة تُزيل الضغوط الاجتماعية والعوائق البنيوية التي تحدّ من فاعليتهن، وتفتح أمامهن المجال للوصول إلى مواقع التأثير وصنع القرار. في المقابل، لا تزال بعض الأسر في اليمن تحصر أدوار المرأة في نطاق المسؤوليات المنزلية، بما يقيد تمثيلها في المجال العام. وتؤكد دراسة صادرة عن مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية حول دور الشبكات النسائية في التمكين الاقتصادي والاجتماعي في حضرموت أن «بعض الأعراف المحافظة لا تزال تقيد حرية المرأة وقدرتها على الحركة وتعيق مشاركتها في الاقتصاد والحياة العامة». ويشير ذلك إلى أن أي نهضة حقيقية تبدأ من إعادة النظر في هذه البنى الاجتماعية، ومن دعم الأسرة بوصفها الحاضنة الأولى لتمكين المرأة؛ إذ إن توفير الثقة والفرص والاستماع الجاد لأصوات النساء كفيل بإحداث تحول تنموي ملموس يسهم في تعافي المجتمع واستقراره.

ويعزز هذا الطرح نموذج محلي يؤكد قدرة المرأة على إحداث أثر ملموس متى ما أُتيحت لها المساحة. ففي عام 2016 أطلقت مجموعة «نساء حضرموت من أجل السلام» وهي مبادرة ضمت ثمانين نساء من حضرموت حملة مناصرة لإعادة فتح مطار الريان وطريق الضبة الشرقي في المكلا، بعد إغلاقهما بسبب الحرب. وقد مارسن ضغطاً منظماً على السلطات المحلية والقيادات الأمنية وشخصيات المجتمع، لتثمر جهودهن عن إعادة فتح الطريق، في تجربة تؤكد أن إشراك النساء في الفعل العام يعد ممارسة عملية قادرة على تحقيق نتائج واقعية تخدم المجتمع بأسره.

تنبع إشكالية ضعف مشاركة المرأة في العمل السياسي من بنية ثقافية راسخة تعيد إنتاج الأدوار التقليدية وتضفي عليها طابعاً معيارياً ملزماً. ففي تحليل أجراه محمد

الكثيري ونشره مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية يشير إلى أن " الثقافة القبلية السائدة، والعادات والتقاليد، لا تعامل المرأة على قدم المساواة مع الرجل، بل تعزز الفكرة القائلة بأن لكل من الرجال والنساء مجالاتهم الخاصة، وأن الرجال هم الأكثر قدرة على التعامل في المجالات الصعبة، بما في ذلك السياسة. تكبر المرأة وهي تعلم أن هناك حدودًا لا يسمح لها بتجاوزها". ويكشف هذا الطرح أن العائق يتمثل في ترسيخ وعي اجتماعي يحدّد للمرأة سقفًا مسبقًا لطموحها، ويجعل الإقصاء يبدو وكأنه نظام طبيعي لا يحتاج إلى تبرير. فحين تُنشأ الفتاة على قناعة بوجود حدود غير مرئية لدورها العام، يتحول التهميش إلى قناعة داخلية قبل أن يكون إقصاءً خارجيًا، وهو ما يفسر استمرار ضعف تمثيل المرأة سياسيًا رغم التحولات التي يشهدها المجتمع.

امتد الوعي بأهمية إشراك المرأة في حضرموت إلى جذور فكرية وثقافية ربطت بين تمكين المرأة والتعليم بوصفه المدخل الأول للنهضة. ففي مراحل ماضية، كان حرمان النساء من التعليم أحد أبرز مظاهر التهميش، الأمر الذي دفع عددًا من الأدباء والناشطين الحضارم إلى المطالبة العلنية بحق المرأة في التعلم والمشاركة الاجتماعية. ومن هؤلاء الشاعر محمد الشاطري، ومحمد هاشم بن طاهر الذي نشر مقالاته بأسماء مستعارة دفاعًا عن تعليم الفتاة، وسلامة عبدالقادر بامطرف التي طالبت بتكافؤ الفرص في التعليم والابتعاث وإنصاف النساء. كما عبّر الأديب الحضرمي الراحل أحمد باكثير عن هذه القضية فنيًا في مسرحيته «في أرض الأحقاف»، حيث صور أوضاع المرأة الحضرمية التي عانت من التهميش، ودعا إلى إشراكها في مشروع النهضة عبر تثقيفها وتعليمها عبر قصيدته:

كيف السبيل إلى النهوض وأمّهات النشء عور؟

أبدون تربية الإناث يصح تربية الذكور؟

أيلدن أحياء وهن من الجهالة في قبور؟

كلا ورب العرش كيف يكون من ظلماء نور

ولا تزال مشكلة تعليم الفتاة، رغم مرور عقود على طرحها، قضيةً حاضرة في بعض البيئات، ولا سيما في الأرياف؛ حيث تطفو رواسب أفكار تقليدية على السطح لتقف عائقًا أمام مواصلة الفتيات تعليمهن. وبذلك يتعثر المدخل الأول والأساس لإشراك المرأة في المجال العام.

وتُجسد مسيرة الأديبة والشاعرة والمذيعة السابقة في إذاعة المكلا وتلفزيون الجمهورية اليمنية، ميمونة أبوبكر الحامد، نموذجًا لقدرة المرأة على ترك أثر ثقافي وفني ملموس عند إتاحة الفرصة لها، بما يعزز ما أشرنا إليه سابقًا حول ضرورة إشراك النساء في مختلف فضاءات الفعل العام. فقد أصدرت خمسة دواوين شعرية، وبرزت في الشعر الغنائي حيث غنّى لها الفنان الحضرمي عبد الرحمن الحداد بعض أعمالها، كما غناها فنانون يمنيون وعرب آخرون، وساهمت في إثراء المكتبة الغنائية بعدة أعمال، ومثلت اليمن في عدة دول عربية وأجنبية. يكشف هذا النموذج أن الإبداع النسائي يمتد ليؤثر في الأدب والموسيقى والإعلام على حد سواء، وأن غياب المعرفة والإدراك العام لإسهامات النساء يحرم المجتمع من طاقات قادرة على إثراء الثقافة والفكر. ومن ثمّ، يصبح تمكين المرأة في المجال الفني خطوة ضرورية لبناء مجتمع متنوع ومبدع، يستفيد من كل إمكانياته، ويخلق نموذجًا حيًا لفاعلية المشاركة النسائية في التنمية الاجتماعية والثقافية.

لذلك يصبح من الضروري إعادة النظر في إسهامات النساء في الماضي وإدراج نماذج رائدة منها في المناهج الدراسية، لترسخ وعي الأجيال القادمة بقدراتهن التي لا تقل عن شركائهن من الرجال فالمرأة شريك أساسي لا مورد بشري في سوق العمل وأماكن صنع القرار، وكما يؤكد الفيلسوف الألماني الشهير كارل ماركس "إنّ تقدم المجتمعات يُقاس بتقدم النساء".

في الأخير يمكن القول بشيء من التأكيد إنه من أجل رحلة التشافي والنهوض والنمو في اليمن، ينبغي الوعي بأهمية الاعتراف بإسهامات الماضي كخطوة لتعلّم الدروس والاستفادة منها، وفهم أن الإسهام والتغيير لا يقف على جنس محدد. وقد أثبتت التجارب العملية مثل التجربة الرواندية، ومبادرة نساء حضرموت من أجل السلام، وتجربة الشاعرة والمبدعة ميمونة أبوبكر الحامد، أن التمكين والإشراك الفعّال للمرأة يؤدي إلى نتائج ملموسة على المستويين الاجتماعي والثقافي، ويعزز قدرة المجتمع على مواجهة التحديات. فالمرأة فرد يعايش القضايا اليومية بنفس عمق الرجال، ما يجعلها عنصرًا فاعلاً وأساسياً في نهضة الوطن.

لماذا يعد إشراك المرأة اليمنية قاعدة أساسية لا استثناء؟



سلمى العكبري 



اجعلوا البساطة طريق الفرحة المستدام لخطوبة تحتوي دفء الماضي ومظاهر الحاضر

بسمه بن عيدان

جميعنا يعلم أن أفرحة والبهجة التي كانت تحدث في حفلات الخطوبة بمدينة المكلا تكمن في اللمة والبساطة التي كان يعيشها الأفراد بالأمس، حيث تتسم هذه الحفلة بوجود مجموعة من الأشخاص من أهل العريس والعروسة يجمعهم فنان شاي مخلوط بابتسامة وارتياح وتوطيد للعلاقات بين الأُسرتين، بعيداً عن المظاهر المبالغ فيها أو الأعباء المادية الثقيلة، غير أنَّ هذا الأمر أصبح يشهد تغييراً ملحوظاً خلال هذه السنوات الأخيرة، ونتيجة للتطور التقني الذي يحدث وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، تحولت الخطوبة من لقاء عائلي محدود الى مناسبة واسعة تخطط تفاصيلها بعناية، وتوثق لحظاتها بعدسات الهواتف الذكية والكاميرات ذات الجودة العالية، مما أدى إلى تشكيل صورة اجتماعية جديدة تربط قيمة المناسبة بحجم الإنفاق والمظهر الخارجي، ليتحول الى ظاهرة اجتماعية فرضت واقعاً جديداً على الأسر والشباب، ومن هنا نجد أنَّ هذا التحول يمثل ابتعاداً عن القيم الأصيلة التي تُعرفُ بها مدينة المكلا، وعليه لابد من الدعوة الكبرى للرجوع إلى البساطة والاعتدال واستعادة روح الماضي ودفئه مع التوازن لمتطلبات الحاضر.

في الماضي القريب كانت حفلات الخطوبة بمدينة المكلا تُقام غالباً داخل المنازل أو في نطاق عائلي ضيق يقتصر على الأقارب والجيران المقربين، حيث كان بمثابة ترابط اجتماعي لدخول حياة جديدة للعائلتين، فلم تكن هناك حاجة لتنسيقات معقدة تحتوي على بعض الديكورات وتنسيق الورود والتصوير الفوتوغرافي وتقديم مختلف أنواع المأكولات والمشروبات، بل كانت البساطة هي السمة الغالبة حيث يُنظر الى الخطوبة بوصفها خطوة تمهيدية للزواج لا تتطلب أكثر من إعلان القبول وتبادل التهاني في أجواء يسودها الود والاحترام.

كما ارتبطت هذه البساطة بقيم اجتماعية راسخة من أبرزها مراعاة الظروف المادية للأسر وتجنب إحراج الشباب المقبلين على الزواج، إضافة الى التركيز على المعنى الاجتماعي للخطوبة بما يتفق مع طبيعة المجتمع الحضرمي المحافظ والمتكافل.

مع مرور الوقت وخلال السنوات الأخيرة بدأت ملامح حفلات الخطوبة بمدينة المكلا تتغير في شكلها ومضمونها، حيث بدأت هناك مظاهر جديدة، مثل الاهتمام بتفاصيل الديكور، وتنسيق الألوان والملابس الخاصة بالمناسبة التي أصبحت أمرًا ضروريًا للكثير من الناس والذي قد تصل تكلفته إلى حوالي 500 ألف ريال يمني، إلى جانب الاستعانة بمصورين محترفين في بعض الأحيان، فأصبحت هذه المناسبة تُخطط لتكون حدثًا متكاملًا يُقاس نجاحه بتلك المظاهر المادية والديكورات الخارجية والزينة، غير أنَّ تضخم هذه التكاليف ألقى بأعباء إضافية على الشباب وأولياء الأمور، فباتت النظرة إلى المناسبة تنصرف بدرجة أكبر إلى كيفية توفير المبلغ المطلوب لإخراجها بالصورة الكاملة، بدل التركيز على بعدها الاجتماعي والرمزي.

كما تلعب وسائل التواصل الاجتماعي والتطور التقني دورًا محوريًا في هذا التغيير، إذ أصبحت الصور ومقاطع الفيديو التي تنشر من حفلات الخطوبة نموذجًا يُحتذى به عند بعض الناس، ومقياسًا غير معنوي للمقارنة بين الأسر. ومع انتشار منصات التواصل مثل (الواتساب - الفيس بوك - الانستقرام - السناب شات) بين المجتمع في مدينة المكلا وكثرة استخدامها بين الشباب، تحولت هذه المناسبة من الخاص إلى العام، الأمر الذي خلق ضغطًا اجتماعيًا دفع الكثير من الأسر إلى مجازاة هذا التيار خوفًا من الانتقاد أو الظهور بمظهر أقل شأنًا من غيرهم.

امتدت تأثيرات التغيير في حفلات الخطوبة بمدينة المكلا لتشمل الجانب الاقتصادي للأسر، حيث ارتفعت التكاليف المرتبطة بالمناسبة بشكل ملحوظ في ظل الظروف المعيشية الراهنة. ويشير أحد أولياء الأمور إلى أن تجهيزات الحفل تتطلب مبالغ كبيرة، ما يستدعي إعادة ترتيب أولويات الأسرة لتلبية متطلبات الاحتفال. كما أصبح الجيل الحالي يواكب التطورات الحديثة في هذا المجال، مما دفع الأهالي إلى توفير كل المستلزمات الخاصة بالمناسبة لضمان فرحة أبنائهم وتحقيق مستوى الاحتفال الذي يتماشى مع التوجهات الاجتماعية السائدة.

وقد أخذت التكاليف المرتفعة وأسلوب الاستعراض يحلّان تدريجيًا محل روح البساطة والمشاركة التي كانت تميز هذه الاحتفالات، ما دفع بعض الخبراء الاجتماعيين والإعلاميين للتعليق على تداعيات هذه الظاهرة على الأسرة والمجتمع. إذ ترى الدكتورة دعاء سالم باوزير رئيس قسم الإعلام بجامعة حضرموت سابقًا، أنَّ التغييرات الحاصلة لحفلة الخطوبة في الوقت الراهن بمدينة المكلا ابتعدت عن العادات التي كانت تتميز بالبساطة التي يسودها الحب والفرح إلى مناسبة تصرف عليها مئات

الآلاف في حين نحن بحاجة ماسة إلى هذه المبالغ من أجل أن نصرفها على البيوت من مأكل وملبس وغيره. وللأسف فإننا نلاحظ الكثير من الأسر بمدينة المكلا لا تملك قوت يومها ولكن تخضع لهذه التغيرات والتحويلات دون الاهتمام بما ستعرض له الأسرة فيما بعد من تدهور اقتصادي لسداد ما عليها من ديون، فنحن كشخصيات اجتماعية لابد أن نسهم في تعريف المجتمع بقيمة المناسبة وجوهرها الحقيقي وعدم المبالغة في المظاهر التي تُضعف الروابط الاجتماعية والتي تقوم أساساً على المشاركة والتكافل، لا على الاستعراض والمقارنة.

لا يهدف تسليط الضوء على هذه الظاهرة إلى رفض التطور أو العودة القسرية إلى أنماط الماضي، بل الدعوة لوعي مجتمعي يوازن بين التحديث والحفاظ على القيم الاجتماعية الإيجابية، فوسائل التواصل الاجتماعي يمكن توظيفها بشكل إيجابي دون أن تتحول إلى مصدر ضغط أو معيار للحكم على الآخرين، حيث أنّ إعادة الاعتبار لقيمة البساطة لا تعني التقليل من أهمية المناسبة بل تعني التركيز على جوهرها الإنساني والاجتماعي وتخفيف الأعباء عن الشباب، بما يُسهم في تعزيز الاستقرار الأسري والاجتماعي. فالتغيير أمر يعكس تطور المجتمع وانفتاحه، ولكل زمن عاداته وأساليبه في التعبير عن الفرح ولكن هذا الأمر يحتاج إلى توازن واعتدال، فالمعروف أنّ الدخل المعيشي للأسر في المكلا مختلف من أسرة إلى أخرى، ولذلك وجب التعامل مع تجهيزات مناسبة حفلة الخطوبة بما يتماشى مع معيار الدخل المعيشي للأسرة دون التعرض للتكلف المتزايد الذي قد يرفع كاهل أب الأسرة أو الشاب المقبل على الزواج، فاستخدام بعض الديكورات البسيطة التي لا تحتاج إلى مبالغ مالية باهظة تصل إلى 50 ألف يمني، قد تفي بالغرض دون المساس بالجوهر الاجتماعي المحافظ على معناها الحقيقي، وجعلها خطوة إيجابية تمهد لبناء أسرة لا عبئاً يسبقها.

ومع ذلك فإنّ هناك بعض الأصوات المجتمعية التي تدعو للرفض، وتؤكد أنّ هذا التحول خرج عن حدوده المقبولة وأصبح نوعاً من التكلف والمبالغة التي لا تتماشى مع القيم الحضرمية القائمة على البساطة والاعتدال، بل تحولت إلى ساحة للمنافسة والاستعراض تقاس فيها قيمة الفرح بحجم الإنفاق.

وتسهم هذه الممارسات المستحدثة في تعميق الفوارق الاجتماعية، إذ تحولت المناسبة إلى مساحة لقياس القدرة المادية وإبرازها، الأمر الذي عزّز ثقافة المقارنة وأوجد شعوراً بالضغط لدى الأسر ذات الدخل المحدود. ومع ارتفاع سقف التوقعات، باتت بعض العائلات تجد نفسها أمام التزامات مالية تفوق إمكانياتها، ما يكرّس فجوة متزايدة بين الطبقات ويُشعر شريحة من المجتمع بالعجز أو التهميش. وفي هذا السياق يُحذّر الأستاذ ماهر مقرم، أستاذ علم الاجتماع بتربية ساحل حضرموت، من أن

استمرار هذا النمط الاستهلاكي قد يُفاقم التفاوت الاجتماعي ويُضعف روح التضامن، بما يهدد الاستقرار المجتمعي ويفتح المجال لتنامي الاحتقان والاختلاف بين الأسر. ومن خلال المناقشة السابقة يمكن القول بشيء من التأكيد إنّ ما تعيشه حفلات الخطوبة من مبالغة وتكلف يستدعي وقفة جادة من المجتمع الحضرمي خاصة بمدينة المكلا، فالمناسبة التي وجدت لتكون بداية ميسرة لحياة جديدة لا ينبغي أن تتحول إلى أعباء تثقل أولياء الأمور والشباب وتؤخر استقرارهم، ومن هنا فإنّ تعزيز ثقافة الاعتدال والاقتداء بالنماذج البسيطة كفيل بإعادة التوازن وترسيخ قيم أصيلة طالما تميز بها مجتمعنا الحضرمي.

اجعلوا البساطة طريق الفرح المستدام لخطوبة تحتوي دفء الماضي ومظاهر الحاضر2



سارة العمودي



ظاهرة التنازع على الميراث في وادي حضرموت وسبل المعالجة

أنور حمدون

أصبح التنازع على الميراث في وادي حضرموت ظاهرة اجتماعية تهدد تماسك الأسرة وتضرب في عمق العلاقات بين الأقارب. ففي مجتمع عُرف تاريخياً بروابطه الأسرية المتينة وأعرافه القائمة على التكافل، باتت الخلافات حول الإرث سبباً مباشراً في تفكك العديد من الأسر وقطع صلة الرحم، بل ووصول النزاعات إلى ساحات القضاء في قضايا كان يمكن احتواؤها داخل الإطار العائلي أو عبر الصلح الاجتماعي. وتتدخل عدة عوامل في تغذية هذه الظاهرة، من أبرزها ضعف الوعي بأحكام الميراث في الشريعة الإسلامية، وغياب التوثيق والوصايا، إضافة إلى انتشار الأمية القانونية والدينية. كما ساهمت الظروف التي تمر بها حضرموت، من اضطرابات وأزمات، في تعميق المشكلة، إلى جانب تراجع فاعلية الخطاب التوعوي، وبروز مظاهر الأنانية والطمع، وضعف الروابط الأسرية التي كانت تمثل في السابق صمام أمان للمجتمع. وانطلاقاً من خطورة هذه الظاهرة وتداعياتها، يسعى هذا المقال إلى تسليط الضوء على أسبابها، واقتراح سبل عملية لمعالجتها، من خلال تفعيل دور الإصلاح المجتمعي، وتعزيز مكانة عقال الحارات، والمرجعيات الدينية، والشخصيات الاجتماعية ذات التأثير القبلي والعشائري، بما يساهم في إعادة بناء الثقة داخل الأسرة، وترسيخ قيم العدل وصلة الرحم.

وتؤكد الوقائع الميدانية في عدد من مناطق وادي حضرموت أن النزاعات على الميراث تحولت في بعض الحالات إلى صراعات محتدمة كادت أن تتطور إلى أشكال من العنف، وهو ما يكشف حجم الخلل في إدارة الملف داخل الأسرة والمجتمع. ففي منطقة عينات شرق، نشب خلاف بين عشائر من قبيلة واحدة حول إرث أراضٍ، وتطور النزاع إلى حد الاشتباك بالأيدي، قبل أن يتدخل أحد أبرز المرجعيات الدينية والاجتماعية، وهو المرحوم منصب عينات السيد حسن بن أحمد بن الشيخ أبي بكر، حيث عمل على جمع الأطراف المتخاصمة، والتحكيم بينهم، وإنهاء النزاع ودياً دون اللجوء إلى القضاء. وشهدت منطقة قسم شرق تريم عدداً من النزاعات حول ميراث الأراضي بين بعض القبائل، إلا أن هذه الخلافات تمت معالجتها عبر الصلح المجتمعي،

من خلال الرجوع إلى الشيخ المقدم قيس بن العبد بن يمانى التميمي، الذي اضطلع بدور محوري في إصلاح ذات البين وتقريب وجهات النظر. تدل هذه النماذج بوضوح أنّ وجود مرجعيات اجتماعية ودينية فاعلة لا يزال يشكل عاملاً حاسماً في احتواء النزاعات والحد من تفاقمها، مما يدعو إلى إعادة تفعيل هذا الدور وتعزيزه كبديل ناجع عن التصعيد القضائي، خاصة في القضايا التي تمسّ النسيج الأسري بشكل مباشر.

وتعدّ التوعية الدينية بأهمية كتابة الوصية من أبرز الوسائل الوقائية للحد من النزاعات على الميراث، إذ تسهم الوصية في توضيح الحقوق وتقليل احتمالات الخلاف بين الورثة قبل وقوع النزاع. ويظهر أثر غياب الوصية في بعض الحالات الواقعية، كما حدث في منطقة قسم شرق تريم، حيث نشب خلاف بين إخوة حول ميراث منزل والدهم، نتيجة عدم وجود وصية تنظّم توزيع التركة. وقد أدى هذا الغياب إلى تصاعد النزاع بينهم، قبل أن يتدخل أحد الشيوخ، ويقوم بالتحكيم وفق أحكام المواريث في الشريعة الإسلامية، مما أسهم في إعادة التوافق بين الأطراف. وتؤكد هذه الحالة أن الوقاية عبر التوعية وكتابة الوصية تبقى أكثر فاعلية من العلاج بعد وقوع النزاع، كما تبرز الدور الأساسي للمرجعيات الدينية في تصحيح المسار وإعادة الأمور إلى نصابها الشرعي.

وختاماً، لا بد من وضع خارطة طريق واضحة لمعالجة هذه الظاهرة المجتمعية، إذ إن الحدّ من النزاعات على الميراث يتطلب جهداً لتغيير السلوك، وتصحيح القنوات، وبناء وعي مجتمعي راسخ يقوم على العدل والتنظيم. وتكمن أبرز محاور المعالجة في تعزيز الوعي الديني والشرعي والقانوني بأحكام المواريث، وتفعيل دور التثقيف عبر خطب الجمعة والمنابر الدعوية، إلى جانب الحث على كتابة الوصية والتوثيق قبل الوفاة، لما لذلك من أثر كبير في تقليل فرص النزاع وحسم كثير من الإشكالات مبكراً. ويمثل الصلح المجتمعي أحد أهم أدوات الاحتواء، من خلال تفعيل دور أهل الحكمة والرأي من الشيوخ، والمرجعيات الدينية، وكبار الأسرة، وعقلاء القبائل، والشخصيات الاجتماعية المشهود لها بالنزاهة. ويُستحسن كذلك إنشاء لجان داخل كل قبيلة أو أسرة كبيرة، تضم عدداً من ذوي الخبرة والحكمة، لتكون مرجعاً للنزاعات، مع توثيق قراراتها بمحاضر رسمية. وفي جوهر الأمر، فإنّ مشكلة النزاع على الميراث في حضرموت ليست أزمة موارد بقدر ما هي أزمة وعي وإدارة وتنظيم. فمتى ما فُعِّلَت أحكام الشريعة، ووُثِّقَت الحقوق، وأُعْطِيَ الصلح مكانته قبل الخصومة، أمكن تحويل الإرث من سبب للفرقة إلى فرصة لتعزيز الروابط وصلة الرحم. فالإرث مألٌ يُقسَّم في لحظة، لكن أثره يمتد طويلاً؛ فإما أن يحفظ الأسرة لعقود، أو يهدمها لأجيال.

ظاهرة التنازع على الميراث في وادي حزرموت وسبل المعالجة



مرام علي محمد الشريف



أهمية مُدونة السلوك كعُرف مجتمعي أثناء الانفلات الأمني

عُبير واكد

عند حدوث المشاكل المجتمعية والأفعال والسلوكيات الخاطئة والجرائم الناجمة عن الأفراد والجماعات، نلجأ فوراً للاحتكام إلى سيادة القانون، ولكن لا نستطيع القيام بذلك أثناء الانفلات الأمني لأنه حالة من التسبب وفقدان السيطرة على أمن الدولة أي أن القانون آنذاك يصبح الغائب الأول فلا تستطيع الاحتكام إلى سلطته وقوته، وهذا ما حدث تماماً مع مطلع عام 2026 في الثالث من يناير عندما أعلنت قوات الجيش اليمني بدعم عسكري من المملكة العربية السعودية استكمال السيطرة على مدينة سيئون عاصمة مديريات وادي حضرموت والمنطقة العسكرية الأولى، وذلك بعد شهر كامل من سيطرة المجلس الانتقالي الجنوبي عليها وخروجه منها، وما صاحب ذلك من تصعيد سياسي وعسكري عرض مدينة المكلا لحالة من الانفلات الأمني، الذي أسفر عن قتلى وجرحى جراء اشتباكات مسلحة داخل الأحياء السكنية وأعمالاً من السلب والنهب طالت مقرات سيادية وحكومية حيوية ، وفقاً لدويتشه فيله (DW).

لم يدم هذا الانفلات طويلاً ، لكن نتائجه كانت أبدية ومروعة أرواحاً أزهقت، انتهاكات أرتُكبت، فوضى عارمة انتشرت، ممتلكات عامة وخاصة نُهبت. هنا يتحدث المقال عن أهمية وجود مُدونة سلوك كعُرف مجتمعي تحل محل القانون أثناء الانفلات الأمني، وبالتالي ضمان عدم تكرار ما حدث. فمُدونة السلوك هي مجموعة القواعد والمبادئ التي تحدد السلوكيات والتصرفات المقبولة والمتوقعة من الأفراد داخل بيئة أو مجتمع معين، وتُعد إطاراً أخلاقياً يرشد التصرفات ويوضح الحدود، ضماناً للانضباط والاحترام حتى في ظل غياب الأطر القانونية، فهي تشكل بديلاً مؤقتاً يمكن البناء عليه حفاظاً على النظام العام والاستقرار، ما يعزز التماسك المجتمعي، فعلى سبيل الذكر لا الحصر من المتوقع أن تتضمن المُدونة السلوكية الآتي:-

- الحفاظ على استقرار النظام العام.
- عدم التحريض اللفظي والفعل.
- عدم التعدي على الممتلكات العامة والخاصة بالنهب أو السلب أو التخريب.

- عدم التهديد والابتزاز والاستغلال.
- نبذ العنف والإكراه والاعتداء على الآخرين.
- حماية النساء والأطفال وكبار السنّ وعدم التعرض لهم بأي شكل من الأشكال.
- عدم حمل السلاح والذخائر في الأماكن العامة ووسط التجمعات.
- عدم تدمير المواقع الحضارية والأثرية.

ويأتي اختيار العُرف غير المُدوّن، القائم على استمرارية الممارسة وقبول المجتمع له بوصفه قاعدةً ملزمة، لسببين رئيسيين: أولهما أن مخالفته لا تترتب عليها عقوبة قانونية مباشرة، بل جزاءً معنوي يتمثل في الوصمة الاجتماعية وفقدان الثقة؛ إذ يكفي أن يُعرف الشخص بين الناس بأنه لا يحفظ الأمانة أو أنه "صاحب سوابق" حتى يتجنب المجتمع التعامل معه، وهي عقوبة رمزية يخشاها الأفراد غالباً أكثر من العقوبة المادية، مما يعزز مستوى الالتزام الطوعي. وثانيهما أن العُرف يفتح باب التراجع والتصحيح أمام من انجرفوا إلى التطرف أو التحريض أو الانفلات السلوكي؛ إذ يتدخل الوجهاء وأهل الرأي بالنصح والستر، ويمنحون المخطئ فرصة لردّ الحقوق وبدء صفحة جديدة بضمانات مجتمعية، دون تعريضه لفضيحة أو إقصاء دائم. ولعل هذا الأسلوب هو الأنسب في ظروف الانفلات الأمني الحساسة، حيث قد تدفع القسوة القانونية أو الخوف من العقاب بعض المُغرّر بهم إلى التماسي بدل التراجع، خاصة حين يُختزل الخطاب الديني في صور العقوبة دون إبراز مساحات العفو ومُسقطات الحدود، فيتربسّخ لديهم شعور بانعدام الأمل في العودة، وهو ما يستغله بعض المحرّضين لإبقائهم في دائرة الضياع بدل إعادة دمجهم في المجتمع.

إن خطورة انتشار الجماعات المسلحة وسيطرتها في أعقاب الانفلات الأمني تجعل الحاجة مُلحةً إلى وجود مُدونة سلوك يُحتكم إليها بوصفها عُرفاً مجتمعياً منظماً للسلوك في تلك المرحلة الحرجة. فالأصل، من الناحية المعيارية، هو الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية باعتبارها -وفقاً لدستور الجمهورية اليمنية- المصدر الرئيس للتشريعات، غير أن إشكالية الجزاء في ظروف الانفلات تبقى معقدة؛ إذ إن المحاسبة الشرعية في جوهرها إلهية، بينما تتعطل في الواقع أدوات إنفاذها عند غياب الرقابة الأمنية والقضائية. ففي لحظات الفوضى، إذا لم يُضبط الفاعل متلبساً بجرمه، يغلب على الظن أنه يغفل من العقاب الديني، وهو ما يضعف أثر الردع القانوني والشرعي معاً. وعند اجتماع ضعف الوازع الديني مع غياب سلطة القانون، تنشأ بيئة قابلة

للانقياد خلف التحريض والتهاون في الالتزام بالقيم، الأمر الذي يبرز أهمية العُرف المجتمعي بوصفه آلية ضبط بديلة تسدّ فراغ السلطة إلى حين استعادة الدولة لمؤسساتها.

لذلك يشكل الاحتكام لمُدونة السلوك كعُرف مجتمعي أثناء الانفلات الأمني ضماناً لما فيه من الردع والزجر الآني حيث يلعب هذا الدور عادةً المشائخ، الأعيان، أئمة المساجد، عُقال الحارات، اللجان الشعبية، المبادرات المجتمعية وبقية أفراد المجتمع، فتلتبس الاستجابة هنا من الغالبية خشية العار والفضيحة في المجتمع، وما يترتب عليه لاحقاً من الصورة المجتمعية السيئة والنبذ المجتمعي فلا تجد من يقبل به زوجاً أو موظفاً، وإن كان أباً قد يخسر هذه الأبوة أيضاً، ففي البدء ما يشغل تفكير الناس هو القبول المجتمعي لا الفردوس الأعلى لأن الأول هو الحالي -الواقع المُعاش- والآخر هو من الغيبيات.

يقف كل من التطرف والإرهاب خلف الانفلات الأمني تحقيقاً لمصالح سيادية سلطوية سياسية، وغالباً ما تستخدم الجماعات المنتمية إليهما الدين غطاءً لتبرير أعمالها بشكل مُشوّه تسيء إلى سماحة الإسلام، تلك السماحة التي ينفر منها عن جهالة المُغرّر بهم وضحايا التحريض ومن هم على شاكلتهم. وحتى يرون النور، يبقى وجود مُدونة سلوك كمبدأ عُرفي مجتمعي يرسخ القيم والأخلاق والأعراف والسلام في وعي وأذهان ووجدان وثقافة الناس، يخلق نسيج اجتماعي متماسك أمام الانفلات أو أية ادّعاءات مضلّة.

أهمية مُدونة السلوك كعُرف مجتمعي أثناء الانفلات الأمني



رقية جوبان



أصواتٌ منسيّةٌ في مدينة الثقافة

يوسف اليامي

تستيقظ تعز كلّ صباح على صورة المدينة التي عُرِفَتْ طويلاً بأنّها مدينة الثقافة والفنّ، حيث تمتزج حركة الأسواق بأحاديث الناس وأحلامهم الصغيرة، وتنبض الحياة في شوارعها بما تحمله من إرث ثقافيّ عريق، غير أنّ هذه الصورة المضيئة لا تعكس كلّ الواقع الاجتماعي للمدينة، فبين الأزقة الضيقة والأحياء الفقيرة، تعيش فئة من الناس تبدأ يومها بقلق لا يتغيّر كثيراً، وبمحاولات للعيش بكرامة في ظلّ واقع يضيق بهم أكثر مما يتسع. هناك، بعيداً عن الأضواء والمنابر، تبقى أصوات لا تصل إلى المسارح أو المعارض أو الفعاليات الثقافية، لا لأنها تفتقر إلى الموهبة أو القدرة على التعبير، بل لأنها تنتمي إلى فئات ما تزال تعيش على هامش الاعتراف الاجتماعي. وفي الوقت الذي يُفترض فيه أن تكون الثقافة والفنون فضاءً يتيح للمجتمعات التعبير عن تنوّعها ويعزّز اندماج مختلف مكوناتها، فإنّ محدودية حضور هذه الفئات في المشهد الثقافي تطرح تساؤلات جدّية حول دور المؤسسات الثقافية والمجتمعية في فتح المجال أمامها، وحول السبل الممكنة لجعل الثقافة أكثر شمولاً وعدالة، لتتحوّل من مساحة للنخبة إلى فضاء يعكس أصوات المجتمع كلّ، بما في ذلك الأصوات التي بقيت طويلاً خارج دائرة الضوء.

يتجلّى التهميش الثقافي للفئات المهمّشة في محدودية حضورها داخل الفضاءات الثقافية والفنية العامة؛ إذ تُقام كثير من الأنشطة، كالندوات الأدبية والمعارض الفنية والفعاليات الثقافية، غالباً ضمن دوائر اجتماعية محدّدة لا تشمل أبناء هذه الفئات، أو لا تُتيح لهم فرص المشاركة الحقيقية فيها. وفي هذا السياق، يُشير نعمان الحذيفي، رئيس الاتحاد الوطني للمهمشين، إلى أنّ "ما تعانيه فئة المهمّشين من تمييز هو نتاج طبيعي للموروث الاجتماعي والثقافي المتوارث تجاه هذه الفئة، والتي، رغم محاولاتها المتكرّرة، ما تزال تسعى لأن تكون جزءاً فاعلاً من المجتمع". ويجعل هذا الواقع كثيراً من أبناء هذه الفئات يشعرون بأنّ المجال الثقافي لا يمثلهم ولا يعكس تجاربهم الإنسانية، مما يُعمّق المسافة بينهم وبين بقية المجتمع، ويبرز الحاجة إلى سياسات ومبادرات ثقافية أكثر شمولاً وعدالة.

العلاقة بين التهميش الثقافي والتهميش الاجتماعي يرتبط التهميش الثقافي ارتباطاً وثيقاً بالتهميش الاجتماعي؛ إذ إنّ غياب بعض الفئات عن المجال الثقافي لا يعكس ضعف حضورها في الفنون والأنشطة الثقافية وحسب، بل يكشف في جوهره عن موقعها الهامشي داخل البنية الاجتماعية. وفي ذلك، يؤكّد نعمان الحذيفي أنّ الوعي الاجتماعي يتشكّل بدرجة كبيرة عبر الوعي المعرفي والثقافي، موضحاً أنّ الخطاب الديني والإعلامي والثقافي يفترض أن يؤدي دوراً أساسياً في تعزيز مفاهيم التعايش وقبول الآخر، على أساس الهوية الوطنية الجامعة التي تمثّل القاسم المشترك بين جميع مكونات المجتمع.

غير أنّ هذا الخطاب، وبكلّ أسف، ما يزال غائباً في كثير من الأحيان، بل قد يتحوّل أحياناً إلى أداة تُعيد إنتاج الموروث الثقافي القائم على التمييز، سواء على أسس عرقية أم مناطقية أم سلافية. ومثل هذا الخطاب لا يؤدي إلا إلى تعميق العزلة وتوسيع الفجوة القائمة أصلاً بين فئة المهمّشين وبقية فئات المجتمع اليمني. فعندما لا تحظى فئة معينة بفرص متكافئة للمشاركة في الحياة الثقافية، أو للتعبير عن هويتها وتجاربها عبر الفنّ والأدب والإعلام، تتراجع قدرتها على الظهور في المجال العام، كما تقلّ قدرتها على التأثير في الخطاب المجتمعي.

المواهب الفنية الكامنة بين الفئات المهمشة على الرغم من واقع التهميش الذي تعيشه هذه الفئات، لا يعني ذلك غياب المواهب بينها. الأمر على العكس من ذلك، يمتلك كثير من أبناء الفئات المهمشة قدرات إبداعية لافتة في مجالات متعدّدة، مثل الغناء الشعبي، والرسم، والشعر، والرقصات التراثية. في بعض أحياء محافظة تعز، يمكن ملاحظة شباب يمتلكون مهارات واضحة في كتابة الشعر أو أداء الأغاني الشعبية التي تعكس تجاربهم اليومية ومعاناتهم مع الفقر والإقصاء الاجتماعي، غير أنّ هذه المواهب غالباً ما تبقى محصورة داخل نطاقها الاجتماعي الضيق، بسبب غياب المنصات الثقافية القادرة على احتضانها ودعمها.

من هذه المواهب المميّزة محمد عبد الله، طفل في الرابعة عشرة من عمره، يمتلك صوتاً جميلاً وموهبة واضحة في الغناء والتمثيل. وفي حديثٍ له يقول معبراً عن خيبة الأمل في إيصاله موهبته للمجتمع: "أتمنّى فقط أن تُمنح لي فرصة لأظهر ما لديّ من موهبة، وأن يسمع الناس صوتي، لكن يبدو أنّ السبب الذي يمنعهم من منحي فرصة أو حتى الاستماع لي مرة واحدة، هو أنني من المهمّشين". وهكذا تتحوّل الموهبة، التي يمكن أن تكون جسراً للاندماج الاجتماعي، إلى طاقة كامنة لا تجد طريقها إلى

تأثير تجاهل الفئات المهمشة على الاندماج
إنّ تجاهل الفئات المهمشة في المجالين الثقافي والفني يترك أثراً مباشراً على قدرتها على الاندماج داخل المجتمع. فالمشاركة الثقافية تُعدّ أحد أهم مسارات الاعتراف الاجتماعي والانتماء. وعندما لا تُمنح هذه الفئات فرصة الظهور في الفعاليات الثقافية أو التعبير عن تجاربها ومواهبها، فإنّ ذلك يُعزّز شعور العزلة والإقصاء لديها، ويجعلها أقلّ قدرة على التواصل مع بقية أفراد المجتمع أو التأثير في الخطاب العام.

ومع مرور الوقت، تكبر الأجيال الجديدة وهي ترى أنّ المجال الثقافي ليس مساحةً لها، ما يرسخ الفجوة بينها وبين المجتمع، ويجعل شعور الانتماء محدوداً أو هشاً. كما يُسهم هذا التجاهل في تعزيز الصور النمطية السلبية؛ إذ يستمرّ المجتمع في رؤية هذه الفئات عبر عدسة الفقر أو الهامشية فقط، من دون التعرف على إبداعاتهم أو قصصهم الإنسانية، وهكذا يتحوّل التهميش الثقافي إلى آلية تُعيد إنتاج التهميش الاجتماعي مرّةً أخرى.

ولا يقتصر أثر التهميش الثقافي والاجتماعي على الفئات المهمشة وحدها، بل يمتدّ تأثيره إلى المجتمع كله، فغياب أصوات هذه الفئات عن المشهد الثقافي يحرم المجتمع من تنوّع التجارب والقصص الإنسانية التي تعكس واقعه الحقيقي بصورة أكثر شمولاً. فعندما تُحرّم قطاعات واسعة من المجتمع من المشاركة في التعبير الفني والثقافي، يفقد المجتمع جزءاً من قدرته على النقد الذاتي وفهم تحدياته بعمق، ويصبح الخطاب الثقافي أكثر انغلاقاً وأقلّ تمثيلاً للواقع. كما أنّ استمرار التهميش يخلق فجوة بين الفئات الاجتماعية المختلفة، ويعزّز الشعور بالانقسام؛ إذ يشعر بعض الأفراد بأنّ المجتمع لا يمثلهم، ولا يُتيح لهم فرصة المساهمة فيه. وهذا بدوره يُضعف فرص التعاون الاجتماعي ويُقلّل من قدرة المجتمع على مواجهة التحديات المشتركة، سواء كانت اقتصادية أم سياسية أم إنسانية. وبعبارة أخرى، لا يضرّ إقصاء الفئات المهمشة من المجال الثقافي بهذه الفئات وحدها، بل يحدّ أيضاً من قدرة المجتمع اليمني، وخاصة في محافظة تعز، على تحقيق نموّ ثقافي واجتماعي شامل، ويجعل التنمية أكثر هشاشة وأقلّ استدامة.

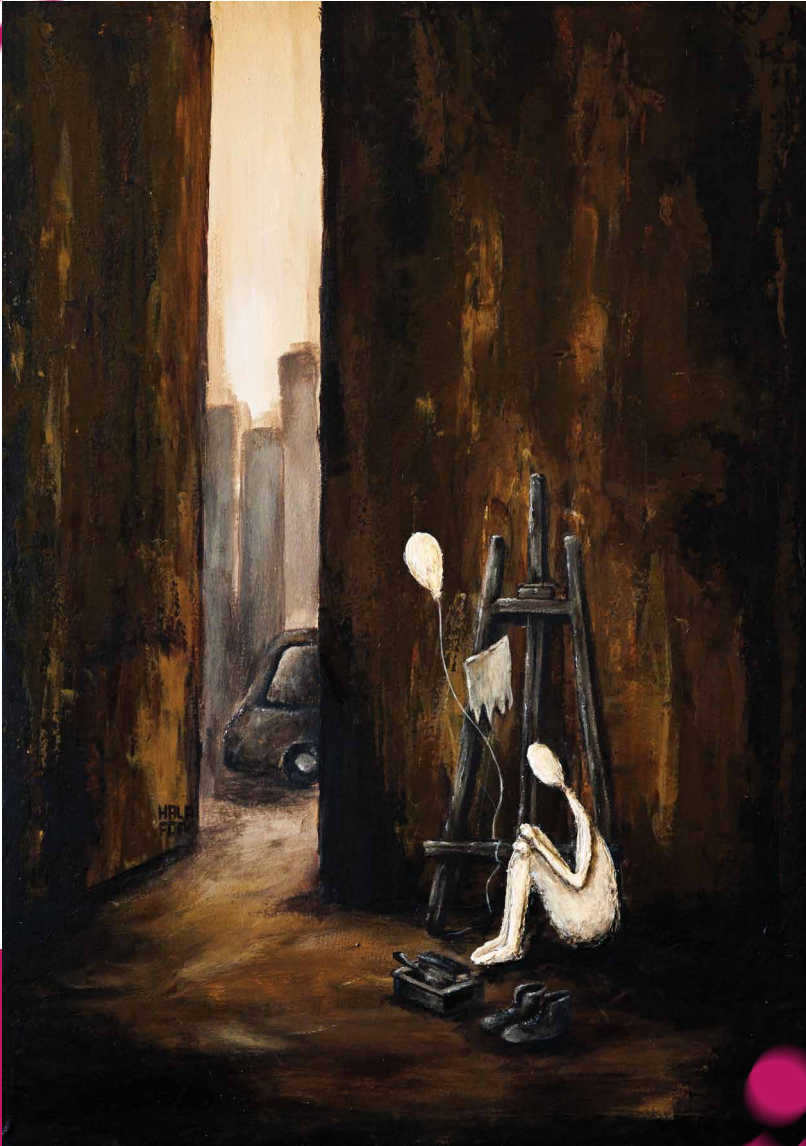
يُسهم إدماج الفئات المهمشة ثقافياً في تعزيز الانتماء الوطني لهذه الفئات وتمكينها من أن يكون لها أعضاء فاعلون في المجتمع. وفي هذا السياق، يرى نعمان الحذيفي أنّ إدماج الفئات المهمشة في الحياة الثقافية يُتيح لهم مساحة للتعبير عن

هويتهم الوطنية، ويُعزّز شعورهم بالانتماء والقدرة على المشاركة الفاعلة في المجتمع. ويُضيف أنّ فتح المجال أمام هذه الفئات للمشاركة في الأنشطة الثقافية والفنية يُسهم في ترسيخ قيم التعايش والسلم الاجتماعي، وهي قيم أساسية لأيّ مجتمع يسعى إلى تجاوز الانقسامات وبناء مستقبل أكثر عدالة وتماسكاً، فالثقافة، في نهاية المطاف، ليست مساحة للفنّ أو التعبير الجمالي وحسب، بل هي أيضاً أداة للاعتراف المتبادل بين الناس، وجسر لفهم أعمق للذات والمجتمع وتنوّعه الإنساني. في ضوء ما سبق، يتّضح أنّ التهميش الثقافي للفئات المهمشة انعكاس مباشر لبنية اجتماعية أوسع ما تزال تُعيد إنتاج الإقصاء بصور متعدّدة، فحين تُحجّب أصوات هذه الفئات عن المشهد الثقافي، لا يخسر الأفراد فرصتهم في التعبير فحسب، بل يخسر المجتمع أيضاً جزءاً من تنوّعه الإنساني ومن قدرته على فهم ذاته بصدق وعمق. ومن هنا، يمكن القول: إنّ معالجة التهميش الثقافي ينبغي أن يُنظر إليها كضرورة اجتماعية تُسهم في تعزيز العدالة والاندماج وفي ترسيخ قيم التعايش، فالمجتمع الذي يفسح المجال لكلّ أصواته ليُسمعها، هو مجتمع أكثر قدرة على التماسك والنمو وبناء مستقبل يتّسع للجميع.

أصواتٌ منسيّةٌ في مدينة الثقافة



هالة فؤاد



إقصاء المهمّشين من المشاركة الثقافية والفنية بالمسلسلات اليمنية

غدير العدني

هل ظهور ممثل لونٌ بشرته سمراء في مسلسل يمّني جريمة؟! تشهد الدراما اليمنية هذا العام أعمالاً إنتاجية لافتة؛ إذ يتنافس أكثر من 15 عملاً درامياً يمّنياً ما بين اجتماعي وتاريخي وكوميدي. وقد فتح هذا العدد الكبير آفاقاً جديدة أمام كثير من المواهب الجديدة، ورأينا مسلسلات يمنية غاصت في قضايا ومشاكل اجتماعية أكثر عمقاً من الأعوام السابقة، مما تطلّب البحث عن وجوه جديدة في الساحة لتجديد الواقع، لكن يبقى السؤال: هل المهمشون ذوو البشرة السمراء ضمن سيناريو المسلسلات اليمنية؟

في زاوية المدن السكنية للمهمشين في تعز، وبين ركام منازلهم المصنوعة من الصفيح تولد حكايات لمئات القصص والمواهب الفنية، لكنها تظلّ في غياهب النسيان؛ لأنّ إقصاء المهمّشين من المشهد الثقافي والفني إخفاء لفئة ضمن واقع النسيج المجتمعي، وإجراء يمنع أن يكون الفن من أصدق المجالات كما ينبغي "للجميع لا لطائفة واحدة".

تبدأ فجوة الإقصاء من الوضع المادّي الصعب والشركات الإنتاجية التي أصبحت تبحث عن شخصيات مشهورة لتبرزها وتخوض التجربة، بينما يجد الفنان المهمّش نفسه أمام أبواب مغلقة تفتح لمن صقلت موهبته، لا لمن يحتاج إلى صقل الموهبة من الفئات الضعيفة. هذا التهميش يحوّل الفنّ من لغة عالمية إلى لغة مجهولة، ويفقد المواهب المهمشة ثقّتها في نفسها عندما لا تجد من يثق بقدراتها.

وعلاوة على ذلك تعاني الفئة المهمشة من التنميط الثقافي؛ إذ لا ظهور لأي مهمّش في سيناريو المسلسل اليمني، وهذا يُعدّ تزييفاً للوعي المجتمعي وحرماناً للهوية الحقيقية لمكونات المجتمع. وهنا يخسر المشهد الفني نفسه، فالفنّ الذي ينفصل عن معاناة الناس وعن أحلام الطبقات المهمّشة يفقد المصداقية وعمق التجربة الإنسانية، وغياب هذه الفئة يجعل الثقافة في دائرة مغلقة بعيداً عن واقع الحياة الحقيقي.

ويواجه الشباب من المهمّشين تحديداً، تحديات كبيرة في الوصول إلى الفضاءات الثقافية والفنية، ما يعكس استمرار أنماط الإقصاء الاجتماعي المرتبطة بالتمييز والعادات السائدة. وفي هذا الأمر، يروي مناضل أحمد (22 عاماً) تجربته قائلاً: "إنني متأكد أنّ لون بشرتي يشكّل عائقاً أمامي"، مضيفاً أنّ "الظلم الاجتماعي ما زال يمارس ضدنا، حتى من الجهات الثقافية". ويشير إلى أنه حاول أكثر من مرّة المشاركة في الأنشطة الفنية، لكنه كان يعود دائماً محبطاً؛ لأنّ المهمّشين، بحسب تعبيره، "ليسوا موجودين في مخيّل الكاتب ولا المخرج، ولو كانوا موجودين، فإنهم سيبحثون عنهم ويحفظونهم ويدربونهم". تُظهر هذه الشهادة حجم الفجوة في تمثيل هذه الفئة داخل الإنتاج الثقافي، وتُبرز الحاجة إلى سياسات ومبادرات ثقافية أكثر شمولاً تفتح المجال أمام المواهب من مختلف الفئات الاجتماعية.

من زاوية تحليلية، يعكس غياب المهمّشين خلافاً في تمثيل المجتمع في الثقافة والإعلام، كما يرى الناشط الحقوقي في قضايا المهمّشين سامي النجار، لا سيما أنّ اليمن متعدّد الطبقات الثقافية والاجتماعية، وهذا التنوّع هو أصل الهوية اليمنية، لكنه يقول: "الدراما اليمنية تُغفل هذا التنوّع، وتجعل الفئة أقلّ حضوراً في السرد الثقافي والفني"، وهو ما أفقد الحكاية اليمنية مصداقيتها.

تحفيز مشاركة الفئة المهمّشة سيعيد التوازن الثقافي للمسلسلات اليمنية؛ لأنّ الدراما ليست للترفيه وحسب، بل للوعي. ويرى النجار أنه "لا بد من دمج كلّ مكونات المجتمع؛ ليكونوا داخل الصورة"، وحتى لا يوجد شعور بأنّ هناك فجوة بين الواقع والدراما، ويتحقّق الإنصاف المرتبط بالكرامة والعدالة الاجتماعية، وتعيد ثقة الجمهور بالدراما.

وعوضاً عن تمكين شباب الفئات المهمّشة وإشراكهم في العمل الدرامي، لا يجد مناضل إلا عبارة: "لما نلاقي فرصة مناسبة لك، بنتواصل معك" في كلّ مرة يطرق فيها أبواب المنتجين، لكن المستغرب أنّ المنتجين أنفسهم يلجؤون للمساحيق التجميلية حين يحتاجون لظهور ممثل بشرته سمراء، ويتساءل مناضل: "ألا أستحق الفرصة؟! قد أكون صديقاً أو جاراً للبطل كمشهد واقعي، لكن أين نحن من الواقع الثقافي؟".

لكن وجهة نظر أخرى ترى أنّ الجمهور هو السبب الرئيسي الذي يدفع المنتجين لاختيار الشخصيات الأكثر جماهيرية على وسائل التواصل الاجتماعي للتمثيل، كما يرى المخرج المسرحي والممثل أحمد جبارة، ويشير إلى أنّ أكبر مشكلة تتمثّل في غياب معاهد الفنون، وهو ما يحرم كثيراً من المهمّشين والفئات المجتمعية الأخرى من تلقّي فرصة التأهيل لتفرض نفسها أكثر على الجهات المعنية.

ومن الأسباب أيضًا غياب الكاتب المتخصّص، بحسب جبارة الذي يقول إن غالبية المسلسلات اليمنية يكتبها أشخاص غير متخصصين، ليسوا كتّابًا حقيقيين، ولهذا تكون الأفكار غالبيتها سطحية، مشيرًا إلى أنّ الأعمال المؤلّفة مشتركة بدون قصص وبرامج حقيقية تخاطب جميع فئات المجتمع.

المخرج العراقي الذي برز اسمه في تاريخ الدراما اليمنية فلاح الجبوري يختلف مع وجهة النظر السابقة؛ إذ يرى أنّ الجمهور يتقبّل أي وجه يمتلك موهبة وكاريزما، موضّحًا أنّ وجود وجه فنيّ من المهمّشين شيء عادي، "ولكن القنوات تخاف من المغامرة ويفضّلون النجوم والمشاهير".

إضافة إلى رأي الفنان عبد الله إبراهيم، الذي برز بأعمال وأدوار لافتة، بأنّه لا بد من وجود اهتمام من مخرجي المسلسلات لإشراك المهمّشين في أعمالهم الدرامية، مشدّدًا على ضرورة اجتهد الفئّة نفسها بشكل أكبر للحصول على الفرص، فالفنّ يحتاج إلى أداء وموهبة حقيقية بعيدًا عن أي مسميات طبقية.

ويضيف عبد الله إبراهيم قائلاً: "أتمنّى وجود أشخاص موهوبين من هذه الفئّة، لديهم الرغبة والنيّة للمشاركة والتدرّج من الأدوار البسيطة، وسأكون بجانبهم لدعمهم في هذا المسار. أنا كفنان أستطيع تأدية أي شخصية وأتشرّف بذلك، لكن إذا عُرض لي تمثيل شخص مهمّش، سأرفض؛ لأن وجودهم الفعلي واجتهادهم واطلاعهم الفني أمر جوهري لتحقيق الواقعية في المسلسلات، وللابتعاد عن استخدام مساحيق تلوين البشرة؛ لأنها تؤثر سلبيًا على حبكة العمل، وتعكس رسائل غير دقيقة تفصل المشاهد عن الدور الذي نقدمه".

يظلّ تساؤل مناظر اعتبارا لضمير المشهد الثقافي، فدمج المهمّشين سيعيد للإنسان كرامته وللنسيج المجتمعي تماسكه، فإمّا أن تكون الدراما لغة عالمية تنصف الجميع، وإمّا أن تظلّ مجرد وسيلة ترفيه تفتقر الصدق والعدالة الفنية.

في الحقيقة، اليمن دولة عظيمة، ولا يستقيم بنيانها إلا بكل عناصرها صغيرها وكبيرها، أسودها وأبيضها، لهذا فإن وجود المهمّشين ضمن إطار الفن والثقافة بشكل عام هو عودة إلى حقيقة الإنسان اليمني الذي عرفه التاريخ، وغياب المهمّشين عن الإنتاج الدرامي اليمني هو تغييب لفئّة اجتماعية كاملة، وأمر يُعيق تحقيق التعايش المجتمعي المنشود في وطن بأمس الحاجة إلى تعزيز تماسك نسيجه المجتمعي وتآلف كلّ سكانه، وهو ما يجعلنا نوّكّد على ضرورة تحوّل الدراما اليمنية من حكايات قاصرة، إلى قصص تنبض بآمال البسطاء في الحارات والأزقة، لنصنع من تنوّع الأنسان اليمني صورة من الجمال تحمي النسيج المجتمعي من مزيد من التمزّق، ويكون الدمج في الدراما حقيقي ينصف روح اليمن الثقافية.

إقصاء المهّمّشين من المشاركة الثقافية والفنّية بالمسلسلات اليمنية



أسامة حمود صالح أحمد



الانقسامات المناطقية وتداعياتها على التماسك المجتمعي في تعز

آفاق الحاج

ليست الخسائر المادية والبشرية وحدها ما خلفته الحرب في اليمن في العشر سنوات الأخيرة، فإلى جانب ذلك، أحدثت شروخاً وتصدّعات عميقة في النسيج المجتمعي. تجسّد ذلك في تفشّي الانقسامات المناطقية، وتحديدًا داخل المجتمع المحلي في محافظة تعز، مدفوعة بجُملة من العوامل، في مقدّمتها الحصار المفروض على المدينة منذ ما يربو على عقد من الزمن، والذي تسبّب بإغلاق الطرق الرئيسية التي تربط أحياء المدينة ومناطقها الريفية بعضها ببعض، بعد أن كانت تمثّل فضاءات للتفاعل الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

ومع إغلاق تلك الطرق، تشكّلت حالة من العزلة القسرية بين مناطق كانت تاريخياً متداخلة ومتماسكة، فالحصار لم يخلق حدوداً جغرافية فحسب، بل خلق معها حدوداً اجتماعية ونفسية داخل المجتمع الواحد والمدينة الواحدة، حين عزل مناطق مثل "الحوبان" (يسيطر عليها الحوثيون) عن مركز المدينة (تسيطر عليها الحكومة اليمنية المعترف بها دولياً)، وليس بينهما سوى بضع مترات.

تختلف ظروف الحياة اليومية والأمنية بشكل كبير في كلا الجانبين، وهو ما ساهم مع مرور الوقت في تفكّك الروابط العائلية والاقتصادية، وتوقّف الأعمال التجارية التي كانت تربط أجزاء المدينة المختلفة، ما أفسح المجال لنموّ تصوّرات نمطيّة عن "الآخر" الذي أصبح بعيداً جغرافياً ونفسياً، وقد أضعف ذلك من التماسك المجتمعي وأنتج انقساماً في نمط الحياة اليومية، وأفسح المجال لظهور مسمّيات تمييزية، ولغة فرز مناطقية بات الناس يتداولونها بشكل اعتيادي، ومن دون وعي في كثير من الأحيان؛ ليصل الأمر إلى خلق هويّات مكانية متناقضة وإصدار أحكام مسبقة بناء على الانتماءات المناطقية، وتعميم سلوكيات فردية على مناطق بأكملها، الأمر الذي خلف أثراً نفسياً عميقاً، وتسبّب بإحداث انقسامات بين المجتمع التعزي.

تعكس تعز، إلى حدّ ما، نمطاً شهدته عدد من التجارب الدولية، فقد أظهرت الصراعات السياسية والعسكرية قدرة واضحة على تحويل الاختلافات الجغرافية إلى انقسامات

ثقافية واجتماعية عميقة. وفي كثير من الحالات، لم تكن الحدود والمناطق بحد ذاتها سبباً مباشراً للصراع، بل تحولت مع مرور الوقت إلى رموز لهويّات متقابلة يُعاد إنتاجها بالخطاب الإعلامي والسياسي. وتُشير دراسات في علم الاجتماع السياسي إلى أنّ الصراعات الممتدة تُعيد تعريف المكان والجغرافيا بوصفهما حدوداً ثقافية واجتماعية بين الجماعات. وقد ظهر هذا النمط بوضوح في تجارب دولية مثل إيرلندا الشمالية والبوسنة، حيث أسهم طول أمد الصراع في إعادة تشكيل الوعي الجمعي، لتحوّل الجغرافيا تدريجيّاً إلى علامة على الانقسام الثقافي والاجتماعي، حتى في مجتمعات عُرفت تاريخياً بدرجة عالية من التعايش والتداخل.

وإذا كانت التجارب الدولية تُظهر كيف يمكن للصراع أن يُعيد تعريف الجغرافيا بوصفها حدوداً رمزية بين الجماعات، فإنّ الخطر الأكبر يكمن في ما يحدث بعد ذلك داخل النسيج الاجتماعي نفسه. فعندما تتحوّل المناطق إلى علامات على الانتماء، تبدأ أنماط جديدة من التمييز والاصطفاف في الظهور داخل الحياة اليومية، من طريقة توصيف النّاس بعضهم لبعض، إلى انتشار الصور النمطية والنكات الساخرة، وصولاً إلى إعادة تشكيل شبكات العلاقات الاجتماعية على أسس مناطقية تمييزية، وهذا ما نراه اليوم حاصلاً في تعز.

لقد انعكست تلك الانقسامات المناطقية في عدد من المظاهر الاجتماعية، أبرزها تراجع مستوى الثقة الاجتماعية بين أبناء المجتمع الواحد، نتيجة انتشار صور نمطية ذات دلالات مناطقية تحمل في بعض الأحيان طابع الكراهية والتحريض. وقد أسهمت هذه التصورات في ترسيخ ثقافة "نحن وهم"، وذلك بتعميم سلوكيات فردية على قرى ومناطق بأكملها، الأمر الذي دفع كثيرين إلى التعامل بحذر مفرط مع من ينتمي إلى منطقة بعينها، استناداً إلى تلك الأحكام المسبقة. وقد بلغ الأمر إلى حدّ امتناع بعض ملاك البيوت في المدينة من تأجير منازلهم لأشخاص ينتمون لمناطق معينة، أو فرض شروط مسبقة عليهم.

ويعكس هذا التطور حجم التصدّعات التي أصابت النسيج الاجتماعي في المحافظة؛ إذ يعزّز ذلك مشاعر الإقصاء والظلم لدى الفئات المستهدفة، ما يؤدّي بدوره إلى زيادة حدّة الاستقطاب وتقويض فرص الحوار والتفاهم، ويُضعف إمكانية ترسيخ ثقافة التعايش داخل المجتمع.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول: إنّ أخطر ما في الانقسامات المناطقية لا يقتصر على آثارها الراهنة فحسب، بل تأثيراتها العميقة على التماسك المجتمعي على المدى البعيد؛ إذ تطال تلك التأثيرات الأجيال الجديدة أيضاً، فالأطفال والشباب الذين نشؤوا في ظلّ هذه الظروف قد يتبنّون هذه التصنيفات المناطقية كحقائق بديهية، وهو ما

يُنذر بإعادة إنتاج للانقسام والتشظي لسنوات قادمة. وهذا ما تحدّث عنه أبحاث ودراسات أجريت حول مجتمع ما بعد الحرب في البوسنة، وذكرت أنّ الأطفال الذين نشؤوا في بيئات اجتماعية منقسمة تعرّز لديهم إدراك مبكر بالهويات العرقية بوصفها حدودا فاصلة بينهم وبين الآخرين، الأمر الذي أسهم في استمرار الانقسامات الاجتماعية حتى بعد توقّف الحرب.

وعلاوة على ذلك، لا تقتصر آثار هذه الانقسامات على النسيج الاجتماعي وحده، لكنها تمتدّ لتؤثر في الإبداع الثقافي والفني في المدينة. فتعز، التي عُرفت تاريخيا بالحراك الثقافي والمسرحي والموسيقي، تحتاج إلى بيئة منفتحة تُشجّع على التلاقى والتفاعل بين مختلف فئات المجتمع. وعندما يسود مناخ الشكوك المتبادلة، تتقلّص المساحات المشتركة، ويتراجع الإنتاج الثقافي الذي يعكس الهوية الجامعة.

وهنا لا يمكن إغفال الدور الذي أدّته وسائل التواصل الاجتماعي في هذا السياق، فقد أسهمت في تضخيم الخطاب التمييزي عبر تداول النكات الساخرة والتعليقات المستفزة، والمسمّيات التي تحمل دلالات سلبية وتكرّس الصور النمطية. فالسرديّة التي تُكرّر يوميا تتحوّل مع الوقت إلى "حقيقة اجتماعية" يصعب إلغاؤها، وهو ما تُشير إليه أدبيات الإعلام الرقمي وتقارير اليونسكو، التي تؤكد أنّ التكرار المستمرّ للصور النمطية والخطابات التمييزية في الفضاء الرقمي يمكن أن يحولها مع الوقت إلى ما يشبه "الحقيقة الاجتماعية" في وعي الجمهور، ما يُفاقم الانقسامات ويُعيد إنتاجها في الواقع الاجتماعي. لذلك يبقى إدراك خطورة هذه الكلمات هو الخطوة الأولى والأهم نحو التغيير. فالمجتمع لا يتفكك دفعة واحدة، بل بكلمات تتكرّر، ونكات تمرّ بلا مساءلة، وتصنيفات تُقال بلا تفكير، وبدون وعي في كثير من الأحيان. وأمام هذه التحولات الاجتماعية التي أفرزتها الانقسامات المناطقية، يصبح من المهم العودة إلى التاريخ لفهم طبيعة المجتمع التعزّي واستحضار ملامح هويته الأصلية، فقد عُرفت تعز عبر تاريخها الثقافي العريق بتنوّعها الاجتماعي وانفتاحها على مختلف البيئات اليمنية. وحين نقرأ تاريخ المدينة، تتّضح صورة مغايرة تماما لما هو عليه الواقع اليوم، فقد كانت عبر قرون ملتقى للتجار والعلماء والطلاب والناشطين القادمين من مختلف مناطق اليمن. واحتضنت مؤسسات تعليمية وثقافية أدّت دورا وطنيا يتجاوز حدود المحافظة. لقد شكّلت نموذجا للمدينة المدنيّة، التي تتعايش فيها خلفيات متعدّدة ضمن إطار ثقافي مشترك، حيث اختلطت العائلات من أصول مختلفة من دون أن يشكّل الانتماء المناطقى عائقاً أمام العلاقات الاجتماعية. ومن هنا، يصبح استحضار هذه السرديات التاريخية ضروريا لإعادة تشكيل الوعي الجمعي، فحين يتذكّر المجتمع تاريخه المشترك ويدرك أبناء تعز أنّ هويتهم

الجامعة أقوى وأعمق من أيّ انتماء فرعي، يُصبح أكثر قدرة على مقاومة خطابات الانقسام. وفي هذا السياق يرى عالم الاجتماع موريس هالبفاكس أنّ استحضار الذاكرة الجماعية للمجتمعات يساعد على إعادة بناء التضامن الاجتماعي وتعزيز الهوية المشتركة، خصوصا في المجتمعات التي تمرّ بمرحلة انقسامات أو توترات اجتماعية.

وبناء على ذلك، يصبح من الضروري إدراك أنّ المسؤولية اليوم تقع على عاتق الجميع أفرادا وإعلاميين ومثقفين ومؤثرين، في نبذ هذا الخطاب، والعمل على ترسيخ قيم المواطنة المتساوية ومبدأ التعايش. ويتطلّب ذلك رؤية شاملة تتجاوز المعالجات السطحية، بدءا من تعزيز مفاهيم المواطنة والتنوّع واحترام الآخر في المناهج التعليمية والأنشطة المدرسية، مروراً بدعم المبادرات المشتركة بتشجيع الأنشطة الثقافية والرياضية والتنموية التي تجمع أفراداً من مختلف المناطق، وتُعيد بناء الثقة عبر العمل المشترك، وليس انتهاء بتبني خطاب ديني وإعلامي واعٍ ومسؤول تجاه المجتمع، يُعزّز الأواصر الاجتماعية ويقوّي تماسكه المجتمعي.

في نهاية المطاف، تمثل الانقسامات المناطقية في تعزّز واحدة من أخطر ما أفرزتها سنوات الحرب وتمسّ عمق المجتمع، وتؤثّر على العلاقات اليومية فيه، فالحرب قد تتوقّف يوما ما بتوقيع اتفاق أو هدنة، لكن الشروخ الاجتماعية، إن تُركت دون معالجة، قد تمتدّ لعقود، وتنتقل من جيل إلى آخر. ما يجعل من الضروري استعادة هوية تعزّ الثقافة الجامعة وبناء جسور الألفة والثقة بين أبنائها، لضمان تعافي المجتمع وإقامة مجتمع متماسك يسوده التعايش وجميعه المصير المشترك.

الانقسامات المناطقية وتداعياتها على التماسك المجتمعي في تعز



نورا عبدالله عبدالمؤمن حسن



الأهازيج الرمضانية

تعزيز للترابط المجتمعي من دفء الماضي إلى روح المستقبل

أنوار بازهير

يتميز رمضان دون غيره من الأشهر بروحانيته وطقوسه المتفردة التي تُمارس كل ليلة في البيوت والأزقة الضيقة. ففي كل ليلة رمضانية في مديرية القطن يجتمع الأطفال تحت أنوار البيوت الخافتة؛ ليرنموا بالأهازيج التي خلدها الذاكرة الشعبية بأصوات أسرة، وإيقاعات فاتنة، تؤدّي بحماس وشغف طفولي بديع. ولكن بدأت هذه الأصوات تخفت سنة بعد أخرى، وبدأت هذه الصورة الأسرة تتلاشى شيئاً فشيئاً، ليخرج بعد ذلك واقعاً مختلفاً يهدد إرثاً ثقافياً قيماً شكّل لعقود طويلة جزءاً أصيلاً من هوية المجتمع المحلي. وهناك عدة عوامل أَلقت بظلالها على هذا التقليد المتعارف عليه لتشكل بذلك بداية تراجع ممارسة الأطفال للأهازيج الرمضانية. وقد سعى الناشطون الثقافيون في الفترة الأخيرة لتوثيق تلك الأهازيج وإعادة إحيائها نظراً لإدراكهم بأهمية ممارستها بين الأطفال على المجتمع المحلي.

تُشكّل الأهازيجُ الرمضانيةُ لغةً تراثيةً قيّمةً تعيد صياغة مظاهر الاحتفال التقليدي في رمضان، وإنّ عدم لفت النظر إلى ممارسة الأطفال للأهازيج ما هو إلّا تقليل من شأنها الحقيقي كركيزة ثقافية واجتماعية لها أثر مباشر على السلوكيات المجتمعية، والهوية، والانتماء. فقد مثّلت تلك الأهازيج وسيلةً تتوارث عبرها الأجيال القيم الدينية، والاجتماعية، والإنسانية. وجسّدت بممارستها سلوكاً اجتماعياً ثقافياً يعكس مظاهر التماسك في المجتمع. كما ذكرت الأخصائية الاجتماعية فاطمة إسحاق أنّ الأغنية الشعبية التقليدية تُعلّم، وتُساهم في التنمية اللغوية، وتفتح المجال للتعبير، وتُشجّع الطفل على استخدام صوته وثقته بنفسه. كما أنها تُحفّز الخيال وتُحرّك الإبداع. إنّ تراجع ممارسة تلك الأهازيج يمثل انحساراً لعادة شعبية أسهمت في تشكيل وعي الأطفال؛ باعتبارها رسائل موجهة تسهم في تصحيح بعض السلوكيات وتعيد ضبط بوصلة الأخلاق الرمضانية.

تُحاصر قضية ممارسة الأطفال للأهازيج الرمضانية اليوم بعوامل كثيرة تتكالب عليها، ويمكن النظر إلى هذا التراجع بوصفه نتيجة مباشرة لتحولات طرأت على أنماط الحياة

في الفترة الأخيرة، وفي مقدمتها هيمنة الحياة الرقمية، واستخدام الأطفال للتكنولوجيا، والأجهزة الإلكترونية الحديثة بكثرة، مما أضعف الحاجة إلى التفاعل بين الأطفال؛ حيث أصبح الطفل يعيش في فضاء مغلق وغير فعال كما كان في السابق، وأصبح كل طفل يعيش رمضانه الخاص بمفرده وخلف شاشته المضئية. كما أسهم غياب دور الأسرة الفعّال وانشغالها، وتراجع المساحات المشتركة، وغياب المبادرات المجتمعية المنظمة للفعاليات التراثية والثقافية في إبعاد الأجيال الجديدة عن ممارسة هذه الأهازيج التي كانت في يوم ما جزءًا من تفاصيلهم اليومية في رمضان. وكما شكلت بعض الآراء الدينية المتعصبة ضد قضية ممارسة الأهازيج الرمضانية سبباً مهماً لتراجع ممارستها في المجتمع المحلي؛ كون الأهازيج -برأيهم- تخذش روحانية رمضان من الناحية الدينية غافلين عن نوعيتها، وكلماتها، وأساليب ترنيمة التي لا تتعارض مع الدين من أي اتجاه. ومع هذا التراجع، فقد الأطفال مساحة تلقائية يتعلمون فيها معنى المشاركة، واحترام الآخر، والعمل ضمن فريق، وهي قيم ما زال المجتمع اليوم بأمرس الحاجة إلى إعادة ترسيخها في سلوك أفرادها.

كانت الفعالية الرمضانية في السابق تتشكّل تلقائياً في الأحياء، من خلال تجمعات الأطفال والحركة الحيوية في الأسواق والبيوت. أما اليوم، فقلّما نجد مبادرات رسمية أو أهلية تُعيد إحياء هذا الموروث أو توفر للأطفال بيئة مناسبة لممارسته. ومع غياب التنظيم، تلاشت الأجواء التي كانت تسمح لهذه الأهازيج بأن تُزهر كل عام. قد يظن البعض أن اختفاء الأهازيج لا يشكل مشكلة حقيقية في ظل التغيرات الكبيرة التي يشهدها العصر. لكن هذا الرأي يغفل أبعداً عديدة تُبين أنّ الحفاظ عليها ضرورة تربوية واجتماعية، إذ يؤكد أحمد خيرى في مقاله -على الجزيرة نت- أن الأهازيج الرمضانية تشجع الصغار على الصيام وتعزز انتمائهم، وهي أحد أكثر التقاليد رسوخاً؛ حيث تحرص كبرى المؤسسات في دول مثل قطر على إحيائها لأنها تعيد إنتاج الموروث بقلب جماعي مبهر. وترى نادية الفواز أن الأهازيج الرمضانية ترسخ قيم التآلف والترابط؛ حيث تجتمع الأسرة في ليلتها، ويؤدي الأطفال الأهازيج التي تعزز القيم والروابط الاجتماعية. وبذلك تمثل الفعاليات المشتركة أساساً لتعزيز التلاحم الاجتماعي، وتصفية النفوس، وتجسد بذلك روح التعاون والتكافل. ومن ثمة فإن غياب هذه الطقوس اليوم يعني هشاشة أكبر في الروابط الاجتماعية المجتمعية التي تُعد ركناً أساسياً في بناء شخصية الطفل.

توثيق الأهازيج قبل الضياع

تتجلى لنا اليوم الضرورة الملحة لتوثيق ما تبقى من الأهازيج الرمضانية الخاصة بمديرية القطن بنصوصها، وإيقاعاتها، والمناسبات التي كانت تُقال فيها. فالتوثيق

يمنح التراث حياة أطول وينقله إلى الأجيال القادمة مهما تغيّر الزمن. فالتجارب العالمية تُثبت أنّ التراث الشعبي -كأهازيج القرقيعان والشعبانية- قابل للعودة والازدهار إذا وجد من يرعاه ويمنحه فضاءً مناسباً. والأطفال بطبيعتهم يحبون الغناء واللعب والحركة، وإذا وجدوا بيئة مشجّعة فسيتحمّسون لتعلّم الأهازيج كما تحمس لها آبائهم. لكنّ الأمر يحتاج إلى إرادة مجتمعية مشتركة لا مجرد مبادرات فردية متفرقة. فحين تدرك الأسرة والمجتمع أنّ هذه الأهازيج ليست مجرد أغنيات، بل هي جزء من هويتهم، سيعود الاهتمام بها تلقائياً.

إنّ استبدال هذه التجارب بتجارب افتراضية مختزلة يترك أثراً سلبياً في النمو العاطفي والاجتماعي للطفل. ومن أجل مناصرة هذه القضية، ينبغي أن نعمل على تجديد تلك الأهازيج وتطويرها. وفي هذا السياق، يمكن طرح مجموعة من المبادرات الواقعية تبدأ من المدرسة الحاضنة الأولى التي تعتبر بيئة مناسبة لزراعة التراث. حيث يمكن تخصيص يوم رمضاني سنوي للأهازيج، تشارك فيه فرق طلابية صغيرة، مع شرح مبسّط لتاريخ هذه الأهازيج ومعانيها مع استضافة كبار السن ليحكوا للأطفال التجارب الرمضانية القديمة، فيكون الطفل أقرب إلى الموروث من مصدره الأصلي. ولا يمكن لأي مشروع أن ينجح دون دور الأسرة لبدء التغيير. فالأسرة هي الجسر الأول الذي يُعبر من خلاله التراث إلى المستقبل. كما أنّه من المهم أن تُسهّم الصفحات المحلية والناشطون والمؤثرون في نشر الأهازيج من جديد عبر محتوى جذاب، وتوثيقها بالصوت والصورة، وتشجيع الأطفال على المشاركة في تحديات أو مسابقات صغيرة، أو فعالية تمتد عدة أيام يجتمع فيها الأطفال من أحياء مختلفة لعرض الأهازيج حيث يمكن أن تتحوّل تدريجياً إلى تقليد سنوي يجذب السياح والزوار أيضاً، مما يعزز صورة المديرية ويُنعش دورها الثقافي.

إنّ إحياء الأهازيج الرمضانية ينبغي أن يكون ردة فعل اجتماعية واعية تُسهّم في تصحيح مسار بعض السلوكيات، وتعيد الاعتبار لقيم إنسانية بسيطة صنعت تماسك المجتمع في الماضي. فهي ترتبط بروح رمضان، وتحمل في طياتها معاني السلام والتعايش، وتغرس في نفوس الأطفال قيم العطاء والتعاون والعمل الجماعي، ليصبح السلام سلوكاً فعلياً. وفي هذا السياق، يتحمل المجتمع بمختلف فئاته مسؤولية جماعية في الدفاع عن هذا الإرث، واستثماره بوصفه وسيلة فاعلة لبناء جيل أكثر وعياً وتماسكاً. فالحفاظ على الأهازيج الرمضانية استثمار في الهوية الثقافية، وتعزيز للترابط الاجتماعي، وضمان لانتقال القيم الإنسانية للأجيال القادمة قبل أن تتحول إلى مجرد ذكرى محفوظة في أرشيف الزمن. ومن هنا، تبرز الحاجة إلى تحرك واعٍ لإحياء هذه الأهازيج وإعادة دمجها في حياة الأطفال. ويبدأ هذا الدور من الأسرة

وتشجيع أبنائها على المشاركة الجماعية، وتعريفهم بقيمة هذه الممارسات. ويتعزز من خلال المبادرات المجتمعية التي يمكن أن تخلق فضاءات آمنة للإنشاد واللعب الجماعي. كما أن للمؤسسات الثقافية والتعليمية دورًا محوريًا في تبني هذه الأهازيج بوصفها أدوات لبناء الإنسان الحقيقي قبل أن تكون مظاهر احتفالية.

خراز-الأهازيج الرمضانية



سلمى علي هادي



الدان الحضرمي في تريم:

هل نحمي اللحن أم نحمي المجتمع؟

عبدالرحمن الكاف

الدان أنغام إبداع *** عشاق له جم واتباع
وله مقامات أنواع *** سماع أيضًا وإيقاع
للدان في المجتمع شأن *** وله قواعد وأوزان
أسمار أشعار ألحان *** يذوقها كل فنان

تلخص هذه الأبيات التي أوردها الشاعر والباحث جيلاني علوي الكاف في كتابه منظومة الدان، مكانة الدان الحضرمي في الوجدان الجمعي لأبناء حضرموت، ولا سيما في مدينة تريم. وقد تعزّزت هذه المكانة حين أدرج الدان في ديسمبر 2025م ضمن قائمة التراث الثقافي غير المادي للإنسانية لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، ليصبح اعترافًا عالميًا بفنٍ يمثل هوية مجتمعٍ كامل، لا مجرد لونٍ غنائي.

غير أنّ هذا الاعتراف لا يمنح الدان شهادة تقدير فحسب، بل يحمله مسؤولية الصون والتفعيل، بوصفه جسرًا للتواصل بين الأجيال وأداةً لبناء العلاقات الاجتماعية. فالدان في تريم ليس فنًا يُؤدّى في الأمسيات فقط، بل منظومة اجتماعية تُسهم في تعزيز الحوار وترسيخ قيم التماسك والسلام المجتمعي.

نشأ الدان في البيئة الصحراوية، حين كان الجمّالون يحدون الإبل في حلّهم وترحالهم، فتولّد من إيقاع الخطو صوتٌ غنائي بسيط حمل مشاعر التعب والحنين والتأمل. ومع الزمن، تحوّل هذا الصوت إلى ممارسة اجتماعية راسخة، انتقلت من الصحراء إلى الحواضر، وخصوصًا في مدينة تريم.

وتعود جذور الدان إلى القرن الخامس عشر الميلادي، إذ وردت لفظة "الدان" في قصائد الشاعر والعالم الصوفي عمر بن عبد الله بامخرمة، المتوفى سنة 952هـ بمدينة

سيئون، وذلك حسب دراسات بحثية متعددة عن تاريخ الدان والتي منها دراسة للأستاذ المؤرخ: جعفر السقاف(2)

ومع انتقاله إلى المدن مثل سيئون وشبام، تشكّل ما يُعرف بالدان الحضري، الذي استلهم ألحان البادية وأضاف إليها تنويعات لحنية أوسع. وأسهم شعراء وملحنون في تطويره، من بينهم سعيد مبارك مرزوق، وحداد بن حسن الكاف، مستور حمادي، سالم عبدالقادر العيدروس، وسليمان بن عون وغيرهم، حتى أصبح الدان أكثر ثراءً في البناء اللحني والموضوعات، مع احتفاظه بروحه الجماعية. (2)

جلسات الدان في تريم: مدرسة اجتماعية مفتوحة تُعد جلسات الدان في مدينة تريم التاريخية حاضنة العلم والثقافة والفنون، مساحة اجتماعية فاعلة، يجتمع فيها الشعراء والمغنون وعشاق الفن من مختلف الفئات: الحرفيون، البنّاءون، طلبة العلم، وكبار السن. وتعد هذه المجالس فضاءً لإعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية وتعزيز لغة مشتركة بين أفراد المجتمع. (2)

كانت الجلسات تُعقد بروح عفوية؛ يبدأ المغني، فيرتجل الشعراء الأبيات، ويتفاعل الحاضرون معها.

ويعتمد نجاح الجلسة على عناصر أساسية:

المغني: الذي يفتح اللحن.

الشعراء: الذين ينسجون الأبيات.

المُقلّن: الذي يساعد على تذكّر النصوص وضبط الإيقاع. (2)

مع التطور العلمي التقني الفني والموسيقي ظلت جلسات الدان مُحافِظةً على طابعها الأصلي وذلك لعدم دخول أية آلة إيقاعية أو موسيقية في الجلسة خاصة في المدن الرئيسية (تريم - سيئون - شبام) والواقع إنّ هذه الجلسات لفتت أنظار الكثير من السياح والزوار العرب والأجانب لتفرد طقوسها، بل اعتبرها البعض شكلاً من أشكال الغِناء غير المصاحب لأي آلة سواء كانت إيقاعية أو موسيقية في الجزيرة العربية في العصور السابقة في الإسلام، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الدان لون شعبي قديم في المجتمع.

من أبرز الشخصيات التي لعبت دوراً محورياً في إحياء جلسات الدان في تريم هو الشاعر والمُلحن والأديب العلامة عمر بن حسن بن عبدالله الكاف، الملقب بـ "حداد" أحد

أعمدة الدان الحضرمي في المدينة، حيث كان بيت حداد ملتقى للشعراء والفنانين، وتُعقد فيه جلسات الدان، ويُقدم الدعم للفنانين الناشئين من مختلف الأعمار. وكان حداد بن حسن، إلى جانب كونه شاعرًا ومُلحنًا، يشجع الهواة ويدعمهم، بالإضافة إلى أنه كان يُقدّم كل الموارد اللازمة لإنجاح الجلسات من طعام وراحة (حسب ما أورده لنا حفيد الشاعر السيد زين حامد الكاف).
تُعد جلسات الدان وسيلة فعّالة لبناء الروابط بين أفراد المجتمع، وتعمل على تعزيز الحوار بين الأجيال المختلفة. حيث أسست مؤخرًا فرق ثقافية في تريم مهتمة بالدان وجلساته مثل "فرقة الغناء للدان الحضرمي" و"منتدى قل دان الثقافي"، الذي ينظم فعاليات محلية ودولية.
(التي أخبرنا بها الأستاذ عيدروس العيدروس رئيس فرقة الغناء للدان الحضرمي).

الدان كحوار ناعم وضابط اجتماعي

ويُمكن القول: أنّ الدان أداة حوار مجتمعي راقٍ. فعندما تُطرح قضايا مثل تكاليف الزواج، أو قيم التكافل، أو الأخلاق العامة، تُصاغ شعراً في أجواء ودية، فيتحول الفن إلى وسيلة معالجة بلا صدام.

قال الشاعر والملحن أحمد عمر شماخ:
لغصان يشكين من ثقل العناقيد محنيه
كله سببها السّتر لي هي على الحيط ملويه
لو كان ليد تصل كل يد وصلت الى عنقود

تشير هذه الأبيات برمزية إلى تكاليف الزواج الباهظة في مدن حضرموت، التي عبّر عنها الشاعر بالسّتر (جمع سُترة) وهي الأسوار المقامة حول البساتين. (3)

بهذه اللغة الشعرية، كان الدان يُعالج القضايا الدينية والاجتماعية، فيرسّخ القيم الأخلاقية ويعزز الوعي الجماعي دون توتر. إنّ «حوار ناعم» يُعيد ضبط الإيقاع الاجتماعي من الداخل، ويمنح المجتمع فرصة التعبير والتصحيح بروح جماعية.

وقد ارتبط الدان الحضرمي بعدد من المناسبات الدينية والروحية، حيث يُستخدم لنشر القيم الأخلاقية والاجتماعية. وكان يُستخدم أيضاً لتكريم الشخصيات البارزة في الفن

والشعر، مثل جلسة الدان التي أُقيمت في ذكرى وفاة مغني الدان عوض بن يسلم بريك في عام 2016م بمدينة تريم. (5) هذا الارتباط الروحي منح الدان بُعدًا أخلاقيًا يتجاوز الطرب، ليُصبح أداة تذكير بالقيم الجامعة، وحارسًا للهوية الدينية والاجتماعية.

في العصر الحديث، أسهمت وسائل الإعلام في توسيع دائرة انتشار الدان. فقد نقلته القنوات الفضائية، مثل قناة حزموت وتلفزيون حزموت، إلى جمهور أوسع، كما لعبت منصات التواصل الاجتماعي دورًا مهمًا في تعريف أجيال جديدة به داخل اليمن وخارجه. إنَّ انتقال الدان من المجلس إلى الشاشة لم يُلغ جوهرة الجماعي، بل أتاح له فضاءً أوسع للتعريف بالهوية الحضرية وتعزيز حضورها عالميًا. غير أنَّ التحدي يبقى في الحفاظ على روحه الحيّة، حتى لا يتحول إلى عرضٍ بلا سياق اجتماعي.

وتعد الاستدامة الثقافية حجر الزاوية في الحفاظ على فن الدان الحضرمي، فبفضل نقل هذا الفن بين الأجيال، يمكن ضمان استمراريته، وهذا سوف يساهم في تعزيز الهوية الثقافية المحلية وحمايتها من التحديات المعاصرة، وسيسهم أيضًا في تعزيز مكانة حزموت الثقافية على مستوى العالم.

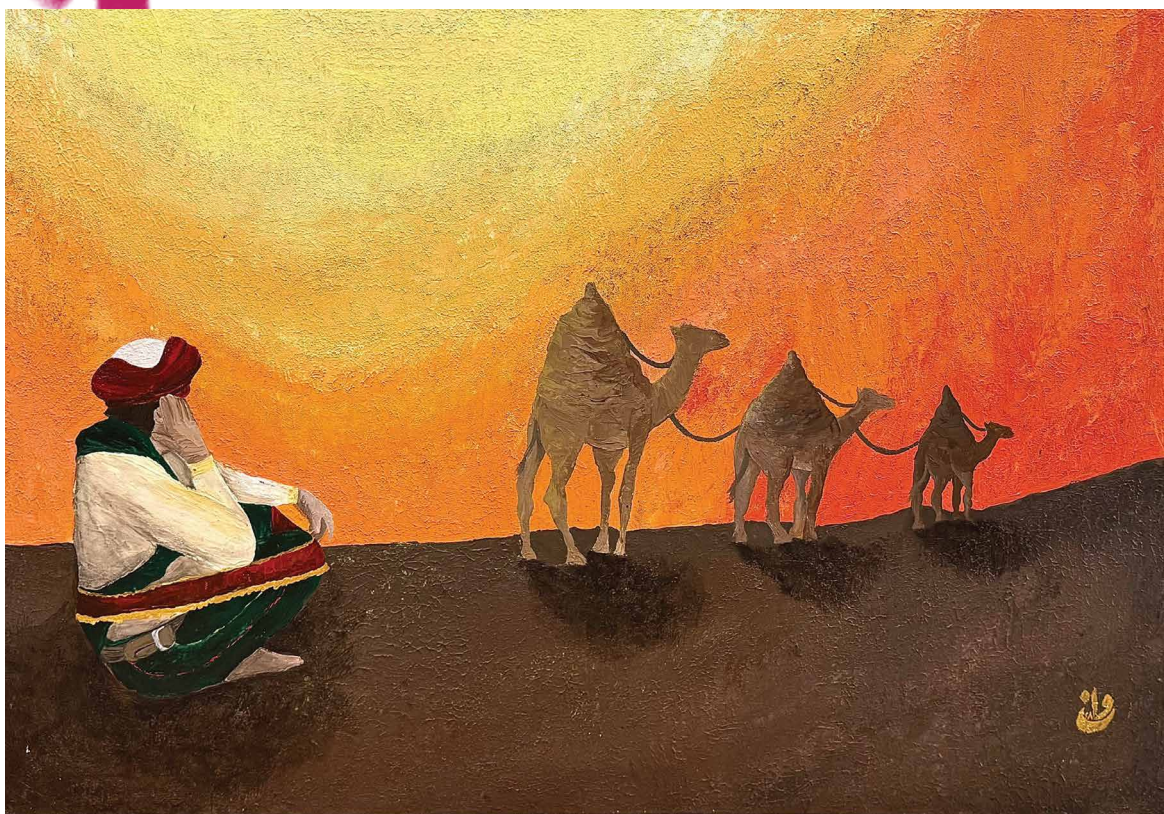
لا يمكن التعامل مع الدان الحضرمي بوصفه مادة فولكلورية للزينة الثقافية. إنَّ إدراجه في قائمة التراث العالمي يضع المجتمع أمام خيار واضح: إما أن يحافظ عليه ممارسةً اجتماعية حيّة، أو يفرغه من معناه ويحوّله إلى مشهدٍ احتفالي بلا روح. في تريم، أثبت الدان قدرته على إنتاج الحوار، وضبط الخلاف، وبناء المعنى المشترك بين الناس. وفي زمن تتفكك فيه الروابط، يصبح التمسك به موقفًا ثقافيًا وأخلاقيًا، لا حنينًا إلى الماضي.

إنَّ حماية الدان ليست حماية لحنٍ جميل فحسب، بل حماية لمدرسة اجتماعية علّمت أبناء حزموت أن يتحاوروا شعرًا، ويتقاربوا إيقاعًا، ويبنون وحدتهم صوتًا بعد صوت. ومن هُنا، فإنَّ السؤال الحقيقي ليس: هل نحمي اللحن أم نحمي المجتمع؟ بل إنَّ اللحن ذاته هو أحد أشكال حماية المجتمع، وحفظ ذاكرته، وصون وحدته.

الدان الحضرمي في تريم هل نحمي اللحن أم نحمي المجتمع؟



روان بن اسحاق



التراث من الذاكرة إلى الممارسة

مدرسة القيم في مواجهة العزلة الرقمية

أشرف فاضل

كان التراث يوماً جزءاً من الحياة لا يحتاج إلى تعريف ولا إلى تذكير؛ لم يكن كلمة في الصحف ولا عنواناً لمهرجان، بل حضوراً يسكن تفاصيل الأيام العادية في البيوت التي تتشابه رائحتها مع رائحة القهوة، في المجالس التي تمتد فيها الحكايات حتى يغلب النعاس، وفي الأسواق التي يعرف فيها الناس بعضهم قبل أن يعرفوا ما يبيعون ويشترون. عاش هذا الحضور في إيقاع الحياة البسيط، في أشياء تبدو عادية إلى درجة أننا لا نراها، لأنها تحيط بنا كهواء مألوف لا نشعر بقيمته إلا حين يختفي.

ومع تغيّر الإيقاع وتسارع الخطى، بدأ هذا الحضور يتراجع بهدوء، فانزاح من الممارسة إلى الاستذكار، ومن العيش إلى الحنين. لم يعد جزءاً من التفاصيل اليومية، بل أصبح ذكرى تُروى، ولم يعد التحديّ اليوم في حفظ التراث بوصفه ذاكرة، بل في إعادة إدخاله إلى نسيج الحياة اليومية حتى لا تتسع الفجوة بين الأجيال أكثر. وهنا يبرز السؤال الأعمق: ماذا يبقى حين يغيب الفعل؟ وكيف تُصان الهوية إذا لم تُعش؟

في حضرموت، عاشت هذه الموروثات بهدوء يشبه طمأنينة المكان، يغني الفلاح وهو يشق الأرض بيديه، فيتسرّب صوته مع حبات التراب كأنه حوار قديم بين الإنسان والأرض. ويردّد الراعي أهازيجه في المراعي البعيدة، فتختلط الأصوات بنسيم الصباح وخطوات الحياة اليومية، وتتحول المراعي إلى مسرح صغير للحكايات التي لا تنتهي. كانت تلك الأهازيج جزءاً من التعب والفرح معاً، وعلامة على صلة عميقة بين الإنسان وما يصنعه بيديه وما يعيشه بقلبه، وكأنها لغة سرية يفهمها الجميع دون شرح أو تفسير. كانت الحكايات امتداداً طبيعياً للذاكرة، تنتقل بين الأجيال بخفة لا يشعر معها أحد بثقل الزمن؛ فالجدة تروي للأحفاد قصصاً عن الماضي كما لو أنها تحدثهم عن يومها، والطفل يسمع فيتخيّل عالماً واسعاً يربط بين الأمس والغد. لم يحتاج أحد إلى إعلان الحفاظ على هذا التراث؛ لأنه هو من كان يحفظهم، يربط أيامهم ببعضها ويمنحها معنى مألوفاً وعميقاً. لقد كان التراث طريقة للعيش، وجسراً يربط الإنسان بمحيطه، ويذكره بأن الهوية كائن حي ينمو ويتجدّد مع الزمن.

مع الوقت تراجعت التفاصيل الصغيرة التي كانت تشكّل نسيج الحياة اليومية. قلّت المجالس التي تجمع الناس بلا موعد، وأصبح الوقت موزّعاً على التزامات مرتبة بدل أن يكون مساحة للحضور العفوي. الحرف التي كانت تتوارثها الأيدي داخل البيوت بدأت تنتقل إلى الذاكرة، تتحول من ممارسة حيّة إلى حكاية تُروى عن الماضي. وحتى في أسواق حضرموت القديمة، التي كانت تضحّ يوماً بأصوات الحرفيين، يُلاحظ اليوم تراجع حضور بعض المهن التقليدية أو اقتصارها على عدد محدود من كبار السن.

يشير الواقع إلى تراجع ملموس في عناصر التراث الثقافي غير المادي، وهو ما تؤكد مؤشرات دولية؛ فوفقاً لمنظمة اليونسكو إلى أن نحو 40% من عناصر التراث الثقافي غير المادي مهددة بالاندثار نتيجة ضعف انتقالها بين الأجيال، وهو ما يوضح حجم الفجوة التي تتشكل بهدوء داخل المجتمعات. كما أن تحوّل أنماط العيش لعب دوراً حاسماً؛ فمع انتقال أكثر من 56% من سكان العالم إلى الحياة الحضرية، تقلّصت المساحات اليومية التي كانت تسمح بممارسة التراث بوصفه جزءاً طبيعياً من الحياة، وفقاً لبيانات البنك الدولي.

ومن هذا الابتعاد تشكّلت فجوة بين الأجيال؛ ليست فجوة صراع، بل فراغ خلفه غياب المساحات التي كانت تجمعهم تلقائياً. حين تخفتي المجالس وتراجع الحرف ويقلّ العمل المشترك، يصبح الحوار أصعب رغم بقاء الرغبة فيه حيّة. يختفي المكان الطبيعي الذي تُقال فيه الحكايات وتُتبادل فيه الخبرات، فلا يسمع الطفل القصص كل مساء، ولا يشارك في تفاصيل الحياة الجماعية التي تعلّم دون أن تُدرّس. ويظهر أثر ذلك بوضوح في الحرف التقليدية، حيث تشير تقارير مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) إلى ارتفاع متوسط أعمار المشتغلين بها عالمياً، مقابل تراجع دخول الشباب إلى هذا المجال، وهو مؤشر صريح على تعثر انتقال الخبرة بين الأجيال. تكبر مسافة غير مرئية بين الأجيال، مسافة تُقاس بغياب التجارب المشتركة، ومن هنا يبرز السؤال: ما الذي سيبقى، وكيف يمكن أن يُنقل؟ اليوم يبدو الواقع أكثر ابتعاداً عن جذور الهوية. نتحدّث عن التاريخ، لكننا لا نعيش تفاصيله كما ينبغي. كيف ستنقل هذه الهوية إلى الجيل القادم إن لم يعشها معنا؟ كيف سيحفظ الطفل حكاية لم يسمعها، أو يتعلّم حرفة لم يرها، أو يشعر بالانتماء إلى طقوس لم يشارك فيها؟ فالهوية لا تُورث بالكلمات، بل تنتقل بالتجربة والعيش والمشاركة.

ولكي يعود التراث إلى موقعه الطبيعي في الحياة، لا يكفي أن نستحضره بوصفه ذكرى دافئة تُروى، بل أن نهبّئ له سُبلاً جديدة ليُعاش في زمنٍ تغيّر إيقاعه. فإحياء الحرف يبدأ من إعادة نبضها في الأيدي التي تتعلّمها، وإعادة المجالس تكون بفتحها لوجوه جديدة تحمل أسئلة الحاضر وهمومه. وحين تمتدّ أدوات العصر لتوثق

الممارسة الحيّة لا أن تحبسها في الأرشفة، يصبح الماضي أكثر قدرة على التنفّس داخل الحاضر. عندها يكون خبرة تُجرب، وحياة تتجدّد. ومع ذلك، تحتفظ الذاكرة بتفاصيل قادرة على العودة متى عاد المكان الذي تُقال فيه الكلمات، وعاد الوقت الذي يسمح بأن تُسمع. فالحكايات والأمثال والأغاني تحمل خبرات طويلة من الحكمة، والعادات والطقوس الجماعية تعيد الشعور بالعمل المشترك والانتماء، وفي الحرف القديمة تسكن قصص تُروى بالأيدي قبل الكلمات، وتمنح من يتعلّمها إحساسًا بالامتداد، بينما تبقى الأسواق والمجالس مساحات يمكن أن يعود إليها اللقاء والحوار متى أُعطيت فرصة جديدة للحياة. وتبقى كفوف الحناء، حين تجتمع حولها الأصوات والضحكات، تذكيرًا بأن بعض الطقوس لم تنقطع، وأنّ ما يجمع الناس قادر على العودة كلما التقوا حول معنى مشترك؛ كأن الدفء الذي يملأ البيوت لم يغيب، بل ينتظر فقط فرصة ليعود.

التراث من الذاكرة إلى الممارسة

شذى النهدي



الصالون الأدبي في حضرموت

منصة ثقافية لنقل التراث وتعزيز التماسك المجتمعي

محمد بارمادة

في أعقاب الأحداث السياسية الأخيرة التي جرت في محافظة حضرموت، برزت حالة من الانقسام السياسي انعكست آثاره على المجتمع المحلي، وأمدت أوج الخلافات إلى العلاقات الاجتماعية ومساحات الحوار العامة، وقد أثار ذلك مخاوف بشأن تراجع حالة التماسك التي عُرفت بها حضرموت تاريخياً، الأمر الذي دفع مهتمين بالشأن الثقافي إلى التأكيد على أهمية استعادة دور الثقافة بوصفها مساحة جامعة قادرة على التقريب بين الناس وتعزيز قيم التعايش والتسامح والحفاظ على الهوية المشتركة، خاصة في أوساط الشباب، إذ برزت في لحظةٍ تتسع فيها مسافات الخلاف جلسات الصالون الأدبي في مدينة سيئون التي يحتضنها مركز سيئون الإبداعي، كمبادرة ثقافية تسعى إلى نقل التراث الأدبي والحكايات الشعبية إلى الأجيال الجديدة، وخلق منصة مفتوحة للحوار تجمع الأدباء والمثقفين والشباب من مختلف مناطق وادي وصحراء حضرموت، لتطرح هذه التجربة نموذجاً لدور المبادرات الثقافية في التخفيف من آثار الانقسام السياسي والإسهام في تعزيز التماسك المجتمعي والهوية الجامعة.

وفي إطار تعزيز التماسك الاجتماعي وبناء السلام في اليمن والذي ترعى برامجه منظمة اليونسكو للحفاظ على التراث الثقافي، يسهم الصالون الأدبي الذي بدأ جلساته الأولى في العام 2024م في فتح نوافذ للحوار وتبادل الأفكار وإحياء الموروث الأدبي المحلي، من خلال جلسات تعتمد على قراءة النصوص الأدبية واستحضار الحكايات الشعبية والتجارب التي شكّلت وجدان المجتمع الحضرمي عبر عقود طويلة لتقديمه بأساليب حديثة تجعل منه قريباً من اهتمامات الشباب وأكثر حضوراً في حياتهم اليومية لتتحول جلسات الصالون إلى مساحة تفاعلية يتبادل فيها المشاركون النصوص والآراء، ويستعيدون من خلالها قصصاً وحكاياتٍ شعبية تُعبّر عن الهوية المحلية، في محاولة للحفاظ على التراث الشفهي من الاندثار، وتعريف الأجيال

الجديدة بجذورها الثقافية.

ومع الأحداث التي شهدتها بعض مناطق حضرموت خلال شهري ديسمبر ونوفمبر من العام المنصرم 2025م، والتي أثارت مخاوف من تأثيرها على حالة الاستقرار التي عُرفت بها المحافظة، يكتسب الصالون الأدبي أهمية إضافية إذ يحرص المشاركون على التطرق إلى هذه الأحداث من زاوية ثقافية ومجتمعية عبر نقاشات تسلط الضوء على أهمية الحوار ونبذ العنف وتعزيز قيم التعايش بين أبناء المجتمع، كما يؤكد "فهيم عرفان" أنّ الثقافة يمكن أن تلعب دورًا مهمًا في مواجهة الانقسامات من خلال توفير مساحة آمنة للنقاش وتبادل الآراء وتشجيع الشباب على تبني مبادرات إيجابية تركّز على البناء والإعمار بدلًا من التخريب وتعيد توجيه الاهتمام نحو تنمية المجتمع وتعزيز استقراره .

أكثر من عام حتى الآن والصالون الأدبي بجلساته المستمرة بشكل شهري منتظم في مركز سيئون الإبداعي، ما أسهم في ترسيخ الصالون الأدبي كأحد أبرز الأنشطة الثقافية في محافظة حضرموت، بحضور عدد من المشاركين من مديريات ساه والقطن وشبام المتاخمة لمديرية سيئون مركز وادي حضرموت. إضافة إلى توسّع الصالون الأدبي لتشمل جلساته مديرية القطن لبعد المسافة على المشاركات الحضور إلى مدينة سيئون لحضور الجلسات ما أضفى هذا التعدد ثراء واضح على النقاشات والقراءات الأدبية، إذ تحوّلت الجلسات إلى مساحة تلتقي فيها تجارب مختلفة ورؤى متعددة ما أسهم في تعزيز الحوار الثقافي وتبادل الخبرات ورسخ روح التفاعل والتقارب بين أبناء مديريات وادي حضرموت ضمن إطارٍ أدبي يجمعهم على الاهتمام بالكلمة والتراث والهوية.

وتُعد جلسات الصالون الأدبي فرصة لتعزيز تبادل الأفكار والرؤى بين المشاركين، حيث تتيح النقاشات المفتوحة للحضور التعبير عن آرائهم ومشاركة تجاربهم الأدبية، ما يساهم في خلق حوار ثقافي متنوع يعكس اهتمامات المجتمع المحلي وتطلعاته وأضفى تعارف بين مجموعة من الشباب الذين يكتبون في عدة مجالات، وساهم بشكل كبير في ربط أعضاء الصالون الأدبي بأساتذة في مجال الكتابة للتطوير من كتاباتهم، في حين تتنوع موضوعات الجلسات بين الأدب والشعر والسرد القصصي وخواطر متناثرة، إلى جانب مناقشة القضايا الثقافية والاجتماعية التي تمس المجتمع، وهو ما يجعل من الصالون منصة حية للحوار الثقافي، تتجاوز حدود النشاط الأدبي التقليدي.

ولعل مساحة النقاش الثقافي الذي أسهم في توفيره الصالون الأدبي في مدينة تفتقر

إلى الملتقيات الأدبية المنتظمة، خلق بدرجة كبيرة التعرف على مجموعة من الشباب والفتيات الكتاب في مجالات مختلفة من القصة القصيرة والشعر والرواية والخواطر المتناثرة، وأعطى مجال كبير للمشاركين بإلقاء مشاركاتهم الأدبية في بيئة مشجعة على الإبداع، حيث شهد الصالون تدشين إصدارين أدبيين جديدين للأديب وال كاتب مبارك بن جوهر، أحدهما رواية أدبية والآخر كتاب في أدب الرسائل، حيث جرى توقيع النسخ وتوزيعها على الحاضرين، في أجواء احتفائية عكست روح الألفة بين الكاتب وجمهوره، وأعادت إحياء تقاليد اللقاءات الأدبية المباشرة بين الأدباء والقراء. وتؤكد منسقة الصالون الأدبي في سيئون (نورة الجهمي) أنّ الصالون يُركّز على هذه الفئات من خلال الأنشطة الثقافية؛ لتشجيعهم على تقديم النصوص الأدبية والمشاركات الفنية، وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن أفكارهم وإبداعاتهم في بيئة داعمة ومحفزة.

ويبدو أنّ هذا التوجّه يعكس وعياً بأهمية احتضان الطاقات الشابة وإتاحة المساحة أمامها للتعبير والإبداع، كما أنّ توفير بيئة مشجعة وداعمة للمشاركين يساعد على بناء جيلٍ أكثر ارتباطاً بالأدب والفنون وأكثر قدرةً على التعبير عن قضاياها وهويته الثقافية، وهو ما يمنح الصالون الأدبي قيمةً تتجاوز النشاط الثقافي إلى الإسهام في تعزيز الوعي المجتمعي وتنمية الحس الإبداعي لدى الشباب ليصبح الصالون حاضنة ثقافية تسهم في اكتشاف المواهب وتنميتها.

ويمكن القول: إنّ الصالون الأدبي يشكل أداة فاعلة ومحتملة للتأثير في واقع المجتمع المحلي بما يتيح من فضاء مفتوح للحوار وتبادل الأفكار وتعزيز الروابط الثقافية بين مختلف فئاته، إذ يشارك هذا التصور الروائي "مبارك بن جوهر" الذي يرى أنّ الصالون الأدبي يمكن أن يتحول إلى منصة مجتمعية مؤثرة يمتد دورها ليشمل الإسهام في تعزيز التماسك المجتمعي وترسيخ قيم الحوار والتسامح خصوصاً مع توسيع دائرة المشاركة واستمرار انعقاد الجلسات بصورة منتظمة.

في أكبر محافظة في الجمهورية اليمنية أصبحت الثقافة قادرة على جمع ما فرقته السياسة لتصبح كل جلسة من جلسات الصالون الأدبي صرخة هادئة في وجه الانقسامات ودعوة صريحة للحوار والتقارب والتعايش، فهو جسر يربط الماضي بالحاضر ويعيد للمجتمع حضوره وهويته، ومع استمرار انعقاد الجلسات وتوسيع دائرة المشاركة يكون للصالون مبادرة ثقافية نموذجية تجمع بين الحفاظ على الموروث الأدبي وتعزيز قيم التسامح والتعايش، لتصبح حضرموت مثال حي على قدرة الأدب والثقافة على مواجهة الانقسامات وإحياء الروح المجتمعية.

الصالون الأدبي في حضرموت منصة ثقافية لنقل التراث وتعزيز التماسك المجتمعي



نسمة عبدالقادر علوي بن شهاب



الصيمة بين القديم والجديد

موروث يساهم في التماسك الاجتماعي

محمد البتول

عندما تعلن الشمس رحيلها منحدرًا نحو الأفق، هنا في أروقة أحياء المكلا القديمة، يجتمع الأطفال أمام منازلهم، في كل يوم من شهر رمضان فوق مساحات هندسية، شكّلوها بأيديهم من الحَصلة، وهي حصى بحري أسود، ويرددون بتناغم:

ياما صيمة
هاتي لقيمة من البريمة
يامغرب أذن
قل الله أكبر
والشرية تبربر
والتينار يرشن
يا عواد
عاد شي صيمة.

تُعدّ طقوس صيمة إحدى المظاهر الاجتماعية في مدينة المكلا، التي تعكس حضور العادات الشعبية في شهر رمضان. يصف الباحث محمد باكرامان هذه الطقوس "في الأسبوع الأخير من شعبان كانت تُجهز الصيمة ومتطلباتها الضرورية مثل: الحَصلة، الزمزية، القُفّة. ينزل الأطفال إلى سواحل مدينة المكلا لأخذ الحَصلة المتواجدة غالبًا عند سواحل البحر، ويتم تجميعهن بعناية في القصاع (علب اللبن)، ثم جلبهن إلى تحت البيوت في الحارات، وفرشهن بشكل مربع أو مستطيل ليجلس عليها أطفال الحارة عصرًا حتى قرب أذان المغرب."

وتُجمع الحصى من الساحل بإحكام. واختيار نوعها مرتبط بشكل وثيق بطبيعة البيئة البحرية التي تشكل سلوك مجتمع المدينة، حيث يقول الصحفي علي اليزيدي: "يجمعون حصة من نوع خاص، ويفرشوها تحت البيوت حيث تُجمع الأطفال للصيمة،

ولازم حصة بحر سوداء"، مؤكداً إن اختيار الحصة بعناية يعود لتحقيقها بعض الأبعاد الجمالية والاجتماعية للمدينة.

تواجه بعض الممارسات الشعبية في المكلا تحديات البقاء مع تغيير أنماط الحياة اليومية. ينطبق ذلك على "صيممة"؛ لم تعد حاضرةً كما في الماضي، ما يبرز تحولات اجتماعية وثقافية أثّرت في استمرارية الموروث الشعبي. ويشير كل من باكرامان واليزيدي إلى أن الصيممة ما تزال تُمارس اليوم، لكن بصورة أقل.

حي الشهيد، المنطقة التي أشار إليها اليزيدي أثناء الحديث معه، بقوله إنها لا تزال إلى اليوم تمارس فيها الصيممة. وأثناء نزولي الى هذا الحي الأصيل الذي تنبعث أطياف القديم من أركان منازلها، التقيت فهمي العيدروس وتجولنا معاً، وكان حديث تجولنا عن الصيممة ودورها في تعليم الأطفال قيماً مجتمعية متوارثة، والتغيرات التي دخلت عليها. يبين العيدروس في حديثه أن الصيممة مرت في مراحل وتحولات، حيث إنها اليوم تقام بتفاصيل أقل من ذي قبل، موضحاً "إن الساحل الذي كنا نجلب منه الحصة، تغير بسبب تطورات الردم وكاسر الأمواج". كان الآباء يحضرون الحصة من سواحل المكلا القريبة للأحياء، ومع هذا التغير أصبح إحضار الحصة أمراً صعباً، مما افتقدت الصيممة عنصر الحصة الأساسي في بنيتها.

ويشكل حضور الألعاب الإلكترونية، والأيادات عند الأطفال تحدياً آخر أمام هذه الطقوس الشعبية، فقد جعلتهم هذه التطورات التقنية ينفردون بأنفسهم ويعزلونها عن موروثهم الشعبي، فقد أشار العيدروس أن الألعاب والتطور الإلكتروني اليوم جعل الطفل يدخلون في حالة من الفردانية عن نفسه ومجتمعه.

وتمارس "صيممة" عادة بشكل جماعي، وهو ما يجعلها تسهم في تنمية مهارات الأطفال الحركية والإدراكية، إلى جانب تعزيز ارتباطهم بالهوية المحلية. ويرى الباحث العيدروس أن هذه الممارسة تمثل موروثاً شعبياً متأصلاً، يتجلى في مجموعة من السرديات والعادات التي تنظم إدراك الأطفال وتفاعلهم مع محيطهم، ويتضح ذلك في مراحل إعدادها المختلفة، بدءاً من جمع الحصة من الشاطئ وصولاً إلى تشكيلها في هيئة أشكال هندسية. ويتقاطع هذا المعنى مع ما تشير إليه منظمة اليونسكو بشأن التراث الثقافي غير المادي، الذي يشمل الممارسات والمعارف وأشكال التعبير الجماعية المتوارثة التي تعزز الهوية الاجتماعية. ويؤكد هذا البعد المجتمعي ناصر يربوع (58 عاماً) بقوله: «صيممة ورثناها من آبائنا وأجدادنا، نذهب مع الأطفال إلى الشاطئ ونشاركهم العمل لإتمامها».

وتسهم ممارسة "صيممة" بوصفها نشاطاً جماعياً في تعزيز التماسك الاجتماعي داخل المجتمع المحلي، إذ تجمع الأطفال والكبار في تجربة مشتركة قائمة على التعاون

والمشاركة. ويعرّف الباحثون التماسك الاجتماعي، وفق ورقة منشورة في مجلة Encyclopedia، بأنه حالة من الترابط القوي بين أفراد المجتمع تقوم على الثقة المتبادلة والتعاون والهوية المشتركة والشعور بالانتماء. ومن هذا المنظور يمكن النظر إلى "صائمة" باعتبارها شكلاً من أشكال رأس المال الاجتماعي، لأنها تخلق فضاءً للتفاعل المشترك وتبادل الخبرات بين الأجيال. كما تؤكد منظمة اليونسكو أن التراث الثقافي غير المادي يسهم في تقوية الروابط المجتمعية وتعزيز الشعور بالانتماء.

وبناءً على ما سبق، تتسم صائمة بالأصالة والتفرد، وتعبر عن الحاجات الموضوعية والناشئة اجتماعياً، إذ تجسد أواصر اتصال الإنسان ببيئته البحرية وتبلور أهدافاً تربوية وربما فنية وذلك من خلال: التعاون بين الآباء وأبنائهم عند التحضير لها، الأشكال الهندسية التي يصممها ويتخذها الأطفال، ترتيب الحصة، التوافق في ترديد الأهازيج. ويعتقد اليزيدي إن "صائمة" جاءت من أجل تعليم الأطفال قيماً نبيلة كالصبر والتعاون: "فبدل أن يبكوا ويزعجوا الأمهات بطلب الطعام قبل موعد الإفطار، بينما تكون الأمهات منشغلات بإعداده، ابتكر الأجداد "صائمة" لتقوية الأطفال وشغلهم بما يفيدهم".

كبعد أنثروبولوجي لا تأتي "صائمة" بصيغة واحدة ثابتة؛ إذ تختلف بعض تفاصيلها من منطقة إلى أخرى، سواء في الأهازيج المرددة، أو شكل المساحات المفروشة بالحصة، أو طريقة التحضير والمشاركة. ففي مناطق مثل تريم، لم تعد "صائمة" تُمارس كما كانت قديماً، أو كما هو معروف في المناطق الساحلية. بقيت الأهازيج وحدها تقريباً. كما تغيرت التوقيت في بعض الأماكن حالياً، فأصبحت تُردد غالباً بعد المغرب، ويتقدمهم شخص بيده آلة موسيقية طبل يدق عليه بينما يجتمع الأطفال حوله يصفقون ويرددون الأهازيج.

يكشف هذا التنوع ديناميكية "صائمة" ومرونتها؛ فهي ممارسة قادرة على التكيف مع السياقات الاجتماعية المتغيرة. قد تسقط بعض العناصر، كالحصة أو الأشكال الهندسية، وتبرز عناصر أخرى مناسبة للسياق؛ المهم أن جوهرها يظل قائماً في الاجتماع والانتظار والمشاركة. هذه المرونة هي ما يسمح لها بالاستمرار، حتى وإن تبدلت هيئاتها الخارجية من جيل إلى آخر.

وأخيراً يمكن التأكيد على أن الاعتراف بـ "صائمة" كموروث ثقافي غير مادي يعني الإقرار بقيمتها كجزء من الذاكرة الجمعية. وربما لا تحتاج "صائمة" إلى أكثر من أن تُحاط بعناية الذاكرة؛ أن تُروى كما هي، بأصوات أطفالها، وباختلاف مناطقها، دون اختزال أو تهوين. فالموروث يُحمى بتركه حياً في سياقه الطبيعي، يُمارس ويتجدد.

توثيق أهاليها، والانتباه لتحولاتها، وإشراك الأجيال الجديدة في أدائها، هو شكل من أشكال صونها. فهي لا تعيش في النصوص بقدر ما تعيش في الحارات، حين يشارك الكبار الصغار في أداء طقوسها.

الصيامة بين القديم والجديد موروث يساهم في التماسك المجتمعي



شروق بانعيمون



الفن العدني

حين تتحوّل الأغنية إلى جسرٍ للسلام

عبدالعالم الشرجي

في مدينة مثل عدن، يُعتبر الفنّ جزءًا أصيلاً من الحياة اليومية، ومرآة تعكس روح المدينة وتاريخها الاجتماعي والثقافي. فعدن التي عرفت عبر التاريخ ميناءً مفتوحاً على العالم، وملتقى للثقافات والأعراق، استطاعت أن تصوغ من هذا التنوع هوية فنيّة خاصة بها، جعلت من الأغنية العدنية أكثر من مجرد لحن جميل، بل فنّ بخطاب إنساني يحمل في طياته قيم التسامح والانفتاح والتعايش.

منذ عقود طويلة، تشكّلت في عدن بيئة ثقافية فريدة ساعدت على ازدهار الموسيقى والغناء. فالأحياء القديمة مثل كريتر والتواهي والمُعلاّ والشيخ عثمان كانت فضاءات اجتماعية تلتقي فيها الثقافات والأصوات، فهناك، بين الأزقة الضيقة والأسواق الشعبية، ولدت ألحان عدّة تحوّلت لاحقاً إلى جزء من الذاكرة الجمعية للمدينة.

وكان للبحر أيضاً نصيبه في تشكيل هذا الوجدان الفنّي في المدينة، فصوت الأمواج الذي يتسلّل إلى البيوت القديمة، منح الأغنية العدنية بُعداً إنسانياً واسعاً، جعلها قادرة على مخاطبة مشاعر الناس بمختلف خلفياتهم.

وأبرز ما يُميز الفن العدني أنه لم يكن يوماً في معزل عن القضايا الاجتماعية والسياسية التي مرت بها المدينة. على العكس تماماً، كان الفنان العدني في كثير من الأحيان صوت المجتمع وضميره الحيّ، فعندما كانت المدينة تمرّ بمراحل تاريخية حساسة، كانت الأغنية تتحوّل إلى وسيلة للتعبير عن تطلعات الناس وآمالهم، بل وأحياناً إلى أداة للمقاومة وبناء الوعي.

وقد ارتبطت الأغنية العدنية بأسماء فنيّة كبيرة من المطربين، الذين تركوا أثراً عميقاً في وجدان المجتمع، ومن بين هذه الأسماء يبرز الفنان الكبير أبو بكر سالم بلفقيه، الذي استطاع بصوته العذب وألحانه المتفرّدة أن ينقل الأغنية اليمنية عموماً، والعدنية خصوصاً، إلى فضاء عربي أوسع، حيث حمل رسالة إنسانية، عكست البساطة الصادقة للإنسان اليمني، وكرّست قيم المحبة والانتماء في زمن كانت فيه المنطقة تشهد تحولات سياسية واجتماعية كبيرة.

إلى جانب بلفقيه، يأتي اسم محمد مرشد ناجي، المعروف بالمرشدي، الذي يُعدّ أحد أهم رواد التجديد في الأغنية العدنية، والذي كان مؤمناً بأن الفن مسؤولية اجتماعية. وقد تجلّى هذا الإيمان بوضوح في ارتباطه بالأغنية الوطنية والنضالية، حيث قدّم أعمالاً مثل "يا شعبنا" و"نشوان" التي عكست روح المرحلة السياسية والاجتماعية في جنوب اليمن، وأسهمت في تعزيز الوعي الوطني. وتُظهر هذه الأعمال قدرة المرشدي على توظيف الفن كوسيلة تعبير جماعي؛ إذ لم تكن الأغنية لديه وسيلة للترفيه وحسب، بل أداة لنقل قضايا المجتمع وتطلعاته. ومن هذا التوجّه، استطاع أن يخلق توازناً بين الأصالة والتجديد، محافظاً على روح التراث الموسيقي العدني، وفي الوقت نفسه انفتح على التجارب الفنية الحديثة، ما جعل كثيراً من أغانيه تتحوّل إلى رموز ثقافية تعبّر عن مرحلة كاملة من تاريخ المدينة.

أما أحمد بن أحمد قاسم، الذي أطلق عليه لقب "قيثارة عدن"، فقد أدّى دوراً محورياً في تطوير الموسيقى العدنية من الناحية اللحنية والتوزيع الموسيقي. ويظهر ذلك بإدخاله إيقاعات وآلات موسيقية حديثة نسبياً على الأغنية المحلية، متأثراً بحالة الانفتاح الثقافي التي شهدتها عدن في منتصف القرن العشرين. وقد ساعد هذا التوجّه على توسيع البنية اللحنية للأغنية العدنية، ونقلها من الطابع التقليدي المحدود إلى فضاء أكثر تنوعاً وثراءً. ويكشف هذا التطوير عن وعيٍ فنيٍّ مبكر بأهمية التجديد من دون القطيعة مع التراث، حيث نجح في المزج بين الأصالة والحدثة، مانحاً الأغنية العدنية قدرة أكبر على الانتشار والتجدّد، مع الحفاظ على هويتها الموسيقية الخاصة.

ولا يمكن الحديث عن الفنّ العدني من دون التوقف عند تجربة الفنان محمد سعد عبد الله، الذي استطاع أن يخلق مساحة وجدانية واسعة في الغناء العاطفي والاجتماعي، والتي تميّزت أغانيه بقدرتها على التعبير عن المشاعر الإنسانية البسيطة بلغة قريبة من الناس، وهو ما جعلها حاضرة في مختلف المناسبات الاجتماعية، من الأعراس إلى اللقاءات العائلية، وكانت أعماله تعكس صورة المجتمع العدني في تفاصيله اليومية، حيث يتحوّل الحبّ والحنين والوفاء إلى موضوعات فنية تعبّر عن تجربة إنسانية مشتركة.

وفي السياق نفسه، برزت الأغنية الوطنية كأحد أبرز أشكال التعبير الفني في عدن، خصوصاً في فترات النضال ضد الاستعمار، ومن أشهر النماذج في هذا المجال أغنية "برّع يا استعمار" للفنان محمد محسن عطروش، التي تحولت من عمل فني إلى نشيد جماهيري ردّدته الحناجر في الشوارع والساحات، كانت هذه الأغنية مثلاً واضحاً على قدرة الفنّ على التأثير في الوعي العام، حيث أدّت دوراً مهماً في تعزيز الروح الوطنية

لدى الناس.

لكن الفنّ العدني لم يكن دائماً مرتبطاً بالسياسة أو النضال، بل حافظ أيضاً على مساحة إنسانية دافئة تعكس العلاقات الاجتماعية وقيم التراحم بين الناس. ففي أغنية "كلمة ولو جبر خاطر" للفنان محمد سعد عبد الله، نجد رسالة أخلاقية بسيطة، لكنها عميقة، تدعو إلى جبر الخواطر وإصلاح العلاقات بين الناس. هذه النوعية من الأغاني تعكس جانباً مهماً من الثقافة العدنية، حيث يُعامل مع الفنّ وسيلةً لتعزيز القيم الإنسانية داخل المجتمع.

ومن الجوانب اللافتة في تاريخ الفن العدني حضور المرأة في المشهد الغنائي، رغم التحديات الاجتماعية التي واجهتها في بعض الفترات، فقد استطاعت أصوات نسائية، مثل الفنانة أمل كُعدل أن تقدم تجربة فنية مميزة، تعبر بها عن إحساس المرأة العدنية وقضاياها الاجتماعية، فوجود المرأة في الساحة الفنية، كان عاملاً مهماً في تحقيق التوازن داخل الحركة الثقافية في المدينة.

وفي المقابل، ظلّ الفن العدني يحتفظ بطابعه الاحتفالي المرتبط بالمناسبات الاجتماعية، خصوصاً الأعراس الشعبية المعروفة محلياً باسم "المخادر". في هذه المناسبات، تتحوّل الموسيقى إلى لغة جماعية تجمع الناس من مختلف الطبقات الاجتماعية، فعندما تبدأ إيقاعات الشرح العدني، وتُغنى الأغاني التراثية المعروفة، يختفي أي شعور بالاختلاف أو الانقسام، ويجد الجميع أنفسهم جزءاً من حالة احتفالية واحدة.

هذه القدرة على جمع الناس حول اللحن والكلمة الجميلة تجعل من الفن العدني أحد أهم عناصر القوة الناعمة في المجتمع، فالفنّ، بطبيعته، يمتلك قدرة فريدة على تجاوز الحواجز السياسية والاجتماعية، وخلق مساحة مشتركة للحوار والتفاهم، وفي مدينة مثل عدن، التي مرّت في العقود الأخيرة بتحديات سياسية واقتصادية معقدة، يمكن أن يؤدي الفن دوراً مهماً في إعادة ترميم النسيج الاجتماعي.

إنّ الحديث عن بناء السلام في المجتمعات التي عانت من الصراعات لا يقتصر على الحلول السياسية أو الاقتصادية فقط، بل يشمل أيضاً البُعد الثقافي والإنساني. وهنا تبرز أهمية الفنّ كأداة للتقريب بين الناس وإعادة بناء الثقة بينهم، فالأغنية التي تلامس وجدان الإنسان يمكن أن تكون أحياناً أكثر تأثيراً من أيّ خطاب سياسي. من هذا المنطلق، تبدو الحاجة ملحة اليوم لإعادة الاعتبار للفنّ العدني، كوسيلة فعالة لتعزيز قيم التعايش والسلام، ويمكن تحقيق ذلك بعدة مسارات، من بينها دعم المبادرات الثقافية المحلية، وتنظيم مهرجانات موسيقية في الأحياء الشعبية، وتشجيع الشباب على إنتاج محتوى فنيّ رقمي يستلهم التراث العدني ويقدمه

بأساليب حديثة.

كما يمكن لوسائل الإعلام أن تؤدي دورًا مهمًا في هذا المسار، بتسليط الضوء على التجارب الفنيّة الشابة، وربطها بالإرث الموسيقي العريق للمدينة، فكثير من المواهب الشابة في عدن تمتلك القدرة على تطوير الأغنية العدنية وإيصالها إلى جمهور أوسع، لكنّها تحتاج إلى الدعم والتشجيع.

إنّ التراث الثقافي لأيّ مدينة يُعد مصدر إلهام للمستقبل، وعدن التي استطاعت في فترات سابقة أن تقدّم نموذجًا للتعایش والانفتاح الثقافي، قادرة اليوم أيضًا على استعادة هذا الدور بفنها وموسيقاها، فالأغنية التي كانت يومًا تعبّر عن نبض الشارع العدني، يمكنها اليوم أن تصبح رسالة سلام تتجاوز حدود المدينة، لتصل إلى كل من يؤمن بأنّ الفنّ قادر على جمع القلوب.

في النهاية، يبقى الفنّ العدني تعبيرًا حيًا عن روح مدينة عرّفت كيف تحول تنوعها الثقافي إلى مصدر قوة وإبداع، وما زالت تحتفظ بقدرتها على الغناء للحياة، وعلى تحويل الموسيقى إلى جسرٍ يعبر فوق الانقسامات نحو مستقبل أكثر انسجامًا وسلامًا.

الفن العدني حين تتحوّل الأغنية إلى جسرٍ للسلام



أمل يسلم سعيد يسلم



الفنون تهزم تداعيات الحرب وتنتصر لاقتصاد المرأة في عدن

رانيا عبد الله

هل تعيد الحرب تشكيل حياة مدينة كاملة، وتدفع نساءها إلى أدوار لم تكن يوماً جزءاً من خرائطهن اليومية؟ في عدن كان هذا التحول واقعاً فرض نفسه على تفاصيل الحياة منذ بداياته، ولم تواكبه النساء كضحايا، بل كفاعلات أعاد الفن والثقافة التقاط حضورهن منذ اللحظة الأولى، لا بوصفه توثيقاً لاحقاً، بل كقراءة موازية للتجربة وهي تتشكل. فمع امتداد الحرب منذ عام 2015، بدأت ملامح التغير تظهر بوضوح في الواقع الاجتماعي والاقتصادي لمدينة عدن، إذ انعكست الأزمة بشكل مباشر على النساء، اللواتي وجدن أنفسهن أمام أعباء متزايدة وضغوط معيشية خانقة.

وفي ظل تراجع فرص العمل وتقلص قدرة القطاع الخاص على الاستيعاب، دفعت هذه الظروف كثيرات إلى إعادة تنظيم أدوارهن داخل الأسرة وخارجها، والاتجاه نحو سوق العمل رغم محدودية الفرص، وتدني الأجور، وضعف الحماية القانونية.

لكن هذا التحول اتخذ مسارات متعددة؛ فبينما التحقت بعض النساء بوظائف محدودة داخل مؤسسات قائمة، اتجهت أخريات إلى العمل الحر أو مشاريع صغيرة داخل المنازل والأحياء، هذا التغير التدريجي منح المرأة حضوراً اقتصادياً أوضح، وإن ظل محاطاً بتحديات كبيرة.

ولفهم هذا التحول بصورة أعمق، تكشف التفاصيل اليومية في أحياء عدن عن واقع أقرب إلى التجربة المعيشة، حيث تتجسد التغيرات في قصص فردية تعكس حجم التحول في الحياة اليومية. ف"أم محمد"، على سبيل المثال، وجدت نفسها بعد فقدان زوجها لعمله مضطرة إلى تحويل مطبخها إلى مصدر دخل، لتؤسس مشروعاً منزلياً صغيراً في مواجهة الفقر. ومع مرور الوقت، تحول هذا المشروع إلى ركيزة أساسية لاستقرار الأسرة، في نموذج يعكس قدرة النساء على التكيف وإعادة بناء الحياة في ظروف استثنائية.

وتتسق هذه التجارب الفردية مع ما تشير إليه بيانات منظمة العمل الدولية (2016)، التي توضح تراجع مشاركة النساء في سوق العمل في صنعاء بنسبة 43% نتيجة تضرر

القطاع الخاص، مقابل ارتفاعها في عدن بنحو 11%.

وإذا كانت الأرقام تقدم إطاراً عاماً لفهم التحولات، فإنّ القصص الحياتية تمنحها بعدها الإنساني، فـ"سعاد"، التي انقطعت عن الدراسة قسراً، انتقلت إلى العمل في الخياطة لتوفير مصدر دخل بديل، مع استمرار حلم العودة إلى التعليم. أما "نور"، فقد وجدت نفسها خلف مقود حافلة صغيرة، تواجه يومياً تحديات اجتماعية قاسية، قبل أن تتحول تجربتها إلى نموذج للاستقلال في الفضاء العام.

وعند النظر إلى هذه النماذج يتضح خيط مشترك يربط بينها: انتقال المرأة من الهامش إلى موقع الفعل، ومن الاعتماد إلى الإنتاج، ومن التلقي إلى المبادرة. غير أنّ هذا الانتقال لم يكن خياراً حراً بالكامل، بل جاء في كثير من الأحيان استجابة مباشرة لضغوط الحرب وإعادة ترتيب الواقع الاقتصادي والاجتماعي.

ومع تعمق هذا التحول، برزت تحديات موازية لا تقل ثقلًا، من بينها تزايد الأعباء داخل الأسرة، وغياب الدعم المؤسسي، واستمرار التوتر بين الأدوار الجديدة والتصورات التقليدية حول مكانة المرأة وحدود حضورها في المجال العام.

في هذا السياق، يتداخل التحول الاجتماعي مع بعده الثقافي منذ بداياته، إذ لم يقتصر الفن والثقافة على توثيق النتائج، بل شارك مبكراً في التقاط التجربة وهي تتشكل، وإعادة قراءتها خارج الخطاب السائد، فالفن هنا لا يأتي لاحقاً على الواقع، بل يوازيه، ويعيد تقديم المرأة كفاعل مركزي في الحياة اليومية، لا كظلّ للتجربة أو ضحية لها. وتبرز الفنون بوصفها عادة بناء الوعي، إذ تتجاوز تسجيل الواقع إلى تفكيكه وإعادة قراءته، مقدّمة صورة مركبة للمرأة اليمينية بوصفها كائنًا إنسانيًا يجمع بين العمل والمقاومة والحلم والمواجهة. وبهذا، يتجاوز الفن بعملية توثيق التجربة، ليعيد تفسيرها داخل الوعي الجمعي. إذ تسهم هذه الأعمال في تحويل النظرة من التعاطف إلى الفهم الواعي، ومن الصورة المبسطة إلى إدراك أكثر تعقيداً لتجربة المرأة، كما تكشف عن قضايا كانت غائبة عن النقاش العام، لتصبح جزءاً من الخطاب المجتمعي حول العمل والتمكين والعنف والدور الاجتماعي.

وقد تجسد هذا التحول من خلال نماذج الحواضن الثقافية، حيث تحولت المقاهي والمراكز إلى مساحات عمل مشتركة، مثل "مبادرات التعافي بالفن في عدن"، التي دمجت بين الدعم النفسي والتمكين الاقتصادي، فصقلت مهارات النساء في الإدارة والتسويق، وحولت الإنتاج الفني إلى سلع اقتصادية تنافس في المعارض المحلية والدولية. إضافة إلى منصة "قمرة" التي نقلت عشرات الهواة إلى احتراف الإخراج والتصوير، ليعملن اليوم مع منظمات دولية وشركات إنتاج بوعي مهني وحقوقى عالٍ.

مبادرة "التعافي بالرسم" في عدن، هي الأخرى تعتبر من أبرز النماذج التي ربطت الفن بسوق العمل بشكل مباشر، حيث بدأت كمساحة لتفريغ الصدمات النفسية الناتجة عن الحرب، لكنها تحولت سريعاً إلى مشروع إنتاجي، من خلال تدريب النساء على تحويل لوحاتهن إلى تصاميم تُطبع على الحقائب، الملابس، والأكواب، لينقل هذا العمل الفنانة العدنية من "العزلة" إلى "ريادة الأعمال"، حيث أقيمت معارض بيعت فيها هذه المنتجات، مما وفر دخلاً مستقلاً للمشاركات.

كما لعبت مؤسسة "عدن أجين" والمشاريع الثقافية، أيضاً دوراً حيوياً في إحياء الهوية الثقافية لعدن ودمج المرأة فيها، من خلال تنظيم مهرجانات ومعارض فنية ركزت على التراث العدني، وبرزت مصورات محترفات ومصممات جرافيك أدرن الحملات الإعلانية للمشاريع، مما كسر احتكار الرجال لمجال التصوير الفوتوغرافي وتوثيق التراث في عدن، وأصبح الآن ينتجن ويبيعن أعمال لجهات دولية.

وفي الإطار نفسه تكاملت جهود مؤسسة مع حراك فردي لرواد الأعمال في عدن لإعادة إحياء الحرف العدنية الأصيلة، كالبخور والمخملات، برؤية عصرية ومبتكرة. فبينما اشتهرت نساء عدن تاريخياً بصناعة البخور، نجح الفن والثقافة الحديثة في الارتقاء بهذه الحرفة إلى مستوى عالمي عبر دمج "فن التغليف" و"التسويق البصري" بالمنتجات التقليدية.

وقد تجسد هذا الانتصار الاقتصادي من خلال فنانات عدنيات نجحن في ابتكار هويات بصرية وعلامات تجارية (Branding) متكاملة لمنتجات العطور والبخور التي تصنعها الأسر المنتجة والنازحات. هذا التحول المهني مكّن المنتجات المحلية من اقتحام الأسواق الخليجية والدولية عبر منصات التجارة الرقمية، محولاً "الحرفة المنزلية" إلى "صناعة احترافية" عابرة للحدود.

في الختام، تكشف تجربة النساء في عدن خلال سنوات الحرب عن تحول قسري وعميق في موقع المرأة داخل المجتمع والاقتصاد. وفي هذا المشهد، يقوم الفن بتأريخ التحول، ومواكبته وإعادة تفسيره، كاشفاً أنّ ما يبدو حضوراً متزايداً هو في جوهره صمود مُكلّف، وأنّ عدن لا تُقرأ اليوم إلّا من خلال نساءها، ومن خلال الذاكرة التي يصنعها الفن لهذا التحول المستمر.

الفنون تهزم تداعيات الحرب وتنتصر لاقتصاد المرأة في عدن



سهام حسن عبدالله احمد



المهاجل الزراعية أداة للصلح المجتمعي

علياء جلال

لوهلة تذكرت صدى صوت جدتي وهي تردّد مهجلاً شعبياً مليئاً بالتعليمات والنصائح:
وا قلبي لا تهوى المُلْفَلَف
مثلما زرع الطَّرَف
زرع الطرف لا ينسفه المنسف
ولا يقضي السلف

أتذكر أنني سألتها يومها: ما زرع الطرف؟ فقالت: إنّه الزرع الذي ينبت في أطراف الحقل من دون أن يكون متّصلاً بباقي الزرع، فلا تصل إليه المياه جيداً، ولا ينتج سنابل جيدة كبقية الحقل، ولهذا فلا فائدة منه، موضحة أنّ القصد هو أن لا تتعلّق بشخص يحاول أن يكون خارجاً عن صف المجتمع كله، فلن يكون مفيداً لك، ولن تكسب من علاقة كهذه إلا الأذى. وهذا مهجل واحد فقط من مهاجل عدّة كانت ترسم مقاييس العلاقات الاجتماعية، يعبرّ الناس بها عن رفضهم للشقاق والانفصال عن مجتمعهم وسياقهم في زمنهم ذلك.

لسنوات طويلة، كانت المهاجل رفيقة اليمنيين، تنوّعت بتنوّع مهامهم، وتشكّلت بقيم اجتماعية إيجابية، فكانت كلماتها دروساً كاملة في تعزيز قيم التسامح والتآخي والتكاتف المجتمعي. وفي زمننا الحالي، هدمت الحرب الثقافة، مزّقت النسيج المجتمعي، وأخمدت ملالة المزارعات ومهاجل الفلاحين التي ظلّت الحقول تردّد صداها لأزمنة عدّة.

وفي تقديري، تمثّل المهاجل الزراعية اليوم وساطة ثقافية صامتة تتفوّق في أثرها على كلّ المبادرات الرسمية، فهي تفرض نوعاً من الانسجام النفسي الذي يُذيب الخصومات الشخصية أمام جلال العمل المشترك. وقد رأينا في السنوات الماضية كيف كان اليمنيون يحتفون بالملالة الحديثة، وينشر بعضهم تسجيلات قديمة لمهاجل شعبية ذات معانٍ عميقة.

في الحقول الزراعية، كان الناس يتبادلون المحبة ويرددون معًا مهاجلهم الشعبية التي تحتوي كلماتها على كثير من القيم وتعزز التكاتف المجتمعي، وتربط قلوب المزارعين بعضها ببعض، كأَنَّهُم لم يزرعوا المحاصيل وحسب، بل زرعوا التعاون فيما بينهم أيضًا، لكن الحرب عطّلت كلّ شيء، فأصبح التعاون صفة نادرة الوجود بفعل التأثيرات المباشرة للحرب على مواقف المزارعين بعضهم من بعض. سكّنت المهاجل وعلا دويّ المدافع، وزمّجرت النفوس فاخفتى الودّ. يقول الحاج سعيد، أحد كبار المزارعين في ريف تعز: "يا بنتي، المهاجل ما كانت مواويل وزغاريد، كانت الرافعة التي تُزيح عنا ثقل التعب. أما اليوم، فكلّ مزارع انشغل بذاته، فاستحال الحمل ثقيلًا والقلوب متباعدة".

غياب اللحن الجماعي الذي مثّله المهاجل الشعبية تعبير واضح عن فقدان الأمان المعنوي الذي كان يوفره المجتمع بعضه لبعض. فحين يتوقّف المزارعون عن الغناء معًا، يبدأ التباعد النفسي الذي يمهد الطريق لنشوء النزاعات الفردية، مما يجعل إحياء المهاجل ضرورة لإعادة بناء جسور الثقة المهدّمة، كوسيلة تواصل تقليدية استخدمها المزارعون للتحية بينهم في حقولهم المتجاورة والتعاون على الأعمال الزراعية الثقيلة باللحن الشجيّ وتبادل النصائح والمشاعر.

يتجلّى هذا بوضوح في مهجل شعبي آخر سمعته من فيديو قديم نشره صديق لا يحضرني اسمه الآن:

إذا مرادك من مرادي نجمع الشور واحدي

إذا مرادك بالبخاشيش روح أيام الجهيش

إذا مرادك وانت باني للغمر لاقيتني

وهو مهجل يذكرنا كيف كان المجتمع يؤمن بالعمل الجماعي والتعاون لتحقيق الأهداف، فهذا المهجل يربط الوجود بالآخر، كأنّ الهدف لن يتحقق إلا بتعاون الطرفين، وهو ما يتّسق مع المثل الشعبي الشهير "يد واحدة ما تصفق".

ومن الملاحظات المهمّة أنّ المهاجل قائمة بطبيعتها على المجاورة (صوت ويرد عليه صوت آخر)، وهو ما يفسّر نجاح اللحن في كسر الجمود، فالمزارع الذي يجد نفسه مضطرًا لإجابة لحن جاره، يبدأ فعليًا في أولى خطوات التصالح الداخلي، حيث يعمل الإيقاع منظفًا للضغائن دون الحاجة لتدخل طرف ثالث.

أما على مستوى الممارسة الميدانية، فإنني أؤمن بأنّ الربط بين الأرض واللحن هو المدخل الأذكى لتحقيق سلم مستدام ينبع من الهوية، فالمهاجل هي القوة الناعمة التي تحوّل التراث من مجرد ذكرى إلى فعلٍ صالحٍ ملموس. ويُشير المزارع عبده ناصر إلى هذا الأثر بقوله: "كُنّا زمان نجمع الخصوم في عونّة حراثّة، ومع أوّل مهجل تبدّوه

الجماعة تضع الخصومة وسط اللحن. المهجل يجعلك تخجل من خصمك وأنت تردّ عليه بصوتك تحت شمس واحدة". وتعليقاً على هذا، نجد أنّ الخجل الذي ذكره العمّ ناصر هو في الحقيقة الوازع الاجتماعي والرقابة القيمية التي يعيد المهجل إحياءها، فالتراث هنا يعمل كقوة ضاغطة ومصحّحة للسلوك الإنساني، مما يثبت أنّ استعادة هذه الأصوات هي استعادة لكرامة المجتمع وقدرته على التعايش.

ختاماً، السلام في ريف تعز لن يُحقّق بصيغ جافة ما لم يُعزز بلحنه الأصيل الذي يلامس وجدان الإنسان البسيط، فالمهاجل هي الروح التي تحرّك الجسد المجتمعي، وتوثيقها هو الخطوة الأولى لاستعادة قرى متماسكة وآمنة. وكما تقول الحكمة اليمانية الخالدة: "مَنْ ضيع أصله، تاه في دربه"، فإنّ التمسك بأصل المهجل هو البوصلة التي ستحمي مجتمعنا من التيه وتفكّك نسيجه المجتمعي، وهي وسيلة لحشد التعاون وتعزيز التكاتف وتناقل القيم، بل إنّها وسيلتنا الأقوى لترميم ما انكسر، وإثبات أنّ صوت السواعد حين يتّحد، يكون دائماً أقوى من أي نداء للفرقة.

المهاجل الزراعية أداة للمصلح المجتمعي



صابرين الوتيري



بالفن يمكن تعافي الأطفال بعد النزاع

تأريمان مراد

نجا أحمد بقلبه الصغير، بعد أعوام من النزاع، عاش فيها مشاهد العنف والفقد والنزوح، فلم يكن التعافي الجسدي وحده ما يحتاج إليه، فقد تركت الحرب في داخله ندوباً نفسية عميقة، تجلت في الخوف والقلق والاكتئاب والانطواء، واضطراب ما بعد الصدمة، بل وتحولت بعض السلوكيات العدوانية إلى ملامح ثابتة في شخصيته. حتى التحق بجلسات دعم نفسي واجتماعي، فردية وجماعية، وجد فيها مساحة آمنة للتعبير عبر الفن عن مشاعره المكبوتة، فأكتشف مواهبه المدفونة، واستعاد شيئاً من ذاته هناك. لقد كان الفن أداة تعافي أعادت إليه الإحساس بالأمان، وأوقفت في ذاكرته أصوات الرصاص، لتعود أصوات الطفولة أكثر حضوراً ودفئاً.

وقصة أحمد كقصة غيره من آلاف الأطفال في مناطق النزاع، يواجهون آثاراً نفسية، وهذا ما تؤكدته دراسات متعددة من أنّ النزاع المسلح يعد عاملاً محفزاً للعديد من المشكلات النفسية، لاسيما بين الأطفال الذي عاشوا مشاهد العنف والخوف، وواجهوا النزوح إلى مناطق أخرى، ووفقاً لدراسة أجراها باحثون في مجلة صدمات الأطفال والمراهقين، يبرز اضطراب ما بعد الصدمة، كأحد أكثر مشكلات الصحة النفسية شيوعاً بين هؤلاء الناجين الصغار. كما تظهر عليهم أعراض نفسية أخرى، مثل اضطرابات النوم، وصعوبة التركيز ونوبات الهلع، وسلوكيات انسحابية وعدوانية، نتيجة التعرض المستمر للعنف والخوف والتهجير.

وبينما تترك الحرب ندوباً عميقة في نفوس الأطفال، يعد العلاج بالفن أحد المداخل المعتمدة ضمن برامج الدعم النفسي والاجتماعي للأطفال، خاصة في البيئات المتأثرة بالنزاعات المسلحة والأزمات الإنسانية، حيث يقوم هذا النهج على توظيف الفنون التعبيرية مثل الرسم والمسرح والموسيقى والحكايات الشعبية، باعتبارها وسيلة آمنة وغير لفظية، بمعنى أنّ الأطفال لا يحتاجون الكلمات التي قد يصعب عليهم صياغتها حين يعبرون عن مشاعرهم والتجارب الصادمة التي مروا بها، فتسهم هذه الطريقة في تهدئة أنفسهم من القلق والتوتر وكل ما يشعرون به. وتؤكد التقارير الصادرة عن منظمة الصحة العالمية، أنّ الأنشطة الفنية تساعد في تعزيز الرفاه النفسي وتقوية مهارات التكيف، ودعم الترابط الاجتماعي. كما تعتمد اليونيسكو

هذا النهج في عدد من تدخلاتها في مناطق النزاع، معتبرة أنّ الأنشطة الفنية أدوات فعّالة لتعزيز التعافي النفسي وبناء السلام ، فأثار الفن لا تقتصر على الفرد، بل تمتد لتقوية التماسك الاجتماعي والحفاظ على الهوية الثقافية.

يتعرض الطفل في سياقات النزاع والأزمات لتجارب صادمة تؤثر على إحساسه بالأمان والاستقرار النفسي ، لذلك تعد المساحات الآمنة أحد المرتكزات الأساسية في برامج الدعم النفسي والاجتماعي، حيث تتخذ المنظمات الدولية مثل اليونيسف، هذا النهج في تدخلاتها الإنسانية في مناطق النزاع، كما حدث في مشروع تقديم أنشطة الدعم النفسي والاجتماعي المساحات الآمنة للأطفال في مدينة سيئون في مرحلته الثالثة 2023 م، حيث تم عمل مجموعات مساحات آمنة يمارس فيها الأطفال مجموعة من الأنشطة منها الرسم والتلوين ومسرح الدمى، كان لها الأثر في معالجة مجموعة من المشكلات النفسية والاجتماعية لهؤلاء الأطفال.

في تجربة محلية بمدينة سيئون عام 2025، ركّز المشروع على 25 طفلاً أظهروا آثاراً نفسية واضحة، كالقلق والتوتر والسلوك العدواني. عمل الفريق من الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين على تقييم احتياجات كل طفل من خلال مقابلات فردية وملاحظتهم ضمن أنشطة المشروع، ثم صمّموا خطط تدخل فردية وجماعية تناسب حالته الخاصة. ولعب العلاج بالفن دوراً محورياً، إذ أتاح للأطفال التعبير عن مشاعرهم المكبوتة عبر الرسم والتلوين، مما ساعدهم على تفريغ الانفعالات واكتشاف مواهبهم الكامنة، وعزز من عملية التعافي النفسي والاجتماعي لديهم.

أظهرت نتائج التقييم الختامي الذي أجراه الأخصائيون النفسيون والاجتماعيون باستخدام مقياس الرضا عن الذات في العلاقات الاجتماعية تحسناً ملحوظاً في الحالة الانفعالية والسلوكية للأطفال المستفيدين، تمثل في انخفاض مظاهر القلق والتوتر والعدوانية، والتعبير عن مشاعرهم بصورة آمنة. وقد دعمت أنشطة ترفيهية هذه العملية، وعززت روح التفاعل الإيجابي بينهم، وساهمت في إعادة بناء شعورهم بالأمان والانتماء. ويؤكد ذلك أنّ أثر التعافي لا يقتصر على المستوى الفردي، بل يمتد تدريجياً ليحدث تحولاً في البنية الاجتماعية المحيطة، إذ تبدأ العملية بتغيير داخلي بسيط لدى الطفل، ثم تتسع دوائر تأثيره خارجياً؛ فحين يستعيد شعوره بالأمان والثقة بالنفس ضمن المساحات الآمنة التي يمارس فيها مهاراته الإبداعية، يصبح أكثر قدرة على التفاعل الإيجابي مع الأسرة والأقران، وأقل ميلاً إلى السلوكيات العدوانية أو الانسحابية الناتجة عن الصدمات، وينعكس هذا التحول بدوره على المدرسة والمجتمع المحلي، ليشكّل خطوة أساسية نحو ترميم النسيج الاجتماعي المتصدع بفعل الأزمات.

يشكّل دمج الأنشطة الفنية في برامج الدعم النفسي والاجتماعي داخل المدارس والمراكز الثقافية، وتأهيل الكوادر التربوية على مبادئ المساحات الآمنة، وإحياء التراث المحلي بما يحمله من قيم مشتركة، خطوة عملية نحو بناء جيل أكثر وعيًا بذاته وأكثر قدرة على التعايش مع الآخرين. كما أن تعزيز الشراكات بين المؤسسات الثقافية ومنظمات المجتمع المدني، وإشراك الأسر في الفعاليات الفنية، يوسّع دائرة الأثر من الطفل إلى المجتمع بأكمله. فبناء السلام يبدأ من مساحات صغيرة آمنة تُزرع فيها الثقة، ومن حكايات تُروى وأصوات تتلاقى لإعادة ترميم ما تصدّع، وفتح أفق لمستقبل أكثر تماسكًا. وخاتمةً، يبقى التعافي الحقيقي رحلة لا تتوقف عند حدود الفرد؛ فعندما تُمنح الطفل مساحة آمنة للتعبير واستعادة ثقته بنفسه وبمجتمعه، نضع حجر الأساس لمجتمع أكثر تماسكًا وإنسانية. ومن هنا، يصبح الاستثمار في المساحات الثقافية والفنية استثمارًا في السلام وفي مستقبل تتقدم فيه قيم الحوار والانتماء على مشاعر الخوف والانقسام، إذ أنّ الفن لا يغير الواقع بين ليلة وضحاها، لكنّه يغير طريقة رؤية الناس لبعضهم البعض، ومنه تبدأ أولى خطوات السلام الحقيقي.

بالفن يمكن تعافي الأطفال بعد النزاع



حنان بن طالب



بطالة الخريجين في اليمن

من تداعيات الحرب إلى طريق التعافي المجتمعي

عبدالله صبيح

يقضي الشاب اليمني سعيد عوض عامه السابع منذ تخرجه من كلية التربية بجامعة حضرموت دون أن يتمكن حتى اليوم من الحصول على فرصة عمل سواء في وظيفة حكومية أو في القطاع الخاص رغم تفوقه الملحوظ خلال سنوات دراسته الجامعية. ولا تختلف قصة سعيد كثيراً عن واقع عشرات الخريجين الذين يجتمعون تحت أشعة شمس الصباح بحثاً عن عمل يملأ فراغهم ويمنحهم شعوراً بالاستقرار.

وبالنسبة لكثير من الخريجين اليمنيين أصبح هذا المشهد مألوفاً في بلد تتلاشى فيه فرص العمل مع استمرار الصراع الطويل الذي أنهك الاقتصاد وأضعف التماسك المجتمعي. وفي ظل هذه الظروف تحولت البطالة إلى تحد اجتماعي وإنساني يمس استقرار المجتمع، وفرص التعافي، وبناء السلام خاصة في بلد يشكل الشباب فيه النسبة الأكبر من السكان.

أدت الحرب في اليمن إلى تدهور كبير في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ودفعت شريحة واسعة من السكان إلى دائرة الفقر والبطالة. فقد أشار وزير الشؤون الاجتماعية والعمل السابق محمد الزعوري في كلمة ألقاها في القمة العالمية الثانية للتنمية الاجتماعية في دولة قطر العام المنصرم إلى أن الحرب التي شنتها ميليشيات الحوثي أدت إلى وقوع أكثر من 80 بالمائة من السكان تحت خط الفقر وارتفاع معدلات البطالة إلى نحو 60 بالمائة في أوساط الشباب وفقاً لما نقلته وكالة الأنباء اليمنية سبأ.

وتؤكد تقارير البنك الدولي أن سنوات الصراع في اليمن تسببت في انكماش الاقتصاد بشكل كبير وهذا أدى إلى تراجع فرص العمل في القطاعين العام والخاص الأمر تسبب في اتساع دائرة البطالة خاصة بين الشباب والخريجين الجدد الذين يدخلون سوق العمل سنوياً دون وجود فرص كافية لاستيعابهم. ويجد الشباب أنفسهم اليوم أمام فجوة متزايدة بين مخرجات التعليم الجامعي

واحتياجات سوق العمل في وقت تراجع فيه الإقبال على التعليم الجامعي نتيجة ضعف مواءمة المناهج الأكاديمية مع الواقع المهني، إذ تؤكد منظمة العمل الدولية أن ضعف الربط بين التعليم ومتطلبات سوق العمل يعد أحد أبرز أسباب ارتفاع بطالة الخريجين في الدول التي تعاني من الأزمات والصراعات.

وقد دفع هذا الوضع كثيراً من الخريجين إلى العمل في مجالات بعيدة عن تخصصاتهم مثل الأعمال الشاقة أو الأعمال المؤقتة وغير المستقرة بينما اختار آخرون الهجرة والاعتراب عن وطنهم وأسهرهم بحثاً عن فرص تحقق جزءاً من طموحاتهم المؤجلة.

ومع محدودية الفرص في القطاع المدني، اتجه عدد متزايد من الشباب الخريجين إلى الالتحاق بالسلك العسكري نظراً للرواتب التي تصرف بالعملة الصعبة، وهو ما انعكس سلباً على قطاع التعليم حيث أصبحت العديد من المدارس تعاني نقصاً في المعلمين؛ نتيجة غياب التوظيف الحكومي، وتزايد حالات التقاعد بين الكوادر التعليمية.

كما تسببت البطالة في تفاقم عدد من المشكلات الاجتماعية والنفسية بين أوساط الشباب، من بينها تأخر سن الزواج، وارتفاع معدلات الهجرة، إضافة إلى الانجراف نحو بعض السلوكيات السلبية، أو الجريمة. وفي هذا السياق تؤكد تقارير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن تراجع النشاط الاقتصادي وإغلاق كثير من المؤسسات الإنتاجية والخدمية في اليمن خلال سنوات الحرب أسهما بشكل مباشر في تضيق فرص العمل وزيادة هشاشة الأوضاع الاجتماعية.

ورغم اتساع أزمة البطالة برزت بعض المسارات البديلة، حيث اتجه عدد من الخريجين إلى تعلم كثير من المهن الحرفية أو التقليدية، مثل صيانة الهواتف، وصناعة البخور، والعطور، وصيانة وتركيب الطاقة الشمسية، بالإضافة إلى تأسيس مشاريع صغيرة مثل البيع في المتاجر الإلكترونية عبر منصات التواصل الاجتماعي، وتؤكد منظمة العمل الدولية أن دعم المشاريع الصغيرة وريادة الأعمال يمثل أحد أهم المسارات لتعزيز التعافي الاقتصادي في البلدان الخارجة من النزاعات.

وفي المحصلة تكشف أزمة بطالة الخريجين في اليمن عن أحد أبرز تداعيات سنوات الصراع التي أضعفت الاقتصاد وقلصت فرص العمل ودفعت آلاف الشباب إلى مسارات غير مستقرة أو إلى الهجرة بحثاً عن مستقبل أفضل. ومع ذلك فإن تحويل هذه الأزمة إلى مدخل للتعافي يظل ممكناً عبر سياسات تركز على تمكين الشباب من فرص العمل المنتج ومواءمة مخرجات التعليم مع احتياجات سوق العمل ودعم المبادرات المجتمعية وريادة الأعمال. ويؤكد الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش أن الاستثمار في الشباب يمثل استثماراً في مستقبل المجتمعات واستقرارها وهو ما

يجعل تمكين الشباب اليمني من فرص العمل خطوة أساسية نحو بلد أكثر استقراراً
وقدرة على التعافي وبناء مستقبل يليق بتضحيات أبنائه.

بطالة الخريجين في اليمن من تداعيات الحرب إلى طريق التعافي المجتمعي



منى الجهيمي



تحديات القاهرة تواجه الفئات الهشة في تعز

شيماء رمزي

"أنا أجمع كرامتي ولقمة عيشي من قمامة الشوارع، خوفاً من أن يمدّ أولادي أيديهم فيها"، بهذه العبارة ردّ أكرم، جامع علب بلاستيكية، على سؤالنا له عن سبب جمعه لعلب البلاستيك في الشوارع ليلاً، رغم هندامه ونظافة ملابسه وكبر سنه وثقافته، لكن يبدو أنّ الحاجة الملحة أجبرته على الخروج خفية عن الناس في الليل مع الأجواء المتقلبة، لجمع ما يمكنه من تقديم وجبة لأسرته، في ظلّ غياب تام لآليات دعم وحماية هذه الفئات التي تعتمد على الاقتصاد البيئي في مديرية القاهرة - تعز. في محافظة تعز، مجتمع يعاني من ظروفٍ شديدة التقلب والقسوة، إثر الصراع المستمر في اليمن، أظهرت تغيّرات طارئة وإجبارية على التركيبة المجتمعية، نتج عنها سحق لفئات ذات مستويات اقتصادية متفاوتة، اعتُبرت فيما مضى ذات مستوى اقتصادي متوسط، ما أظهر فئات هشة تعتمد على الاقتصاد البيئي الدائري وإدارة النفايات، وهو اقتصاد يافع في اليمن، يعتمد فيه الأفراد على جمع وفرز النفايات الخفيفة، وبيعها بالكيلو مقابل الحد الأدنى من الأجور. ولا يراعي خصوصيات النوع الاجتماعي وذوي الاحتياجات الخاصة والمعاقين، إلا أنه أصبح مصدر الدخل الوحيد لكثير من العائلات الأشد هشاشة، لتأمين الحد الأدنى من احتياجات الحياة، ولا يقتصر هذا الحال على طبقة اجتماعية مهمشة، أو أصحاب مهن محدّدة، بل على الفئات الهشة كافة.

عرّف روبرت موجه المجتمع الهشّ بأنه ذلك الذي يعاني من ضعف التضامن المتبادل فيما بين الأفراد والجماعات، ويظهر هذا الضعف في تفاقم صور عدم المساواة أو الاستبعاد الاجتماعي وفقدان الثقة، ونشوب الصراعات القائمة على أسس التمييز الاجتماعي المختلفة¹. ينطبق هذا التعريف على المجتمع المحلي في مديرية القاهرة؛ إذ تُحدد الأوتشا الفئات الهشة في المديرية بما يقارب 45,555 نازحاً يعيشون في أحياء مكتظة، كما يصل عدد المهمشين في المديرية إلى 865 فرداً، إلى جانب الأطفال خارج المدرسة الذين يصل عددهم إلى 338 طالباً وطالبة، بالإضافة للنساء المعيلات لأسرهن، والأشخاص ذوي الإعاقة، وكبار السن ممن يفتقرون إلى مصادر

دخل ثابتة، ويفتقرون لجميع آليات الدعم والحماية، أي أنهم يشكلون أكثر من 30% من أصل التعداد السكاني بالمديرية الذي يقدر بـ 226,509 نسمة². ويمكن تعريف الفئات الهشة التي تعتمد على الاقتصاد البيئي بأنها: تلك الفئات التي تعاني من ضعف التضامن المتبادل فيما بين الأفراد والجماعات الذين يرتكنون على الفرص المحدودة، ذات الأجر الزهيد، في مجالات الاقتصاد البيئي البدائية أو الاقتصاد الخطي، مثل تجميع النفايات الخفيفة وبيعها والمشاركة في أنشطة بيئية موفّرة للحد الأدنى من الأجر، مثل التنظيف وفرز النفايات، بهدف مواجهة الفقر والتكيف مع الظروف الاقتصادية³.

يؤكد أ. فتح العامري، باحث في الشؤون الإنسانية، بأن المعالجة الفاعلة تأتي عبر إنشاء آلية تنسيق محلية للحماية بقيادة السلطة المحلية، وتحديث قاعدة بيانات دقيقة للفئات الهشة وربطها بالتدخلات، وتوسيع برامج التحويلات النقدية متعدّدة الأغراض، إلى جانب دعم مشاريع المياه المستدامة للأحياء الأكثر هشاشة. بالإضافة إلى أن تعزيز قدرات منظمات المجتمع المدني المحلية، وتبني نهج يربط بين العمل الإنساني والتنمية والاستقرار (HDP Nexus)) أصبح ضرورة ملحة لضمان استجابة أكثر استدامة اليوم بعد أن أنهكت الحرب كاهل اليمنيين، وسحقت على طريقها ملايين الأسر ذات مستوى الدخل المتوسط، وصيّرت المجتمع طبقتين: أعلى درجات الغنى، وأدنى درجات الفقر، في غياب تام لأي دور استراتيجي لمؤسسات الدولة ومنظمات المجتمع المدني، لتفعيل آليات الدعم والحماية الاجتماعية، وإنقاذ هذه الفئات المحطمة من صلف الظروف ومرارة العيش.

تحديات القاهرة تواجه الفئات الهشة في تعز



منار مدين محمد عائض



تعز التي فرقتها الحرب

كيف تحاول الدراما إنتاج مساحات مشتركة

سميرة عبد اللطيف

في محافظة تعز، حيث لا تفصل الحرب بين المتقاتلين فقط، بل تمتدّ لتعيد تشكيل العلاقات بين الناس، يبرز سؤال يتجاوز فكرة نهاية الصراع: كيف يمكن لمجتمع منقسم جغرافياً بين سلطات أمر واقع مختلفة أن يُعيد إنتاج مساحات مشتركة للحياة؟ تُشير أدبيات بناء السلام إلى أنّ الحروب الطويلة تُعيد تشكيل نظرة الأفراد بعضهم إلى بعض؛ ليصبح التعايش نفسه تحدياً يومياً. وفي هذا السياق، تبرز الفنون واحدةً من الأدوات القليلة القادرة على إعادة فتح قنوات التواصل بين المكونات الاجتماعية المختلفة. كما تؤكد تقارير دولية، من بينها تقارير اليونسكو وBritish Council، أنّ الثقافة، رغم أنها من أكثر القطاعات تضرراً أثناء النزاعات، تمثل في الوقت نفسه وسيلة فعّالة لتعزيز التماسك الاجتماعي بخلق مساحات للحوار والتفاعل. ينطلق هذا المقال من سؤال مركزي: إلى أي مدى يمكن للدراما، بوصفها أحد أشكال الإنتاج الثقافي، أن تُسهم في تعزيز التماسك الاجتماعي داخل محافظة تعز؟

تمثل تعز نموذجاً واضحاً لتأثيرات الحرب على البنية الاجتماعية، وقد انعكس ذلك على العلاقات اليومية والخدمات العامة، والبنية المؤسسية، ما أدّى إلى تعميق حالة التباعد بين مكونات المجتمع. في المقابل تبرز الدراما بوصفها أحد أهم أشكال الإنتاج الثقافي القادرة على خلق مساحات مشتركة للتفاعل. ولا يقتصر دورها على المحتوى الذي تقدّمه، بل يمتد إلى كونها بيئة عمل جماعية تجمع أفراداً من خلفيات اجتماعية وجغرافية مختلفة، ما يُتيح شكلاً من التفاعل اليومي القائم على التعاون المهني. وتُعدّ تجربة مسلسل "دروب المرحلة" مثلاً على هذا التداخل بين الإنتاج الفني والتنوّع الاجتماعي، حيث شارك فيه فنانون من محافظات متعددة، مثل: صنعاء، تعز، حضرموت، إب، مأرب، البيضاء، عدن، أبين، ريمة، شبوة، حجة، المحويت، ذمار، والمهرة. يقول مخرج العمل وليد العلفي "إنّ تصوير العمل تم في بيئات متعددة داخل محافظة تعز، من المدينة إلى الريف، وصولاً إلى الساحل الغربي في المخا"، مضيفاً:

"هذا التنوع كان خياراً مقصوداً، ومدرّوساً منذ المراحل الأولى لكتابة النص. حرصنا منه على إبراز ثراء اليمن بتنوعه الجغرافي والثقافي، وتقديم صورة جميلة تعكس هذا التنوع كعنصر قوة وهوية".

وتُشير بعض التجارب الدولية إلى أنّ الأعمال الدرامية يمكن أن تُسهم في تعزيز التعايش والتماسك الاجتماعي وإعادة التفكير في صور "الآخر". ومن ثمّ، فإنّ ما يجعل تجربة "دروب المرحلة" ذات دلالة خاصة هو أنها شكّلت مساحة حقيقية للتنوّع الموجود داخل محافظة تعز بين فريق عمل من خلفيات مختلفة عملوا جنباً إلى جنب، رغم اختلاف اللهجات والمناطق والتوجهات، وهو ما يمنحها بُعداً اجتماعياً يتجاوز الإنتاج الفني لتصبح نموذجاً مصغراً لبيئة عمل ناجحة استمرّت على مدى عامين، وربما ستستمر لأعوام قادمة.

يؤكد مخرج العمل أنّ واحدة من أهم أسباب نجاح العمل هو كمية التنوع لطاقم العمل فيه وقدرتهم على تقبل تنوّعهم رغم وجودهم في بيئة مليئة بالانقسامات المتعدّدة. وبالرغم من انتقاد البعض لمضمون المسلسل، حقّق متابعة كبيرة من الجمهور في أشهر العرض يتصدر الأعلى مشاهدة، وهو ما يُظهر قدرة الدراما أيضاً على تحريك اهتمام الجمهور.

وجّه مخرج العمل رسالة إلى الشباب اليمني قال فيها: "الفنّ والدراما أكثر من مجرد ترفيه، فهما وسائل فعّالة لبناء الوعي وتعزيز التعايش. أنتم قادرون بأعمالكم على نشر قيم السلام والمساهمة في بناء مجتمع أكثر تقارباً وتماسكاً". وفي ضوء ذلك لا يُنظر إلى تجربة "دروب المرحلة" بوصفها عملاً فنياً فقط، بل هي مساحة إنتاج مشتركة أتاحت شكلاً من أشكال التفاعل بين أفراد من خلفيات مختلفة، وقدمت نموذجاً عملياً لإمكانية التعايش والتعاون في بيئة منقسمة.

وفي الختام، يمكن التأكيد أنه في مدينة مثل تعز قد لا تكون الدراما قادرة على إنهاء آثار الحرب أو معالجة الانقسامات البنيوية، لكنها قد تُسهم في فتح مساحات صغيرة لإعادة بناء الثقة بين الناس. وفي كثير من الأحيان، تكون هذه المساحات المحدودة هي الخطوة الأولى نحو استعادة ما فقده المجتمع في سنوات الصراع الطويلة، وكما قال أحدهم: "ما تفرّقه السياسة قد تجمعه الحكاية..."، ولعلّ الدراما هي أول الحكايات.

تعز التي فرقتها الحرب كيف تحاول الدراما إنتاج مساحات مشتركة



باسكال ياسر عبد الحميد محمد-



تعز بين تعليم جاف وثقافة غائبة

هل يمكن استعادة المدرسة كفضاء للحياة؟

شيماء محمد

قبل أن يبدأ الدرس الأول، كان بعض طلاب تعز قد أنهوا بالفعل درسًا آخر غير مكتوب: كيف يتجاهلون صوت الرصاص في الطريق إلى المدرسة. أحدهم يواصل السير، وآخر يسرع في خطاه، وثالث يلتفت ثم يمضي. هكذا تتشكّل طفولة جيل كامل، فتتداخل الحياة المدرسية مع يوميات الحرب، في مدينة مثقلة بالتوتر والتحوّلات العنيفة. في مثل هذا السياق، تتجاوز المدرسة وظيفتها التقليدية باعتبارها مكانًا لتلقّي المعرفة لتغدو أحد الفضاءات القليلة القادرة على إعادة ترتيب التجربة الإنسانية للطلاب، ومنحهم إمكانات للتعبير عن ذواتهم داخل بيئة منظمة، غير أنّ الحياة المدرسية في كثير من المدارس الحكومية في تعز أخذت تتشكل وفق نمط تعليمي ضيق، تنكمش فيه المساحات الثقافية والفنية التي كانت تمنح الطالب قدرة أوسع على التفكير والتخيّل، بل حتى القدرة على التعبير.

في الأعوام الأخيرة، تراجع حضور الأنشطة الثقافية في المدارس الحكومية بتعز على نحو ملحوظ. في وقت تتصل فيه هذه الأنشطة ببناء وعي الطالب وتوسيع مداركه؛ إذ تمثل الفنون والآداب والشعر والمسرح والفنون التشكيلية والتراث الشعبي لغات متعدّدة لفهم العالم وإعادة تأويله. بهذه الممارسات، تتشكّل مهارات التفكير النقدي، وتنمو القدرة على الخيال والإبداع، فتتكوّن لدى الطالب شخصية أكثر توازنًا ووعيًا بذاته وبمحيطه الاجتماعي. لكن في تعز، المدينة التي عاشت سنوات طويلة من الحرب، تأخذ هذه الأنشطة بُعدًا يتصل بالتعافي النفسي؛ كي تتحول الممارسة الثقافية إلى فضاء يعيد للطلاب علاقته بالحياة ويمنحه إمكانية تحويل التجارب الثقيلة إلى لغة فنية أو تعبير رمزي قادر على احتواء المشاعر.

هذه التحوّلات التي أصابت الحياة التعليمية في السنوات الماضية دفعت المدارس إلى التركيز على الحصص الدراسية باعتبارها النشاط المركزي داخل اليوم المدرسي، وهو ما أعاد تشكيل العلاقة بين الطالب والمعرفة بطريقة يغلب عليها الطابع التلقيني، أو قلّ بشكل جاف. داخل هذا السياق، أصبح الدرس اليومي قائمًا على

الشرح المباشر والكتابة والحفظ. في حين تراجعت الأنشطة التي تسمح للطلاب بالمشاركة الفاعلة في إنتاج المعرفة. وفي عام 2025 تحديداً، بدا حضور الأنشطة الثقافية محدوداً إلى حد كبير داخل المدارس الحكومية بتعز. الأمر الذي انعكس على قدرة الطلاب على التعبير عن أنفسهم وتطوير مهاراتهم الإبداعية، في مرحلة يحتاج فيها كثير منهم إلى مساحات آمنة تساعد على استيعاب تجارب الحرب والصدمات النفسية التي رافقت سنوات النزاع، فالتأثير الذي تتركه الأنشطة الثقافية داخل المدرسة يتجاوز تنويع البيئة التعليمية؛ إذ تفتح المجال أمام الطالب للتفاعل مع محيطه المدرسي بطريقة أكثر حيوية، فتعيد صياغة العلاقة بين المعرفة والتجربة اليومية.

في مدارس تعز، يظهر تراجع واضح في حضور الأنشطة الثقافية، حيث تقتصر معظمها على فقرات الإذاعة المدرسية أو فعاليات موسمية بسيطة، بينما يغيب المسرح والفنون والأنشطة الإبداعية عن الجدول اليومي للطلاب. هذا الواقع يحد من قدرة الطلاب على التعبير عن أفكارهم ومواهبهم، ويقلل من فرص تطوير مهاراتهم الإبداعية والاجتماعية. تشهد الطالبة سلوى من مدرسة عائشة على هذه الحقيقة، قائلة: "أيوه، في مدرستنا أحياناً يكون في أنشطة، مثل الرسم أو إلقاء شعر في الإذاعة المدرسية، مش دائماً تكون مستمرة، بس لما تحصل تكون حلوة وتكسر روتين الدراسة، ونحس إننا نقدر نطلع مواهبنا قدام زملائنا". وتصف تجربتها بأنها تمنح الطلاب شعوراً بالارتياح والتفاعل، بعيداً عن الجمود الذي تفرضه الحصص التقليدية: "النشاط يكون فيه حركة وضحك بين الطلاب، مش زي الحصة العادية اللي كله شرح وكتابة". وتُشير إلى أنّ الفن، سواء كان رسماً أم شعراً يوفر وسيلة للتعبير عن المشاعر والأفكار، خاصة لدى جيل نشأ في ظروف استثنائية، مضيئة: "واحد يرسم أو يكتب شعر يقدر يطالع اللي بداخله بدون ما يحتاج يشرح كثير بالكلام".

من زاوية المعلمين، تؤكد بدرية، معلمة في مدرسة الإحسان، أنّ هذا التراجع في الأنشطة الثقافية له أثر مباشر على الطلاب؛ إذ تقتصر معظم المدارس على الحصص الدراسية بوصفها النشاط الأساسي بسبب الظروف الصعبة وقلة الإمكانيات. تقول بدرية: "حضور الأنشطة الثقافية في المدارس في السنوات الأخيرة أصبح ضعيفاً جداً، فالمدارس تركز فقط على الحصص الدراسية، لذلك اختفت كثير من الأنشطة، مثل المسرح والفعاليات الفنية". وتُشير إلى أنّ غياب هذه الأنشطة ينعكس على شخصية الطلاب، حيث يفقدون مساحة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، ويصبحون أكثر ميلاً للانطواء، مشددة على الأثر النفسي لهذه الأنشطة: "الطلاب الذين يُشاركون في أنشطة فنية غالباً يظهر عليهم ارتياح نفسي أكثر؛ لأنها تساعد على تفريغ

الضغوط والتعبير عما عاشوه في سنوات الحرب". وفي المناطق الريفية المحيطة بتعز، يزداد الوضع صعوبة؛ إذ يكاد حضور الأنشطة الثقافية يختفي تمامًا. يوضح عبد الوكيل الشريحي، معلّم في مدرسة النضال بالمسراخ، أنّ الفجوة بين مدارس المدينة والريف واضحة، حيث تبقى بعض مدارس المدينة محتفظة بحدّ أدنى من الأنشطة الموسمية، بينما يكاد الريف يخلو من هذه الفعاليات. ويشير الشريحي إلى أثر هذا الواقع على الطلاب الموهوبين: "الطلاب الذين يمتلكون مواهب فنية أو ثقافية يشعرون بالضغط أو الإحباط عندما لا يجدون فرصة لعرض قدراتهم". ويربط ذلك بعدّة عوامل، منها تدني رواتب المعلمين، وغياب الكوادر المتخصصة، وتأثير بعض التصورات الاجتماعية التي تضيق بالفنون والمسرح، موضّحاً أنّ "الفن لغة الشعوب، وله دور توعوي كبير في محاربة الظواهر السلبية وغرس القيم الإيجابية، كما يظهر في التجربة المصرية التي ساعدت على تعزيز التعايش رغم تعدد الطوائف الدينية".

تقدم الطالبة خولة شهادة تؤكّد أهمية هذه الأنشطة، معتبرة أنّ المشاركة فيها تمنح الطلاب مساحة أوسع للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، وتُضيف: "المشاركة في نشاط فني تكون غالبًا أكثر متعة وحرية مقارنة بالحصّة التقليدية، كما تُقرب بعضنا من بعض؛ لأننا نعمل بروح الفريق ونتبادل الأفكار". وترى خولة أنّ الفن يُسهّم في نشر قيم التفاهم والسلام، وتقريب وجهات النظر بين الأفراد: "التعبير عن المشاعر والأفكار بطرق إبداعية يساعد على فهم الآخرين بشكل أفضل ويقرب وجهات النظر بينهم".

من جهة إدارية، تؤكّد سميرة، مديرة مدرسة الحياة في تعز، أنّ الأنشطة الثقافية تمثل عنصرًا أساسيًا في بناء شخصية الطالب، من خلال تطوير مهارات التواصل والتعبير، وتعزيز الثقة بالنفس، وترسيخ قيم التعاون والتعايش داخل البيئة المدرسية: "الأنشطة الثقافية تساعد على تطوير مهارات التواصل والتعبير، وتعزّز الثقة بالنفس، وتُسهّم في بناء شخصية الطالب بشكل متكامل". وتضيف أنّ هذه الأنشطة تدعم شعور الطلاب بالانتماء والاحترام المتبادل، وتشجع العمل الجماعي داخل المدرسة. في مجموع هذه الشهادات والتحليلات، يتّضح أنّ غياب الأنشطة الثقافية داخل المدارس الحكومية في تعز، خاصة في عام 2025، أزمة تربوية ونفسية حقيقية، تؤثر على نمو شخصية الطلاب وقدرتهم على التعبير عن الذات، وتفتح نقاشًا أوسع حول دور المدرسة في إعادة بناء وعي جيل تشكّلت طفولته في سياق استثنائي.

وعند النظر إلى واقع الأنشطة الثقافية في المدارس الحكومية في مدينة تعز، لا سيما في عام 2025، يتّضح أنّ حضورها داخل الحياة المدرسية ظلّ محدودًا للغاية، حيث

تقتصر غالبًا على فقرات الإذاعة المدرسية، في حين يغيب حضور الأدب والفنون والشعر بوصفها مكونات أساسية داخل الجدول الدراسي. هذا الواقع يفتح نقاشًا أوسع حول موقع الثقافة داخل المدرسة في مدينة خرجت منذ سنوات طويلة من الحرب، حيث يتصل حضور الفنون داخل التعليم بإعادة بناء الوعي لدى جيل تشكلت تجربته الأولى في سياق استثنائي. وبهذه الأنشطة تتكوّن لدى الطلاب القدرة على التفكير النقدي والإبداعي، وتنمو علاقتهم باللغة والجمال والمعنى، فيتحوّل التعليم من عملية نقل معلومات إلى تجربة إنسانية أوسع تُعيد للمدرسة دورها باعتبارها فضاءً لتشكيل الوعي والخيال عند الطلاب، ففي مدينة عاشت سنوات طويلة من الحرب، وما زالت تعيش حصار الحرب مذ عقد من الزمن، تبدو الحاجة إلى هذه الأنشطة الثقافية داخل المدارس الحكومية حاجة جوهريّة تتصل بإعادة بناء العلاقة بين الإنسان والعالم.

تعز بين تعليم جاف وثقافة غائبة

هل يمكن استعادة المدرسة كفضاء للحياة؟

عبير أحمد محمد العقاب



تعز عاصمة الثقافة في مواجهة النزوح وتآكل النسيج المجتمعي

نجوى عبده

تجلس أمّ شهد ناصر سعيد راوح أمام منزلها في حي ديلوكس بمديرية القاهرة وسط مدينة تعز، جنوبي غرب اليمن، مستذكرة أياماً كان فيها "الجار قبل الدار". تقول بحسرة: "الناس تغيّرت، لم تعد تلك الروح التي غلب عليها التفاهم والتراحم بين الجيران القدماء والجدد". تعكس هذه الحكاية واقع المدينة التي طالما اعتُبرت عاصمة الثقافة اليمنية، حيث يواجه السكان تحديًا مزدوجًا يتجاوز آثار الحرب المستمرة إلى الحفاظ على الروابط الاجتماعية أمام موجات النزوح المتسارعة، فكيف يمكن لتعز أن تحافظ على هويتها الثقافية والاجتماعية في ظلّ تآكل النسيج المجتمعي التقليدي مع تزايد أعداد النازحين؟!

أدّى النزوح الواسع إلى تراجع ملحوظ في عادات، مثل التكافل والتراحم، مما أثار شعورًا بالاغتراب بين سكان المدينة الأصليين. وفقًا لأحدث البيانات الرسمية، بلغ عدد الأسر النازحة في المحافظة نحو 60,532 أسرة، منها نحو 7,200 أسرة في مديرية القاهرة وحدها، حسب تصريح مدير وحدة النازحين بالمديرية عليّ الدورة.

تصف أمّ شهد كيف انخفض مستوى الانسجام بنسبة تصل إلى 80%، مما انعكس على الأطفال؛ إذ كانت علاقات الكبار أساسًا للوثام بين الصغار، مؤكّدة عدم وجود "اندماج حقيقي" بين النازحين والسكان الأصليين. تكشف هذه الشهادات عن فجوات واضحة في الألفة والترابط الاجتماعي، حيث تراجعت الأمثال الشعبية، مثل "اللّمة رحمة" و"جارك القريب ولا أخوك البعيد"، لكن التغيير يبدأ من الداخل، كما تؤكّد أمّ شهد، مما يشير إلى أنّ الضغط الديموغرافي يهدّد الروح الاجتماعية المتوارثة.

في المنزل المجاور، تعبر أمّ وليد درهم عن حنين مشابه: "الجار قبل الدار لم تعد موجودة"، تقولها بمرارة مضيقة: "قد تموت في بيتك ولا أحد يعرف". تروي كيف كان الجيران يتقاسمون الأفراح والأحزان، يزورون المرضى ويجتمعون في المساجد، حيث كانت "المجورة" قوية والتكافل جزءًا من الروتين. أما اليوم، فكلّ منشغل بنفسه ولم يعد عاقل الحارة، وفق أمّ وليد، يعرف أحوال السكان؛ إذ ترى أنّ التغييرات

طالت الأخلاق والسلوكيات، وتصف المجتمع بأنه "مفكك". ومع إيمانها بمقولة "الجماعة رحمة"، تشكو المرأة من غياب مبادرات حقيقية لإحياء الإرث الشعبي. هذا الوصف يُبرز كيف أنّ النزوح تجاوز تغيير الديموغرافيا، إلى إضعاف الروابط اليومية، مما يستدعي جهودًا لإعادة بناء الثقة قبل أن يصبح الاغتراب دائمًا.

منظور النازحين

من جانب النازحين في مدينة تعز، يبرز شعور بالاغتراب يعيق الاندماج، رغم وجود مقومات مشتركة، مثل الدين واللغة. تسكن أم نبراس باسل، القادمة من محافظة أبين جنوبي اليمن، في الحي نفسه، وتصف شعورها بالانتماء بأنه "لم يتشكل حتى بنسبة 1%"، و"كل واحد في حاله"، تقولها مختصرةً تجربتها، مشيرة إلى غياب المجاورة والترابط، وتستذكر وصية الرسول بالجار، لكنها ترى أن البعض يستخدم جاره فقط وقت الحاجة.

تتحدث المرأة عن غربتها الكبرى بعيداً عن أهلها وافتقادها لدفع العلاقات في أبين، حيث "كُنّا يدا واحدة، نأكل معاً ونضحك معاً ونحزن معاً". في تعز، لا أحد يشعر بجوع الآخر أو حزنه بحسب وصفها، وترى أن الاستقرار كان ضرورة سكنية بسبب شح البيوت، قائلة: "تحملنا من أجل البيت لا من أجل الجار". تبين هذه الرواية أن الاغتراب متبادل، ويؤكد الحاجة إلى جسور ثقافية لتحويل النزوح من عبء إلى فرصة للتعايش. ورغم التحديات التي يواجهها النازحون في الاندماج داخل المجتمعات الجديدة، فإن وجود مقومات ثقافية مشتركة يمكن أن يفتح الطريق أمام بناء علاقات أكثر تقارباً وثقة. على سبيل المثال تقدّم نوران، وهي طالبة علم اجتماع نازحة من الحديدة منذ خمس سنوات، رؤية أقلّ حدة؛ إذ تشير إلى أن الدين واللغة والتاريخ تمثل عناصر مشتركة بين الناس، غير أنّ شعور الاغتراب يظلّ مرتبطاً بالبيت القديم وجيران الطفولة. وتوضّح أن البساطة والألفة التي اعتادتتها في الحديدة لم تجدها كاملة في تعز، خاصة في تعامل بعض الشابات، لكنها ترى في المقابل أن الموروثات الثقافية يمكن أن تكون جسراً للتقارب إذا فُعلت، داعية إلى نشر الوعي بأنّ "النازحين إخوة، وكلنا معرّضون لمثل هذه الظروف". ويبرز هذا الطرح أن تعزيز قيم الجوار والتكافل، كما في المقولة الشعبية "جارك القريب، ولا أخوك البعيد"، يمكن أن يتحوّل إلى ممارسة يومية تُسهم في إعادة بناء الثقة بين النازحين والمجتمع المضيف، وتحول تجربة النزوح من مصدر توتر إلى فرصة لتعزيز التماسك الاجتماعي.

لقد أحدث النزوح في تعز ضغطاً ديموغرافياً يمتدّ إلى الخدمات الأساسية، مما يعمّق التوترات الاجتماعية. هذا الضغط يمتدّ إلى الصحة والتعليم والمياه والمأوى والأمن

الغذائي. ومع محدودية الموارد وتدهور البنية التحتية بفعل الحرب، يواجه المجتمعات المضيفة والنازحون تحديات يومية. وعلى الرغم من وجود بعض المبادرات المجتمعية والدورات التدريبية لتعزيز التعايش، يظل نجاحها مرهوناً باستعداد الأفراد للتغيير، كما ترى أم شهد.

هذا الواقع يستدعي توسيع التدخلات الإنسانية والتنمية لتشمل مشاريع مستدامة في البنية التحتية والتمكين الاقتصادي، إلى جانب برامج لدعم التماسك المجتمعي للحد من التوترات. تدعو أم شهد وحدة النازحين الشركاء إلى تكثيف الجهود في تعزيز، مع أولوية لمديرية القاهرة بالاستثمار في المياه والصحة والتعليم والمأوى، ودعم المبادرات للاستقرار الاجتماعي والاقتصادي. كما تؤكد هذه الضغوط أنّ الحلول يجب أن تكون شاملة، تجمع بين الإغاثة الفورية والتنمية طويلة الأمد لمنع تفاقم التفكك.

دور القيادات المجتمعية والثقافية

للقيادات المجتمعية والثقافية دور محوري في حماية النسيج الاجتماعي وإعادة بنائه؛ إذ تؤكد زينب القاضي، مديرة إدارة تنمية المرأة بمديرية القاهرة، أنّ استعادة التماسك تتطلب توحيد الخطاب وفتح الحوار مع تقديم المصلحة العامة. العمل التشاركي في النظافة والإغاثة وتأهيل النساء أمر بالغ الأهمية بحسب زينب، وترى أنّ الفعل المشترك يبني الثقة، مؤكّدة تنفيذ مبادرات لرصد الاحتياجات وحصر النازحين، وتدريب في الخياطة والأمن الرقمي، ودورات في السلام العائلي والدعم النفسي. أضعفت التغييرات الهيكلية جراء الحرب، مثل تفكك الأسر وارتفاع الفقر، الروابط الاجتماعية؛ إذ ترى القاضي أنّ الحكمة الشعبية يمكن أن تبني الثقة إذا تحولت إلى برامج مثل تفعيل التكافل و"الصلح خير". وتطرح المسؤولية المحلية خمسة مرتكزات: استعادة الذاكرة المشتركة، تحويل الثقافة إلى حوار، تمكين النخب المعتدلة، تعزيز المواطنة، وإشراك الشباب والمرأة. تبرز هذه الرؤية أنّ القيادات يمكنها تحويل الثقافة من تراث إلى أداة عملية لترميم الاجتماعي.

مع تفكك النسيج الاجتماعي نتيجة التحوّلات والصراعات، تبرز الحاجة إلى مبادرات ثقافية فاعلة تعزّز ثقافة التعايش وترسخ الهوية اليمنية وتُعيد إحياء القيم التشاركية في المجتمع. وفي هذا السياق، يوضّح وضاح اليمن، مؤسس مؤسسة إرم للتنمية الثقافية، أنّ المؤسسة تعمل على إحياء قيم التعايش بالمناصرة الثقافية، عبر برامج تهدف إلى ترسيخ الهوية اليمنية ودعم الابتكار وبناء شراكات مجتمعية. ويضيف أنّ من بين خطط المؤسسة لعام 2026 إطلاق مشروع لتوثيق الحكاية الشعبية وتحويلها إلى برامج تنموية، مؤكّداً أنّ قياس الأثر يمثل عنصراً أساسياً في نجاح هذه

المبادرات، وأنّ الرهان على المؤسسات الثقافية يمكن أن يُسهم في ترميم الروابط الاجتماعية رغم التحديات المرتبطة بالتمويل.

فيما يؤكد قاسم إبراهيم، مدير مكتب الثقافة بتعز، أنّ خطة 2026 تعتبر الثقافة خطّ دفاع في معركة الوعي، تشمل توثيق الذاكرة الوطنية وجمع التراث الشفهي والمركزية الثقافية، يركز على التراث غير المادّي مثل جمع الأمثال التعزية وربطها بالقيم لتقديمها بلغة معاصرة للشباب، وذلك بهدف الانتقال إلى مشروع ثقافي متكامل يعزز التماسك.

ويرى الفنان مروان المخلافي الفنّ أداة لمعالجة المشكلات الاجتماعية، لكنه يشكو من غياب أعمال درامية تعالج التقارب بين السكان والنازحين أو نبذ العنصرية، كما يؤكّد ضرورة استعادة القيم الإيجابية مع اختيار الأمثال المناسبة للبناء والسلام. أما عبد الجبار جويبر المقرمي، المهتم بالموروث، فيصف الأمثال بأنّها خبرة تراكمية تعزّز الترابط، مثل "الجار قبل الدار" و"يد واحدة ما تصفق"، يرجع تراجعها إلى التحولات السياسية وثورة التواصل، كما يدعو إلى توثيق التراث وتداوله مع الحفاظ على الهوية كالأزياء والأكلات.

أدتّ التغيرات الديموغرافية والحرب إلى بروز حالة من التوجّس الاجتماعي بين بعض فئات المجتمع، ما يستدعي دورًا أكبر للمؤسسات الثقافية والاجتماعية في معالجة هذه التحديات وتعزيز التماسك. وفي هذا الاتجاه تُشير أطراف الأهدل، مدير إدارة الإعلام بمكتب الشؤون الاجتماعية، إلى أنّ التوجّس الاجتماعي ناتج عن هذه التحولات، مقترحة نشر ثقافة الانفتاح وتفعيل القوانين، إلى جانب دور الجامعات في إعادة تقييم العلاقات الاجتماعية وتعزيز قيم التعايش. من جانبه يرى رمزي الدميني، مدير الآثار، أنّ الحرب عمّقت بعض الانقسامات، لكنّها في الوقت نفسه كشفت عن أشكال من التكافل بين الناس في أوقات الأزمات. ويؤكد أنّ إدراج الثقافة ضمن خطط السلام، إلى جانب تمويل البرامج الثقافية وتوثيق قصص الحرب، يمكن أن يُسهم في تعزيز الوعي المجتمعي وإعادة بناء الثقة بين أفراد المجتمع. وهذه الرؤى المتقاطعة تؤكّد أنّ القيادات الثقافية قادرة على تحويل التحديات إلى فرص، ببرامج توثيقية وتدريبية تعيد الثقة والتماسك.

ختامًا، تكشف الشهادات والرؤى المطروحة أنّ مدينة تعز، رغم ما واجهته من موجات نزوح وضغوط ديموغرافية، ما تزال تمتلك فرصة لاستعادة روحها الاجتماعية بالثقافة بوصفها أحد أهم أدوات ترميم العلاقات بين الناس. فحالة الاغتراب المتبادل بين السكان والنازحين، إلى جانب تراجع بعض العادات التقليدية، تُبرز الحاجة إلى مبادرات مجتمعية مشتركة تُفعّل قيم التكافل وتُعيد إحياء التراث الثقافي؛ لتتحول الأمثال

الشعبية من أقوال متداولة إلى ممارسات يومية تعزّز الثقة والتقارب. وفي ظلّ استمرار تحديات النزوح، يصبح التماسك الاجتماعي ضرورة وطنية لحماية النسيج المجتمعي للوطن كله، ما يجعل الأمل معقوداً على قدرة المدينة على استعادة هويتها القائمة على التضامن، لتظلّ تعزّ فضاءً للثقافة والتعايش لا ساحة للصراع.

تعز عاصمة الثقافة في مواجهة النزوح وتآكل النسيج المجتمعي

مريم محمد علي عيسى صالح



حين تنكمش المدينة ويتسع خطاب الكراهية

عدن من سيارة وَرُورٍ إلى أسئلة الهوية

معاذ مدهش

سيارة وَرور واحدة من أكثر القصص دلالة على جاذبية عدن، قصة تعود إلى ما قبل الثورة في شمال اليمن، إبان حكم الإمامة، لم يكن ورور سياسيا، ولا صاحب قضية، ولا حتى رجلا يحب كثرة الكلام، كان سائقا فقط، يعرف الطريق من تعز إلى عدن كما يعرف جيوبه. سيارة قديمة يُحمّلها بالشباب صباحًا، شبان ملّوا الوضع السياسي وانغلاقه، فقصّدا مدينة منفتحة على الجميع، يغلق ورور باب سيارته ويمضي، يعبرون الطريق وهم محمّلون بفكرة واحدة: عدن. يفتح ورور باب سيارته في عدن، ينزل الشبان ليكتشفوا شيئًا مختلفًا، مغايرًا لكلّ ما عرفوه، يجدون مدينة تمشي على مهل، تتنفس بحرًا، لا تسألهم: من أين جئتم؟ ولا لماذا هربتم؟ السائق لم يكن ينقذ أحدًا، كان يقود وحسب، يُغلق الباب ويمضي، في رحلة لا تستغرق أكثر من ساعات، لكنّها كافية لتغيير مسار حياة كاملة. ورور في طريق الرجوع، لا يبحث عن ركاب، يعرف جيدًا أنّ المقاعد التي كانت تضيّ قبل ساعات ستعود فارغة، أو بالأصحّ من يحبّ فكرة ترك عدن. ومع الوقت، وُلد مثل شعبي ظلّ متداولًا وما زال "مَع ورور"، يُقال لكلّ مَنْ يُقرّر الرحيل بلا نية رجوع؛ لأنّ مَنْ سافر معه كما تقول الذاكرة الشعبية لا يودّ العودة. عُرِفَت عدن طوال السنوات بأفقه المفتوح، مدينة تشكّلت من البحر بقدر ما تشكّلت من البشر، وتعلّمت مبكرًا أنّ الموانئ لا تعترف بالأنساب والألقاب، وأنّ السفن لا تسأل عن لهجات ركّابها. لذلك حين ينظر اليوم إلى انحسار المدنية في عدن، لا يبدو الأمر مجرد تراجع عمراني أو أمني، إنما يُعدّ تراجعًا في فكرة المدينة بوصفها مساحة مشتركة، وفكرة العيش مع الآخر لا على هامشه.

من محمود درويش ورامبو إلى مقاهي كريتر إذا ما بحثنا في تاريخ عدن، فلن نجد يومًا أنها صنّفت "الآخر" خطرًا أو استثناء. وأبعد من ذلك وبطبيعتها سنجد أنها جعلتهم جزءًا من المشهد اليومي في السوق، في المدرسة، في الميناء، وفي المقاهي. الشاعر الفرنسي "رامبو" لم يكن غريبًا بالكامل،

وإليزابيث لم تكن حادثة عابرة، والهنود والصوماليون واليهود، إلى جانب اليمينيين القادمين من تعز وحضرموت ولحج، كانوا جميعا نسيجا واحدا، لا يسأل فيه الإنسان، من أين أنت؟ يتوقف السؤال عند: ماذا تعمل؟ وماذا تعرف؟ وماذا تُضيف؟

في مخيال الأدب العربي، يأخذنا محمود درويش في قصيدته "ذهبنا إلى عدن قبل أحلامنا" إلى عدن التي تتجاوز حسب وصفه الجغرافيا. الذهاب إلى عدن عند درويش أشبه بمحاولة التقاط إيقاع مختلف للحياة، قبل أن تُحاصر الأحلام بالقبائل، وقبل أن يتحوّل الوطن إلى سؤال موجه، هذه الفكرة تتقاطع مع حكاية ورور الشعبية، الذهاب إلى عدن كفعل تمرد هادئ، لا شعارات فيه، مجرد رحلة تنتهي غالبا بعدم العودة. يحكي كبار السنّ عن عدن بوصفها مدينة تعرف نفسها، تستشعر هذا في تنهدهم وهم يقولون: "كانت عدن". تستشعره وهم يحدثونك عن مقاهي كريتر، كيف كانت تُدار فيها نقاشات السياسة والأدب بلا خوف، عن دور السينما التي عرفت الجمهور على العالم قبل وجود التكنولوجيا، عن مكتبات تباع ضحفاً قادمة من القاهرة وبيروت وبومباي، هذا الانفتاح كان ضرورة يومية لمدينة تتنفس عبر الخارج، وتحتاج لغة مشتركة مع العالم، لغة التسامح والفضول والقدرة على قبول الاختلاف.

يمكن فهم هذا التحول من مثال بسيط ومتكرر اليوم، مثلا شخص يطرح رأيا في قضية عامة، في باص أو في مجلس، وبدلا من أن يناقش رأيه، يُسأل أولا "من أين أنت؟"، أو ينظر إلى لهجته، فإذا كانت إجابته ولهجته مألوقة، يُستقبل كلامه بهدوء، وربما بتفهم، أما إذا كان مختلفا، والاختلاف هنا جغرافيا وثقافة، فيتحوّل النقاش إلى شك: لماذا يتكلّم؟ ما الذي يمثّله؟ لصالح من يقول هذا؟ يصبح المكان الذي جاء منه المتحدث هو الإطار الذي يحاكم داخله صوته، وهذا المثال يختصر الفكرة، الجغرافيا لم تعد مجرد خلفية شخصية، صارت معيارا للقبول أو الرفض، تُحدّد ما إذا كان وجودك طبيعيا أم مُثيرا للريبة، ما إذا كان رأيك يُناقش بوصفه فكرة، أم يُختزل امتدادا لمكانك.

سابقا لم تكن عدن مدينة مثالية، كانت فقط مدينة واعية بذاتها، مدينة تعرف أنها مدينة، لا قرية موسّعة. والمدينة بطبيعتها، تفترض القانون، والتعدّد، وقبول الاختلاف، والقدرة على إدارة التناقضات. حتى إليزابيث لم تُختزل في ذاكرة عدن بوصفها "مستعمرة"، إنما اعتبرت معلمة صارمة علمتهم القراءة والنظام، ورامبو، الذي عاش في عدن، لم يكن شاعرا هاربا من أوروبا وحسب، بل شاهد على مدينة تستوعب الغريب من دون أن تفقد ملامحها، هذه التفاصيل الصغيرة، تتركنا أمام سؤال، أين عدن اليوم من هذا؟

ليس المقصود هنا تمجيد عدن المرتبطة بالاستعمار، ولا التغاضي عن جراحها، أكثر

من استعادة روحها المدنية، روحها التي جعلت الاختلاف طبيعيا لا مهدّدا، وجعلت الثقافة خطّ الدفاع الأول ضد التعصب.

انحسار المدنية في عدن لو أُخضع للمنطق الصحي بعيدا عن النمطيات، فلن يكون قدرا محتوماً، أكثر مما هو نتيجة خيارات، أو غياب خيارات، وأكثر ما تحتاجه عدن اليوم ليس خدمات وبنية تحتية وحسب، رغم أنها مدماك فعلي، بل تحتاج أكثر من ذلك استعادة خطابها عن نفسها، مدينة لا تخاف من الآخر؛ لأنها تعرف نفسها جيدا، مدينة تعلّمت من البحر والآخر معنى الاتساع، لا الانغلاق، ربما لن تعود عدن كما كانت، وهذا طبيعي.

في النهاية، عدن أكثر عمقا من أن تُحصر في زقاق ضيق يفتّش فيه الناس في نبرات أصوات بعضهم، جوهر عدن الحقيقي هو قدرتها على جعل القادم إليها يخلع هويته الضيقة عند مداخلها، ويشعر من اللحظة الأولى أنه ليس غريبا. ربما أجمل صورة تختصر هذا الدستور هي أغنية الفنان الراحل أحمد بن أحمد قاسم "يا ساحل أبين بنى العشاق فيك معبد"، في هذه الأغنية ميثاق لمدينة تفتح ذراعيها لكلّ من "يحنّ للرملة" من دون سؤال عن أصل أو فصل، فالبحر والرمل والبدر، كلهم يشهدون أن عدن كانت، ويجب أن تظل، شاهدة على الوداد وحسب.

حين تنكمش المدينة ويتسع خطاب الكراهية _ عدن من سيارة وزور إلى أسئلة الهوية _



محمد رياض محمد عمر جوبح



خارج أبواب الصراع

تمكين المرأة بين التقاليد والتنمية

رحاب عرفات

في ضحوية مشمسة من ضحويات مدينة المكلا، حيث تهب نسيمات البحر محملة برائحة المودة والسكينة، كان الوالد "سالمين" جالسًا يرتشف الشاي مع الباخمري ويتحلىم عبر مجموعات الواتساب مع أصحابه المتقاعدين. قال بنبرة قلقة: "يا رجال، اش ذي الأخبار اللي نسمعها كل يوم؟ بنتي فاطمة بغت تروح تمثل حضرموت في مؤتمر ثقافي وتتكلم قدام البعثات والوفود. عادنا إلا باقعد في السكة والناس تقول: سالمين ضيع الرسن وخلي الحبل على الغارب!".

فاطمة ابنة سالمين المدللة، شابة صقلتها أروقة كلية الآداب في جامعة حضرموت، لم تياس يومًا في تغيير نظرة والدها عن تمكين المرأة. هي تعرف أن والدها "كوره يابس" كما يقولون، رأسه عنيد لكن قلبه كبير، وأن الأمر يحتاج منها إلى صبر ومجهود أكبر.

صباح يوم المؤتمر، كانت فاطمة تبتسم وهي تجهز أوراقها وقصاصات من تراث حضرموت المعماري. اقتربت من والدها وقالت بهدوء: "يا بويه، حضرموت طول عمرها تصدر العلم والأدب من ميناء المكلا لكل العالم، وبنتك ما بتلقى إلا اللي يشرفك ويشرف حضرموت. خليها بالسهالة والأمور طيبة، والمحارة إذا تمت في القاع ما حد درى بجمال لؤلؤها".

انطلقت فعاليات المؤتمر في إحدى قاعات المدينة، صخب الدهشة طاغ على اختلاف الألسن، الجميع يسكنه الفضول حول ماذا سيقال، ومن بينهم سالمين الذي اختار أن يلبي دعوة ابنته يدفعه بذلك خوفه المخلوط بالفرح. اختار زاوية لا يراه فيها أحد، وما لبث أن سمع صوتًا مألوفًا. رفع بصره إلى المسرح ليجد ابنته تقف بثبات بعباءتها الوقورة، تتحدث بلغة رصينة عن "دور الثقافة في التثام الجروح الوطنية". سمع

الحاضرين يهمسون: "بنت من ذي اللي كلامها يوزن ذهب؟" فرد أحدهم: "ذي فاطمة بنت سالمين، يقولون عقلها يوزن بلد، وهي اللي رتبت وثيقة التعايش لشباب الساحل".

في تلك اللحظة، لم يشعر سالمين إلا بدموع الفخر تسبقه. عاد إلى بيته وبخّر المجلس بالبخور الحضرمي، واستقبل ابنته قائلاً: "يا فاطمة، اليوم عرفت إن تمكين المرأة مش خروج عن عادتنا. التمكين هو إن عادتنا تخرج للعالم بصورة تشرف وتصلح حال الناس!" كثيرٌ ممّا رأى أمثال العمّ سالمين الذي يتمنى لو أن يُخلّق بابنته نحو الفضاء بلا حد ولا قيد، ولكن يخاف أن يكون على غير ما اعتاد عليه المجتمع، أن تطاله الألسن بما لا يطيق أو أن يسكن ابنته جرحٌ غائر من كلمة عابرة، الآباء أرحم ببناتهم من ويلات الكلمة وسعير الجمل، يفضلون أن تُقتل الأمنيات لا أن تموت بناتهم في سبيلها.

إلى كل أب حضرمي يحمل هواجس "الوالد سالمين"، إلى كل من يخاف على ابنته من قسوة الميدان أو من نظرات المجتمع: إن تمكين ابنتكم في الساحة الثقافية لا يعني تغريبها عن قيمها. على عكس ذلك، إنه تحصين لها بالعلم والمعرفة لتصبح شريكاً حقيقياً في بناء وطن آمن. ابنتكم التي تخرج بعباءتها الوقورة، بعلمها وأدبها، هي التي ستحمي إرث أجدادها من الاندثار. نجاحها اليوم هو ثمرة تربيتمكم الصالحة، وهو الضمان الحقيقي لكي تظل حضرموت "أرض العلم والعلماء".

إن "تمكين المرأة" ليس مصطلحاً يحمل في طياته العداوة والبغضاء للعادات والتقاليد، على عكس ذلك، هو مصطلحٌ تغنت به الشريعة الإسلامية فقال الله عز وجل: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف" وقال الرسول صلى الله عليه وسلم "النساء شقائق الرجال" أي لا فرق بينهم في الحقوق ولا في الواجبات، الجميع سواء. وبناءً على ذلك برزت لدينا التجارة خديجة بنت خويلد، والطبيبة رفيدة الأسلمية، والشاعرة الخنساء المخضمة، ومثقفات العصر من نساء الأنصار، والتاريخ يحمل في جعبته الكثير.

لم يكن التمكين يوماً سبيلاً للتخلي عن القيم والمبادئ، ولا بوابة للسفور والتبرج، فهذا منطق الجاهلين الذين يرون أن مكان المرأة "المطبخ" ولا شأن لها بالعالم الخارجي. العالم اليوم لم يعد كما كان من قبل، كل شيء له ميزانٌ يحكمه، وتواجه المرأة فيه سببٌ لتوازنه، فتمكين المرأة يخلق من الموت حياة، ومن الاندثار ازدهار،

فلا نهضة لمجتمعٍ أساسه بور، ولا بقاء لحضارة نصف شعبها غير مُمكن.

ومن رحم المعاناة نرى اليوم تزايد عدد الشبكات المهنية النسائية الرسمية التي تعمل على دعم تمكين المرأة في الساحل وتفعيل دورها في العمل المجتمعي والتنموي، وقد نشأ من هذه الشبكات قيادات نسائية حضرمية يمثلن مجموعة واسعة من القطاعات المهنية، والآتي أكدت بعضهن على " أن الشبكة الأسرية هي الخطوة الأولى في توفير الدعم للنساء " فالتمكين يبدأ من المنزل حتى يظهر للعالم.

وننتقل من الساحة إلى رأس الهرم لنرى "عفاف" و"أميرة" و"عتاب" في مؤسسات السلطة المحلية، تثبت الواحدة منهن تلو الأخرى أن الكفاءة لا تعترف بالجنس. صحيح أن الأعداد ما زالت دون الطموح، لكن الحضور النوعي للمرأة في المكاتب التنفيذية يرسم ملامح جديدة للإدارة، فحين تدير المرأة ملفاً ستفعل كل ما يجب حتى يبدو على أكمل وجه، ويظهر بأحسن صورة له.

ولأن صندوق دعم الشباب يعتبر مركزاً مهماً في تمكين ودعم المشاريع النسائية، قمنا بطرق أبوابه لنستلهم قصص النجاح التي ما كانت لتصير لولا وجوده ووجود الاستاذة رشا بن هامل التي تقوده بمهنية وكفاءة بارزتين، تقول رشا: "نحن نؤمن أن تمكين المرأة ركيزة أساسية للتنمية المستدامة" فكل ما يموله الصندوق يعد بوابة لاستقلالية المرأة الاقتصادية. يسبقه تأهيل وتدريب، وتتبعه استشارات فنية ترعى المشروع حتى ينمو. وقد أثبتت المرأة الحضرمية التزاماً منقطع النظير؛ فالمشاريع التي تديرها نساء غالباً ما تكون الأكثر انضباطاً في السداد، والأكثر حرصاً على التطوير. حيث أن حضور المرأة لا يقتصر على التواجد الكمي بل هو حضور نوعي يضيف لمسة إبداعية فارقة.

وتأكيداً على أن تمكين المرأة لا ينافي عادات المجتمع ولا يعارض تقاليده، تقول خديجة بابطاح الفائزة بجائزة السرد اليميني "حزاوي" عن روايتها "إينشا" والتي جلست حبيسة الأركان مدة 5 سنوات بسبب قلة الفرص: "إن تمكين المرأة يبدأ من نشر الوعي بأهمية تعليم الفتيات. حين نعلم بنتنا، نمنحها مفاتيح العالم. ثم تأتي الأمور الثقافية بشكل طبيعي خلال المراحل التعليمية، فتكتسب الفتاة قوة التعليم والوعي الثقافي معاً". وهذا يعني أنه لا يمكن بناء مثقفة دون أن نمرر لها شغف المعرفة منذ الصغر، ولا يمكن لامرأة أن تقود دون أن تؤمن هي أولاً بأنها قادرة،

لتختم كلامها بالتأكيد على أن أسرتها هي المحفز الأول لها للسير في هذا الدرب.

ومن منبر الثقافة ترى الاستاذة فاطمة البعسي أن تمكين الفتاة عزز من قيم التسامح والتعايش والمجتمعي حيث عبرت بقولها: "وجودي في مكتب الثقافة لم يكن مجرد وظيفة إدارية، بل مساحة فعلية لممارسة دور ثقافي وإنساني. من خلال عملي، سعينا لأن تكون الثقافة جسراً للتقارب لا منصة للإقصاء، فكان التركيز على دعم الفعاليات التي تجمع مختلف الفئات، وتشجع الحوار، وتحترم التنوع في الآراء والخلفيات. حرصنا دائماً على أن تكون الأنشطة الثقافية حاضنة لكل الأصوات، وخاصة الشباب والنساء، لأن إشراك الجميع في المشهد الثقافي يخلق وعياً مجتمعياً قائماً على التسامح، ويعزز فكرة أن الاختلاف ليس تهديداً بل ثراء للمجتمع". وعلى نحو متصل قالت: "إن التمكين الحقيقي لا يكون عبر المحاصصة بل عبر فتح الفرص العادلة، وبناء بيئة عمل تحترم الجدارة، وتقيم الأداء بعيداً عن النوع الاجتماعي". لقد أثبتت لنا الاستاذة فاطمة أن التمكين جسرٌ نحو نهضة المجتمع وبناء علامة فارقة فيه، فالمجتمع اليوم بحاجة إلى تكاتف جميع أبنائه لا أن يرمي بعضهم بعضاً بنبال التهميش والإقصاء، الجميع لديه الحق في الحصول على فرصة يثبت بها نفسه وجدارته، نحن الآن في مرحلة التغيير والبناء لا مرحلة التحريض وإشعال ألسنة الحرب بين الجندر.

ختاماً: نقول إن تمكين المرأة في ساحل حضرموت ليس مشروعاً غربياً مستورداً، وليس بدعة مستحدثة تتنكر للتراث. إنه امتداد طبيعي لدور المرأة الحضرمية عبر التاريخ، آن الآن للتهميش أن ي زال، وليأخذ كلٌّ من أبناء المجتمع نصيبه من عجلة التنمية، زمن التأطير والتقديس والمحاصصة قد ولى واندثر، وللمرأة الحق في التمكين وأن ينظر لها كطاقعة تغيير حقيقية لإحداث تنمية مستدامة في المجتمع مصداقاً لقول الشاعر "حافظ إبراهيم":

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

خارج أبواب الصراع، تمكين المرأة بين التقاليد والتنمية



روان المري



رحلة الزامل اليمني

من موروث القبيلة إلى أداة للاستقطاب السياسي

صفاء عبد القاهر

"إما مع ثورة حسين وزيد، أو باطل يزيد، إما مع أحرار المسيرة، أو مع حلف الفساد". يمثل هذا البيت الشعري من زامل "سَلَّيت سيفي في سبيل الله، وأسرجت الجواد"، ذروة التهديد الطائفي الذي بات يتغلغل في الثقافة الشعبية اليمنية، فهو يُعيد تفسير الصراع السياسي المعاصر باعتباره امتداداً لصراعات دينية تاريخية مقدّسة بين "الحسين بن علي" و"يزيد بن معاوية" وربطه بـ"المسيرة"؛ ليمنحها شرعية مقدّسة، ويُشيطن الخصم بباطل "يزيد" و"حلف الفساد"، وهو خطاب طائفي يُغذي الانقسام، ولا يترك مجالاً للاختلاف السياسي. كان الزامل اليمني صوتاً للقبيلة وحكمة لأبنائها، يُنشّد في الأعياد الوطنية ولإعلان السلم وطلب الصلح، مؤكّداً على وحدة الصف، إلا أن هذا الموروث شهد تحولاً جذرياً عقب سيطرة جماعة الحوثيين على العاصمة صنعاء في سبتمبر 2014.

نسعى في هذا المقال إلى مناقشة كيف انتقل الزامل اليمني من كونه وسيلة تعبير ثقافية واجتماعية للقبيلة إلى آلة تعبئة عسكرية وأداة لإنتاج الشرعية السياسية والدينية للصراع، وهو ما يمثل عملية "عسكرة للثقافة" تهدّد الوجدان الشعبي. ولتفكيك هذا التحول، سيقدم المقال عرضاً للخلفية السياسية التي مهّدت لهذا التوظيف، ثم تأصيلاً تاريخياً لوظائف الزامل التقليدية، وصولاً إلى تحليل الفوارق الفنية والوظيفية التي طرأت عليه، مع تحليل لنموذج زامل معاصر يكشف عن استراتيجيات الاستقطاب والقداسة التي باتت تشكّل جوهر هذا الفن اليوم. مثّلت سيطرة جماعة الحوثيين على العاصمة صنعاء في 21 سبتمبر 2014 نقطة تحول استراتيجية في توظيف الفنّ الغنائي الشعبي "الزامل" لتعزيز نفوذها السياسي بدمج هذا الفن برسائل سياسية لخدمة مشروعها السياسي، حيث أغلقت جميع وسائل الإعلام الرسمية، وأدّى هذا إلى استبدالها بوسائل إعلام تابعة لهم. تُشير المصادر إلى أنه عقب السيطرة على العاصمة، أغلقت الجماعة الحوثية الوسائل الإعلامية الرسمية واستبدلتها بمنظومة تابعة لها، كما وضعت "خطة إعلامية

استراتيجية" لجذب المؤيدين لمشروعهم، شملت إنشاء مركز إعلامي متخصص لإنتاج رسائل صوتية ودعائية وأناشيد دينية.

وفي الوقت الذي تُنتج فيه جماعة الحوثي الزامل الحربي، لا تزال القبائل اليمنية تُردّد الشعر الشعبي الشفوي المعروف باسم "الزامل" نوعاً من الأدب الشعبي المُستمد من التراث الشعري القبلي، وكان يُنشَد في الأعياد الوطنية وحفلات الزفاف، ويُستخدم لإعلان السلم وطلب الصلح أو الفخر، ويشير إلى وحدة القبيلة. ومع ذلك، يشير الناقد الصحفي جمال حسن إلى وجود فوارق جوهرية بين الزامل التقليدي والزامل الذي تبثّه الجماعة حالياً، سواء في البناء اللحني أم الأسلوب الأدائي، وبصورة عامة لم يعد الزامل التقليدي المصدر الوحيد لزوامل الحوثيين، وليس هذا الذي يظهر الفوارق الكبيرة؛ إذ إنّ الزوامل القبلية التقليدية ربما تأثرت ببعض الألحان، سواء من التراث المحلي أم من مصادر أخرى، من دون أن يطرأ تغيير على أسلوب الزامل وتقاليده الإنشادية". ويرى أنّ الزامل الحوثي لم يعد يكتفي بالمصادر اللحنية التقليدية، بل حدثت طفرة في أساليبه الأدائية جعلته يتقاطع مع "الشيلات" والأناشيد الحماسية، مما أدّى إلى إعادة تطويع ألحان الأغاني الدارجة مع الحفاظ على صبغة معينة باتت تُعرف بـ"الزامل الحوثي"، مما خلق نوعاً من الالتباس لدى المتلقي بين الأصالة والنمط الوافد، خصوصاً أنّ انتشاره لا يقتصر على مناصري الجماعة وحدهم، بل يشمل شرائح مجتمعية أخرى حتى المعارضين لهذه الجماعة.

لطالما كان الزامل في العرف القبلي أداةً للسلم والمصالحة، ووسيلةً للتعبير عن قضايا القبيلة في الحرب والمناسبات ضمن نطاق جغرافي واجتماعي محدود، لكن التحوّل الجوهري، بحسب جمال حسن، يكمن في وظيفة الزامل؛ إذ أصبح آلة تعبئة فيما يخصّ الخطاب الحوثي، فالتحوّل الأساسي فيه أنه أصبح موجّهاً إلى التعبئة العسكرية بدرجة أولى، وبما يخدم خطاب طرف سياسي. وقد استطاع الحوثيون أن يحوّلوا الزامل إلى أداة إنشاد مسموعة في نطاق واسع من اليمن، بل لم يقتصر على اليمن، فبعض الزوامل تحولت إلى "ترند" داخل اليمن وخارجه. هذا الانتشار قد يؤثر بشكل كبير جداً في طبيعة تعامل المجتمعات القبلية نفسها مع الزامل وطريقة ترديده؛ إذ لم يصبح مقتصرًا على مؤسسة القبيلة التي هي مؤسسة محدودة، بل أصبح ضمن جهاز أكبر وأوسع وأكثر توجيهًا.

بالتأكيد سوف يتأثر الزامل القبلي، ورغم ذلك ما تزال هناك ذاكرة معينة من الزوامل التقليدية لكل قبيلة، لكن المشكلة تكمن فيما يتعلّق بالتوثيق، فثمة ضعف كبير جداً في هذا الأمر؛ لأنه قد تحتفظ القبيلة بالزامل لفترة معينة وقد يندثر، ومن المؤسف أن المؤسسات الثقافية الخاصة أو الرسمية ليست مهتمة بتوثيق هذا

الجانب. يوضح جمال حسن هذا القصور بالإشارة إلى أن الفجوة تكمن في غياب المؤسسات الحكومية من قبل قيام الحرب، خاصة تلك التي تصون هذا النوع من التراث الشفوي، فقد أدّى هذا الغياب إلى إبراز الزامل أداةً سياسيةً لم يكن يؤخذ في سياقات رمزية سياسية عامّة تشمل المجتمع كلّهُ، فهو مخصّص للقبيلة، وليس من المعقول أن نتعامل معه كرمزية تشمل المجتمع كله، والجيد أنه يحافظ على وظيفته التراثية. أحياناً مع تطور المجتمعات لم نعد نحتاج إلى استخداماته القديمة. وعلى الرغم من هذه التحولات، ما زال الزامل يحتفظ بوظيفته ضمن القبيلة، فهو في العادة جزء من العادات والثقافة المحلية، غير أنّ توظيفه السياسي بدرجة كبيرة هو الذي فرضه وجعله أمراً واقعاً لدى جماعة الحوثيين، فالمؤسسات الثقافية لم تقدر أن تنجز ما أنجزته الجماعة في هذا الجانب، لقد نجحوا في أن يجعلوا الزامل آلة تعبئة منتشرة.

وفي المقابل، ظلّ استخدام الزامل في المؤسسات الرسمية سابقاً محدوداً وفي إطار استحضار التراث، كما حدث في بعض الأوبريتات الوطنية، مثل أوبريت "خيّلت براقاً لمع" في الذكرى العاشرة للوحدة، فقد جرى توظيفه موروثاً ثقافياً، لا خطاباً سياسياً موجّهاً، بحسب جمال حسن.

وبتحليل سياق زامل "سليّ سيفي في سبيل الله، وأسرجت الجواد" للمنشد سالم المسعودي الذي يعتبر أحد أبرز منشدي الحوثيين، يتبين مقدار ما يحمله الزامل في مضمونه من تحريض طائفي، وعنف لفظي خطير. هذا الزامل منشور على قناة المسيرة الفضائية التابعة لجماعة الحوثيين، وقد تلقى هذا الزامل انتشاراً واسعاً محلياً وإقليمياً.

ومن ضمن أبيات الزامل "جندي لأبو جبريل، متجنّد مع ربّ العباد"، المقصود بـ"أبو جبريل" عبد الملك بدر الدين الحوثي، وضع الشاعر هنا "أبو جبريل" في موضع الإله الذي ينبغي طاعته طاعة عمياء وتحرم معارضته بوصف ذلك خروجاً عن الدين. وهناك عدّة مصطلحات تُشيطن الخصم مثل مصطلح "المتهودّة"، هذا المصطلح يتجاوز الخلاف السياسي ليصف الخصم بأنّه "عميل لليهود" أو خارج عن الدين. عمد إلى استخدام صفات دينية ذات "دلالة سلبية"، ليجعل من قتل الخصم واجباً دينياً لتطهير المجتمع، وليس مجرد صراع عسكري.

واحدة من أهمّ الجُمَل في الزامل هي تلك التي يقول فيها: "ما برجع إلا منتصر وإلا شهيد"، وهو ما يبرز أنّ الصراع قد تحول إلى واجب مقدّس، وهو نمط معروف في التعبئة القتالية، في الحروب المقدّسة، التي ينادي فيها أصحابها بالنصر المطلق أو الموت المقدّس، مما يجعل من الخصم ضحية بإجازة إلهية.

ويلعب الزامل على وتر القبيلة، خاصة في قوله: "يا أحرار مأرب... يا عبدة... يا مراد"، هنا يحاول الخطاب تحويل القبيلة إلى أداة حرب، بدلاً من دورها التقليدي في "الوساطة" و"حقن الدماء"، وهذا يخلق ضغطاً اجتماعياً للانخراط بشكل أكبر في الصراع.

تؤكد هذه المعطيات أنّ عسكرة الموروث الثقافي تمثل تهديداً وجودياً للهوية اليمنية، حيث يُستغلّ الفن لتكريس انقسام مجتمعي حاد. ومن ثمّ، تتطلب استعادة هذا الفن تحرّكاً مؤسسياً يستند إلى معايير اتفاقية اليونسكو لعام 2003 لصون التراث الثقافي غير المادي، والتي تشترط الحفاظ على الممارسات الثقافية في سياقها الأصلي وضمان مشاركة المجتمعات المحلية في حمايتها. إن سدّ الفجوة المؤسسية وتوثيق الزامل علمياً ومنهجياً هو السبيل الوحيد لحماية الفن غير المادي "الزامل" من الاندثار في ضجيج الحروب.

وفي الأخير يمكن القول: إن الزامل اليمني شهد تحولاً جذرياً نقلته من كونه أداة للتعبير القبلي والاجتماعي، إلى وسيلة استراتيجية للتحشيد السياسي والعسكري، وهذا ما أوضحه التحليل الفني الذي بيّن كيف تقاطع الزامل المعاصر مع أساليب "الشيلات" والأناشيد الحماسية، مما أدّى إلى حدوث التباس مجتمعي، وتغييب لوظيفة الزامل التقليدية المتمثلة في السلم والوساطة القبلية، وكل ذلك لصالح أيديولوجية طرف سياسي واحد. وأثبت تحليل نموذج زامل "سليّت سيفي في سبيل الله وأسرجت الجواد" كيف يُستثمر الموروث الشعبي في شيطنة الخصم، وإضفاء الصبغة القدسية على الحرب، وتحويلها من موقف سياسي إلى "فعل تعبدي" لا يقبل الحياد. وبناءً على ذلك، يكمن المخرج الوحيد لحماية هذا الموروث في تفعيل أطر الاتفاقيات الدولية ذات العلاقة التي تلزم الدول بصون التراث الثقافي غير المادي في سياقه الأصلي.

رحلة الزامل اليمني من موروث القبيلة إلى أداة للاستقطاب السياسي



وفاء محمد
احمد
الرباطي

صرخة من المستقبل

الجهل ينشر رداءه في عدن

محمد النجار

عرّفت مدينة عدن النظام التعليمي منذ أكثر من مئة عام، وبذلك شكّلت هذه المدينة أنموذجاً يُحتذى به في تطوّر التعليم وتجويد مخرجاته، مما أكسبها شهرة واسعة في بقية الأقطار العربية، وصارت عدن قبلةً لروّاد العلم والثقافة، حتى أصبحت مدارس عدن بجميع مراحلها تكتظ بالطلبة والطالبات من عدن وخارجها، بل حتى من الدول المجاورة، التي كانت ترسل أبناءها مواطنين وأمراء للدراسة في مدارس المدينة. بعد مئة عام ونيّف، ونتيجة لأسباب مركّبة، تراجع النظام التعليمي في عموم اليمن بما في ذلك العاصمة عدن رغم تضاعف أعداد المدارس والثانويات فيها، فكما يُقال "العبرة ليست بالكم بل بالكيف"، وأصبحت مدارس اليوم طاردة للطلاب، وتعاني من ظواهر دخيلة عليها بما في ذلك ظاهرة تسرّب الطلاب والطالبات من مدارسهم وثانوياتهم، وتركهم للتعليم والبحث عمّا هو أفضل منه حسب تصوراتهم.

يوضّح تقرير مخيف لمنظمة "يونيسيف" أن الحرب في اليمن أعاقَت 8.1 مليون طفل من حصولهم على حقّهم في التعليم، مما يُعرّض مستقبلهم للخطر، وذلك بعد تحذير الأمم المتحدة من أنّ نظام التعليم في البلاد على حافة الانهيار بعد تعرض 2700 مدرسة للدمار أو الضرر، وتسرّب أكثر من 2.7 مليون طفل من التعليم بسبب الصراع. ويبدو أن ظاهرة تسرّب الطلاب والطالبات في عدن بعد الحرب الشاملة التي اندلعت في عام 2015 قد تغلّغت وتوسّعت في المجتمع بصمت مُريب، حتى صار النظام التعليمي برُمّته يعاني منها من دون أن يعمل على البحث عن حلول، أو يكلف نفسه بالبحث عن أسبابها، أو الحديث عنها، على الأقل، كظاهرة تنخر التعليم من الداخل وتزعزع أركانها.

أكتب هذه الكلمات والأسى يعتصر قلبي، وأنا أرى وأسمع انتشار هذه الظاهرة بين أبنائنا وبناتنا الذين نعول عليهم في بناء الوطن؛ لذا قرّرت أن أضيء شمعة وسط هذا الظلام الذي سيسدّ الأفق إن استمرّت ظاهرة التسرّب من التعليم، سأدقق فيها أكثر، وأبحث عن الأسباب والحلول، وتقديم التحذيرات اللازمة من الظلام الذي ينتظرنا

جميعاً إن غضنا الطرف عن هذه الظاهرة من دون أن نحرك ساكناً، ونحن نرى سفينة التعليم تتهاوى أمام أعيننا.

يُعرّف التسرّب من التعليم بأنّه خروج الطلاب والطالبات من المدارس وتركهم العملية التعليمية بشكل نهائي. وتُعدّ هذه الظاهرة موجودة بدرجات متفاوتة في مختلف دول العالم، إلا أنّ خطورتها تتضاعف عندما تظهر في مدن عُرفت تاريخياً بريادتها التعليمية. ومن هذا المنطلق، يُثير تصاعد معدّلات التسرّب في مدينة عدن قلقاً بالغاً، وهي التي طالما تباهت باحتضان مدارسها لعشرات الآلاف من الطلاب الساعين إلى العلم والمعرفة.

تعدّدت أسباب هذه الظاهرة، لكن أبرز تلك الأسباب هو الحرب، والفقر المتفشّي الذي طرق أبواب كل بيت عدني، والذي تسبّب في خروج الطلبة والطالبات للبحث عن عمل، تلاه نقص المعلّمين والإضرابات المتكرّرة للمدرسين التي جعلت المقتدرين مادياً وحدهم يواصلون تعليمهم في المدارس الخاصة.

ورغم تعدّد أسباب التسرّب من التعليم، فإن النتيجة واحدة وخطيرة، تتمثل في نشوء جيل متسلّح بالجهل بدلاً من العلم، سهل الاختراق والاستقطاب ومتعدّد الانحرافات، فالجهل -كما قيل- وراء كثير من الأخطاء والانحرافات. وما نشهده اليوم، وما قد نشهده مستقبلاً، من انتشار الجماعات المسلحة والفوضى وأعمال البلطجة، ليس إلا جزءاً من مخرجات هذا التسرّب المتراكم عبر السنوات. كما أن ارتفاع معدلات الجريمة وتراجع الاقتصاد الوطني يرتبطان بشكل مباشر بهذه الظاهرة، التي ما تزال نسبتها في تزايد مستمر عامّاً بعد آخر، حتى باتت تدقّ ناقوس الخطر.

ويرى المختصّون في مجال التعليم أن توفير حوافز للمعلّمين، وتحسين المناهج والأنشطة المدرسية وتقديم تغذية مدرسية، وتفعيل القوانين التي تمنع عمالة الأطفال، والإلزام بالتعليم الأساسي هي أبرز الحلول والإجراءات الطارئة التي بإمكانها أن تجذب الطلاب وتحدّ من تسرب الطلاب من التعليم.

رغم أن الوقت يمضي سريعاً، يؤكّد ما عرضناه من تراجع تاريخي في مكانة التعليم بعدن، وارتفاع معدّلات التسرّب بفعل الحرب والفقر وضعف البيئة المدرسية، أن الأزمة لم تعد تحتل التأجيل أو المعالجات الشكلية. وما لم تبادر وزارة التربية والتعليم، ومعها مكتبها في عدن، إلى تنفيذ خطة عاجلة تتضمّن دعم المعلّمين، وتحسين بيئة المدارس، وتفعيل القوانين المُلزّمة بالتعليم، وتقديم حوافز حقيقية تُبقي الأطفال على مقاعد الدراسة، فإن المدينة ستفقد أعظم ما عُرفت به: ريادتها التعليمية ورأسمالها البشري. إنّ إنقاذ التعليم اليوم واجب وطني وأخلاقي، وأيّ تأخير يعني اتساع دائرة الجهل والفقر والعنف. هذه دعوة صريحة لصنّاع القرار؛ كي

يتحوّل الوعي بالمشكلة إلى إرادة تنفيذ، قبل أن يصبح التعليم تاريخًا غابرًا وحسب.

صرخة من المستقبل.. الجهل ينشر رداءه في عدن



فاطمة غالب عبدالقادر



عبد الرحيم مشاقر

الفنّ ومقاومة التهميش

رافد البرّاق

"مشاقر"، وجد عبد الرحيم هذا اللقب الأسري أمامه، فكبر معه واتّخذهُ علامةً فنية. والمشاقر نباتات عطرية تشتهر بها بعض أرياف اليمن، تعزّ خصوصاً، وقد اعتمد بعض الناشطين الثقافيين والإعلاميين الأوّل من يوليو من كلّ عام يوماً عالمياً للاحتفاء بها. وهذا اللقب يليق بعبد الرحيم الذي ينشر عطر صوته الشجيّ، وبه يُطرب قلوب وأرواح سامعيه، حتى من به صمم، يليق بفنان تغلّب على ظروف التهميش والعزلة التي تعيشها الفئة الاجتماعية التي جاء منها، وكأنّها جملة ركيكة خارج نصّ المجتمع والسياسة والحقوق، يليق بفنان يؤكّد يوماً بعد يوم، أنّه هناك، خارج النص، يوجد الإنسان الخلاق لعوامل التماسك والسلام والانسجام في المتن المجتمعي المشروخ باختلالات بنيوية اجتماعيّة وثقافيّة وسياسيّة، وأنّ المتن فضاء مفتوح للإنسان، كلّ إنسان، أيّاً كان لونه أو جنسه أو انتماؤه؛ ليشارك في كتابته بالإبداع، والإبداع ليس محصوراً بأحد دون أحد.

أواخر التسعينيّات، وُلد مشاقر في "سنوان" بمديرية المعافر، من أسرة من الفئات المهمشة (السود)، يُطلق عليها محلياً "بالأخدام" نعتاً دُونياً، في بيوت بعض غرفها خيم، وبعضها حجرية تقليدية وعشوائية بالقرب من مجرى السيل، يحتمي فيها الأطفال والنساء وكبار السن من الرياح والمطر والبرد، بيوت تتزاحم لتكوّن مسكناً يؤسّس في مكان معزول يُطلق عليه اسم "المحوى". و"الأخدام" صفة اكتسبت من عملهم في خدمة أسر اتّخذت لنفسها اسماً استعلائياً "القبائل"، واستغلّت ضعفهم لتحكّر الشرف الاجتماعي لها بزعم الانتماء الأسري والعريقي والديني؛ إذ ظلّت ولا تزال تنظر لأعمال الخدمة باحتقار.

"أريد تعلّم القراءة والكتابة"، يُجيب مشاقر، إذا سألتَه: ماذا تريد؟ فهو يعتبر الخروج من المدرسة غلطة عمره؛ إذ لم يستطع الالتحاق بمعهد فنيّ موسيقي. فقد ترك مدرسة التعاون بيرين وهو في الصف الرابع، كعادة أطفال فنته الذين نادراً ما يُنهون

تعليمهم وقد اكتسبوا مهارات القراءة والكتابة بسبب الفقر، وأحياناً بسبب التمر الذي يلاقونه من زملائهم. وخروجهم هذا يكون من أجل العمل في زراعة "الكرث"، أو أعمال حمل الأحجار بالجمال وعلى الظهر، أو العمل "حمّالين" في الأسواق، أو عزف "الضربة" (عزف موسيقي تقليدي راقص يُعزف على طبلين جليدين، يقودهما طبل آخر يُدعى "الطّاسة"، وهو طبل نحاسي أو معدني يشبه الوعاء. وهي مهنة مختصة بالمهمّشين، تعزف في الأعراس، وأحياناً في مناسبات خاصة). وفي ريف تعز، لكل جماعة من المهمّشين منطقة محدّدة يمارسون فيها الخدمة (عزف الضربة أو التسوّل أو التنظيف في الأعراس)، لا يتعدونها إلى مناطق أخرى؛ إذ يعتبر ذلك تجاوزاً للاتفاقيات المعقودة بينهم، والتي تقسّم المناطق بينهم تقسيمًا شبه إقطاعي. والضربة، في المجتمع اليميني، مع أنّها فنّ راقٍ وأصيل، مهنة حقيرة، ومُنقصة، إلّا أنّ مشارق الذي تعلّمها وأتقنها وهو طفل على علب حديدية، كان يلتقطها وأقرانه من مكبّ القمامة، وعلى طبل صغير يُمنح لأطفال المحوى للتدرّب عليه لتأهيلهم، وجدها أداة للتعبير عن ذاته وتفوّقه الإنساني وتأكيد كرامته، وأداة نفسية للتغلّب على مشاعر النقص والدونية.

وهناك، في "حائط سنوان" -وهو منتج زراعي بالقرب من منزله- مع ترنيمات أشجار المانجو والعصافير وشلّال الماء تفتّحت موهبته في العزف، وتكشّفت حنجرته عن صوت بديع وهو يغنّى مقاطع غنائية لأيوب طارش (ملهمه الفني) تلقّاها من راديو ومسجل صوت قديمين، "ويهجل" بمقاطع فولكلورية خاصة بفنّه تلقّاها من نساء ورجال المحوى.

الطبقات العليا تنتقص وتستصغر قيمة المهمّشين الإنسانية، لذلك يمنعون تزويجهم، ويمتنعون عن الزواج منهم. وإذا تزوّج رجل منهم امرأة مهمّشة، وهو أمر نادر، فإنّه يعتبر سقوطاً اجتماعياً من رتبة عليا إلى دنيا، ويوصم بالعار. ومشارق تزوّج وهو لم يبلغ السنّ القانونية من فتاة تصغره سنّاً من فنّه، وهي عادة جميع المهمّشين.

قرّر مشارق التحوّل نحو آلة العود ليوصل صوته إلى الآخرين، فقد شعر أنّ عزف الضربة، والتي لا يرافقها الغناء، لم تعد تُشبع حاجته النفسية والروحية، وأنّ الطبل وحده لم يعد قادراً على توصيل رسالته الفنية أو إعلان وجوده الإنساني وتفوّقه. اشتعلت الحرب، واستجدّت ظروف اقتصادية صعبة، ليجد واقعاً صعباً ومغيّراً يُثقل كاهله، فدخل في صراع وجوديّ ونفسيّ بين الالتزام بواجباته تجاه أسرته، وبين الولاء لشغفه وعشقه للفنّ، حيث تقلّصت فرص العمل، وقلّ الطلب على الضربة، إما بالاستغناء عن هذا الطقس الاحتفالي لتدني الأوضاع الاقتصادية لبعض الأسر، وإما باستبدالها بفرقة

غنائية بالنسبة للأسر الغنية. لكنه لم يستسلم، واختار أسرته وحلمه معًا. ففي عامين، وبجهد مضن، استطاع تأمين أساسيات العيش له ولأطفاله، وتوفير مبلغ صغير، ليحقق، بمساعدة بعض معارفه، حلمه بشراء آلة عود، ويضع قدميه في طريق الغناء. كانت الأسواق مسرح مشاقر الأول، برفقة عازف طبل صغير من أقربائه، فأينما وجدا تجمّعًا بلا فوضى، أو متى ما طُلب منهما، جلسا وشرعا بالعزف والغناء ليشكّل المتحلّقون حوله نواة قاعدته الجماهيرية، بالإضافة إلى الذين يرتادون منتجع سنوان للمقيل في النهار، ليصبح وجوده طقسًا ضروريًا بالنسبة لهم، وأمسى هدفهم من ارتياد هذا المنتجع، بعد أن كان الراحة في حضن الطبيعة، الاستطراب بصوته الجميل المتناغم مع الأجواء الحاضرة. ثم صار يُستدعى للغناء في مقاييلهم في الأماكن الأخرى، أو في بعض حفلات الأعراس. وفي أغلب مشاركاته تلك، لم يكن يحصل على مقابل ماديّ، سوى القات والماء والسجائر أحيانًا، أو مبالغ رمزية كبديل مواصلات، وأحيانًا لا يحصل على شيء أبدًا، ولكنه كان يفعل ذلك بمحبة كبيرة.

بدأ مشاقر مشواره الفني في تقليد بعض أغاني أيوب طارش صوتًا ولحنًا. ومع اتّسع قاعدته الجماهيرية ودخوله في تجارب كثيرة وجديدة، عمد إلى التدرّب الذاتي لصقل موهبته وتنميتها، وبدأ يؤدّي تلك الأغاني بأسلوبه الخاص، وأغاني أخرى لفنانين آخرين من ألوان غنائية مختلفة، كاللون التعزي واللحي والصنعاني والعدي لفنانين قداماء ومعاصرين، كما أنه غنّى ولحن لشعراء غنائيين محلّيين قدّموا له بعض قصائدهم.

فكم أطرب به في الأعراس والمهرجانات والفعاليات وهو يغنّي "حبّيت"، "هيّمان"، "وباعدوا من طريقنا" لأيوب طارش. "لمو حبّيت"، "طعمه قبل"، "وحنين القلب" لعبد الباسط عبسي. "وقصدي من الزين نظرة" لفيصل علوي، "ويا ابن الناس حبّيتك" للمرشدي، "وعليك سمّوني وسمسموني" وغيرها من روائع الفن الصنعاني، بالإضافة إلى أغاني نادر الجراي وفنانين آخرين.

مشاقر فنّان مبدع وفريد، له أسلوبه الخاص والساحر، وشغفه الذي لا ينضب، ورسالته الإنسانية التي يحملها في حنجرته ويصدرها أينما قرّص ليغني. هو صوت الفئات التي تعاني مرارة التهميش وتهدّر طاقات أفرادها الإنسانية والإبداعية في مجتمع يتجاهل أن الإنسان، مهما كانت الطبقة أو الفئة التي جاء منها، قادرٌ على أن يُبدع في المجال الذي يحبه ويجد روحه فيه، ويستطيع أن يعبر عن ذاته به ليقدمها بصورة إنسانية راقية، ويقضي على جميع أوهام التراتبية المجتمعية.

وبفنه، يُثبت أنّ الاختلافات بين البشر ضمن المجتمع الواحد، أو ضمن المجتمعات المتعدّدة، اختلافات شكلية لا تُبرّر أو تُشرعن التعالي والتصنيف، ولا تدل على تميّز فرد

أو جماعة على فرد آخر أو جماعة أخرى، ولكنها تُشخّص أمراضًا اجتماعية بحاجة للإصلاح والمعالجة والتخلّص منها؛ ليلتحم الإنسان مع أخيه الإنسان، ويتآلف معه بسلوكيات تعكس أخلاقيات القبول والتعايش والعدالة والمساواة الإنسانية بين جميع فئات المجتمع، وجميع البشر.

وبموهبتة وصوته الجميل، الذي أكسبه محبة الجماهير وتقديرها واحترامها، يؤكّد أنّ الإنسان بالفنّ قادر على تفكيك مبررات الاستعلاء والتهميش التي يعتنقها البعض ضد آخرين، وتحويلها إلى نظرة أخوية إنسانية وودّية، وقادر على التخلّص من شعور النقص والدونية التي يكسبها في محيطه الجماعي عندما يكون في إطار فئة مهمّشة.

إنّ التهميش إحدى أدوات العنف الرمزي، أي إحدى سرديات الموت ضد الإنسان. ومقاومة هذه السردية بحاجة لجهود جماعية مكثّفة برؤى إنسانية وعادلة ومتبصرة بقيم العصر وحقوق الإنسان والمشاعر الإنسانية المشتركة، لخلق بيئة تعايش وسلام تحترم الإنسان ليستحقّ فرصته للمشاركة في بناء مجتمع سليم وعالم آمن.

وإنّ المجتمعات التي تُوجَد فيها مساحات مهمّشة، ولو بنسبة ضئيلة، تظلّ مشلولة ومهدّدة بانفجار العنف في أيّ لحظة، ما لم تعمل على القضاء على حواجز الاندماج بين طبقاته وفئاته، وتقضي على التمييز بكلّ أشكاله، بالفن والتعليم والثقافة الجاد والممنهج. فهيا، جمعياً، نمُدّ أيدينا إلى عبد الرحيم مشاقر وأمثاله من الفنّانين والمبدعين، الذين يأتون من خارج النص، ومن داخله أيضاً، لنصلح هذا العالم، عالمنا، ونجعله صالحاً للحياة، وجديراً بنا.

عبد الرحيم مشاقر.. الفنّ ومقاومة التهميش



أمل احمد قائد سلطان



حين كان الفنُّ لغةً السلام والموسيقى صوت المجتمع

كيان علي سعيد

هل يمكن لمدينة مثل عدن، أن تفقد جزءاً من سلامها عندما تخفت فيها أصوات الموسيقى وتفقد أحد أصواتها الثقافية؟ هذا السؤال الذي يفرض نفسه علينا عند التأمل في واقع المشهد الثقافي والفنيّ بعدن اليوم، بعدما تراجعت أصوات الفتيات في مجاليّ الفن والموسيقى، وكُنَّ جزءاً أصيلاً من تاريخ المدينة الثقافي والفني. فمدينة عدن التي عُرِفَتْ بتاريخها الثقافي والفني، منذ منتصف القرن العشرين، حيث ازدهرت فيها المسارح والفرق الموسيقية، مثل فرقة المسرح الوطني وفرقة أبناء عدن، وكان للفتيات حضور لافت في المهرجات والفعاليات الثقافية والفنية، وهو ما أسهم في تعزيز الصورة الذهنية لعدن بأنها مدينة للتنوّع والتعايش والسلام، لكن هذا الحضور للفتيات تراجع بشكل ملحوظ في السنوات العشر الأخيرة التي أعقبت الحرب التي شهدتها عدن عام 2015، وما أتبعها من صراعات سياسية وأمنيّة، وهو تراجع لا يمكن قراءته بوصفه شأنًا ثقافيًا فحسب، لكنّه مؤشّر عميق على تحولات تمسّ هوية المدينة الثقافية ومستقبلها الفني.

ونظرًا للواقع الثقافي الذي تعيشه عدن، جاءت فكرة المقال التي ترى أنّ تراجع مشاركة الفتيات في مجاليّ الفن والموسيقى أثر على أحد أهم أدوات القوة الناعمة التي تعزّز قيم السلام والتعايش في المجتمع.

عُرِفَتْ مدينة عدن بتاريخها الثقافي والفنيّ، فعلى مدى العقود الماضية شكّل الفنّ والموسيقى مساحة تجمع مختلف فئات المجتمع، وعرفت المدينة المهرجانات الغنائية والعروض المسرحية التي كانت تُقام في مسارحها ودور السينما، وكانت هذه الفعاليات تشهد حضورًا واسعًا من مختلف الشرائح الاجتماعية، واعتبرت الفنّ والموسيقى مساحة مشتركة تتجاوز الانقسامات الاجتماعية والسياسية. وعكست كتابات الشاعر العدني لطفي أمان روح المدينة المنفتحة، وقد اعتبر أنّ الفن والثقافة يمثلان جوهر الهوية العدنية القائمة على التعدّد والتسامح.

وقد كان لمشاركة الفتيات في الفنّ والموسيقى بعدن في تلك الحقبة الزمنية دور

مهمّ في نشر رسائل المحبة والسلام والتسامح. كما أسهمت في تعزيز صورة المدينة بوصفها مدينة للتنوّع المجتمعي. وتؤكد تقارير اليونسكو حول دور الثقافة في بناء السلام أن الفنون، وخاصة الموسيقى والمسرح، تُسهم في تعزيز الحوار المجتمعي وفي تخفيف حدّة التوتر في المجتمعات الخارجة من النزاعات.

كما وثّق الفنان والباحث في تاريخ الأغنية اليمنية الفنان محمد مرشد ناجي في دراساته حول تطوّر الأغنية العدنية، ازدهار الحركة الفنية في عدن في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وأشار إلى أنّ المسارح والفعاليات الفنيّة كانت تشهد مشاركة واسعة من مختلف فئات المجتمع.

وقد أثّرت الحروب والصراعات على حضور الفنّ، لا سيما بعد عام 1994، لكن الحرب التي شهدتها عدن 2015، كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، حيث تسبّبت بتراجع كبير لمشاركة الفتيات في مجاليّ الفن والموسيقى، وتُشير تقارير صادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي إلى أن الصراعات المسلحة غالبًا ما تؤديّ إلى تراجع النشاط الثقافي، وتقلّص مشاركة النساء في الحياة العامة، وعدن ليست استثناء من هذه الآثار المدمرة للحرب.

وكما أوضحت أنّ مشاركة الفتيات في مجاليّ الفن والموسيقى في عدن بدأت بالتراجع تدريجيًا منذ عقد التسعينيات، لكن هذه التراجع ازداد بشكل واضح في السنوات العشر الماضية، حيث وجدت الفتيات الموهوبات في مجاليّ الفن والموسيقى أنفسهن في مساحات ضيّقة للمشاركة في المهرجات والفعاليات الفنية، كما واجهن مجموعة من القيود الاجتماعية والأمنية، إضافة إلى تصاعد الخطابات المحافظة التي ضيّقت من حضور المرأة في المجال العام. إضافة إلى أنّ كثيرا من الأسر في عدن أصبحت ترى الفنّ والموسيقى نشاطين ترفيحيين يمكن الاستغناء عنهما، وباتت تُعطي أولوية للحاجات الرئيسية والأساسية للحياة.

أدت هذه القيود والظروف القاسية، التي تزامنت في وقت واحد، إلى دفع عدد من الموهوبات نحو الصمت أو الانكفاء داخل جدران منازلهن، بعد أن كنّ في السابق جزءًا فاعلاً من المشهد الفنّي والثقافي في المدينة. وتنسجم هذه الصورة مع ما تُشير إليه تقارير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) حول اليمن، والتي تُفيد بأنّ الأزمات الاقتصادية والصراعات غالبًا ما تُسهم في تقليص فرص مشاركة النساء في الحياة الاجتماعية والثقافية، نتيجة تزايد الضغوط الاقتصادية والاجتماعية على الأسر.

علاوة على كل ذلك، هناك سبب مهمّ أيضًا، وهو غياب الدعم المؤسسي، وتراجع التمويل للأنشطة الثقافية، نتيجة تداعيات الحرب التي أثّرت على الوضع الاقتصادي، إضافة إلى إغلاق المسارح ودور السينما التي كانت تجد الفتيات، فيها مساحات

واسعة لممارسة هوايتهن وتنمية مواهبهن في مجالي الفن والموسيقى. وفي المقابل، تكشف المقارنة في السنوات الأخيرة عن فجوة واضحة بين مشاركة الفتيان والفتيات، ويظهر الحضور الذكوري بشكل شبه كامل في بعض الفعاليات العامة، في حين تتركز مشاركة الفتيات غالباً في أنشطة مدرسية مغلقة أو فعاليات محدودة النطاق، ويعكس ذلك اختلاً في التمثيل الثقافي وتراجعاً في مستوى التنوع داخل المشهد الفني.

فقبل حرب عام 2015، كانت مشاركة الفتيات في الفرق الموسيقية والمهرجانات المدرسية والفعاليات المجتمعية أمراً معتاداً ومألوفاً، ومن هذه المشاركات الفنية، كانت الفتيات يحملن رسالة إنسانية ووطنية واجتماعية، ويفتحن نوافذ للحوار غير المباشر، فالغناء للسلام أو تقديم مشاهد تمثيلية تناقش قضايا المجتمع كان يسهم في إعادة تشكيل الوعي الجمعي بطريقة ناعمة، لكنها مؤثرة، ويخلق لغة مشتركة تخفف من حدة الاحتقان وتعزز مبادئ السلام والتعايش.

غير أن تراجع هذه المشاركة حرم مدينة عدن من إحدى أهم أدواتها الناعمة في ترسيخ قيم السلام والتعايش؛ إذ كان الفن والموسيقى أداتين فاعلتين في تخفيف حدة الصراعات ودعم السلم المجتمعي. وعندما يغيب الفن عن خشبة المسرح، ويخفت صدى الألحان التي تعزفها الفتيات في الفعاليات والمهرجانات الثقافية والمدرسية، يختل توازن المجتمع، وتفقد المدينة تنوعها الذي عُرفت به عبر تاريخها الثقافي والاجتماعي.

ولم يقتصر تراجع هذه المشاركة على خسارة أهم الأدوات الناعمة في تعزيز السلام والتعايش المجتمعي، لكن تنوع المشاركة في الفعاليات تراجع أيضاً، وأصبح صوت الفتيان يطغى على صوت الفتيات، مما أدى إلى تقليص الرسائل الإنسانية التي كانت تحملها الفتيات في الفن والموسيقى، فتصبح الهوية العدنية معرضة للاختزال ومختصرة على الفتيان، وبات المشهد الثقافي أقل قدرة على تمثيل الواقع بكل أطيافه وشرائحه.

وفي ظل غياب هذا التنوع، تزداد احتمالات ترسيخ الصور النمطية حول دور الفتيات في مجالي الفن والموسيقى، وتراجع فرص إعادة صياغة هذا الدور بشكل أكثر عدلاً وانفتاحاً، وما يُعد أكثر خطورة من ذلك، هو ترسيخ الرسائل الضمنية بين الأجيال الجديدة بأن الفن ليس مساحة آمنة للفتيات، وأن أصواتهن ليست مهمة في المجتمع، وإذا بقيت مشاركة الفتيات بهذا المستوى الضئيل من دون مواجهة حقيقة لهذا التراجع، فإننا في السنوات القادمة سنجد فجوة كبيرة في المشاركة الثقافية لا يمكن ردمها.

وفي خضم استمرار الصراعات السياسية التي تشهدها عدن، تبرز الحاجة الملحة إلى ضرورة إعادة تعزيز مشاركة الفتيات في مجالي الفن والموسيقى في عدن، كما كانت عليه سابقاً، لما له من أهمية كبيرة في تعزيز السلام وترسيخ التماسك المجتمعي والتعايش.

ومن هذا المنطلق، ظهرت مبادرة نفذتها مؤسسة عدن للفنون والعلوم، حيث قامت بتشكيل فرقة موسيقية نسوية، بهدف استعادة دورهن في الموسيقى والفنون، وكسر العادات الدخيلة على المجتمع في المدينة. وأكد ناشطون ثقافيون وصحفيون منهم مدير مكتب الثقافة بعدن الموسيقار أحمد بن غودل، والصحفي نشوان العثماني أنّ هذه الفرقة جاءت من أجل استعادة المدينة للامحها الثقافية والحضارية والفنية، وعودة المرأة إلى دورها الرائد، وتأتي كخطوة تقدّم وجهًا مشرقاً للأمل.

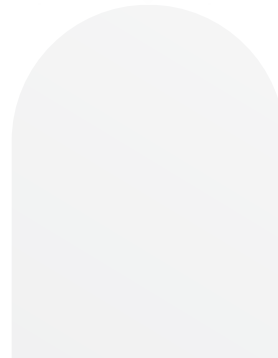
تأسيس مثل هذه الفرق الموسيقية في عدن يؤكد أنّ أصوات الفتيات جزء من اللحن العام الذي يصنع صوت المدينة، ويُعيد لها هويتها التاريخية والثقافية على مدى الأجيال المتعاقبة، ويُسهم في تعزيز السلام والتعايش الذي عُرفت به عدن عبر التاريخ.

يتطلب إعادة مشاركة الفتيات في مجالي الفن والموسيقى بعدن إرادة وعزيمة جماعية قوية، تبدأ من الاعتراف بأهمية مشاركة الفتيات في مجالي الفن والموسيقى وحضورها على المسرح، وتنتهي بتوفير مساحات آمنة للتدريب والعرض، وإعادة إحياء المعاهد والأنشطة المدرسية، وتنظيم مهرجانات وفعاليات ثقافية تعتمد على التنوع بين الفتيات والفتيان. هذه الخطوات ستعيد المشهد الثقافي لعدن كما كان في السابق، وإذا اتبعنا هذه الخطوات فعلاً لا قولاً، حينها فقط سنرى أن عدن أعادت بناء روحها الثقافية، والتي كانت، وما زالت، تؤمن بأنّ الفن أحد أهم الأدوات التي تبني السلام والتعايش في مدينة السلام عدن.

عدن.. حين كان الفنُّ لغةً السلام والموسيقى صوت المجتمع



إبراهيم جمال محمد احمد



عَدْنَةُ العمل الإنساني بروح الأربطة لأيواء مشرّدي اليوم

أنسام عبد الله

"شي لله يا عيدروس"، نداءً لم يكن يوماً استغاثة روحانية في أزقة عدن وحسب، بل كان وعدًا بالسكينة لكل خائف، ومأوى لكل من تقطعت به السبل؛ إذ تُظهر مشاهد جميلة من شوارع عدن، وروائح البخور العدني واللبن تنبعث من أروقة "رباط العيدروس" بكريت، تحفّها تمتّات طلاب العلم، وعابري السبيل، والمشرّدين ممن آواهم الرباط في ظلاله ونسماته الهانئة، فلا جائع يُترك للمسغبة، ولا مطرود يبيت على قارعة الرصيف. هناك، تُطلّ باقي الأربطة العدنية لتؤدّي دورها التاريخي في كفالة الأيتام، وإطعام الفقراء، وحلّ النزاعات؛ لتبقى هذه الصورة محفورة في ذاكرة عدن المجتمعية بمتانة تُشبه صلابة جبالها السماء.

لكن هذه الصورة تتلاشى شيئاً فشيئاً؛ لتحلّ محلها أخرى تُدمي القلوب، حيث تظهر امرأة مشردة في شوارع الشيخ عثمان، لا يأبه لها أحد، حتى نظرها قد خانها حين تمدّ يدها للمارين، فلا تعلم من الكريم ومن البخيل. لا يواسي وحشتها سوى شاب صومالي شريد ينام في الجهة المقابلة، قذفه اليمّ إلى سواحلنا مع الآلاف من رفاقه اللاجئين علّه يلقي النجاة، فإذا به يخنقه عادم السيارات وتشوي جلده شمس عدن، يؤرّقهم الجوع والعوز والتراب، وأمثالهم كثير من أطفال النازحين ممن ذرتهم رياح الحرب في شوارع "أم المساكين".

ما بين هاتين الصورتين دهر من تراجع العمل المدني المؤسسي والحقيقي في عدن، ملامح مؤلمة تتجسّد في وجوه المشرّدين عنوة في أزقة المدينة! كيف تحول المشهد ليصبح قاتماً هكذا؟! ولماذا بعد عشر سنين من عمل منظمات المجتمع المدني لا يزال هؤلاء في الشوارع؟! وهل نستطيع اليوم استحضار قواعد التكافل العدني الموروثة لنبدأ رحلة استدامة جديدة؟!

في حواري عدن العتيقة، وحيث تُعانيق الجبال البحر، لم تكن المآذن علامات للصلاة وحسب، بل كانت مناراتٍ للنجاة. هناك ظهرت الأربطة، التي تُعرف بأنها مؤسسات جامعة تتكوّن من مسجد وغرف مخصصة لإقامة الغرباء ومدرسة ومطبخ ومكتبة ومرافق خدمية أخرى، كأن تكون مكانا للوضوء وبئرا للماء، ومخازن للحبوب والسلع، وتقوم على نظام مالي وإداري دقيقين، يشرف عليها بالتوازي أشخاص ثقات كالناظر، وهو المسؤول الإداري والمالي، بالإضافة إلى شيخ الرباط، وهو المرجعية الدينية، ثم يأتي دور باقي القائمين بالخدمات العامة سابقة الذكر.

حين نخطو في أزقة القرن العاشر الهجري، يتردّد صدى اسم الإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس. يحكي المؤرخ "حمزة لقمان" كيف تحوّل هذا الرباط إلى نبض لشبكة أمان اجتماعي لا تعرف التمييز، حيث كان يدا ممدودة بالخير، فما إن يحلّ غريبٌ بالمدينة، أو يضيق الحال بفقير، حتى يقصد "العيدروس" ليجد السكن والطعام والكسوة من دون حاجة لسؤال. ويروي المؤرخ "عبد الله محيرز" كيف كانت الأوقاف تضمن توزيع القهوة "القشرية" والحلوى العدنية في المناسبات، لتمحو الفوارق بين غني المدينة وفقيرها في "ختومات رمضان" المبهجة، حيث يجلس الجميع على بساط المساواة وعلى مقربة من حلقات العلم، شَيّد "رباط المشهور" أركانه ليكون وطنًا بديلاً للمهاجرين وطلبة العلم، يتكفّل بكلّ تفاصيل حياتهم. لكن أعظم أدواره تجلّت في أنّه "محكمة اجتماعية" تُحلّ فيها النزاعات بالتراضي. وفي خفاء الليل، كما يروي الحبيب أبوبكر العدني المشهور في كتابه "لوامع النور"، كان تجار عدن يضعون زكواتهم في يد القائمين على الرباط؛ ليقوم الطلاب بتوزيعها سرّاً على البيوت المتعفّفة، صونا لكرامة الناس، وحفظا لحياتهم من ذلّ السؤال.

إنّ المتأمل في تاريخ هذه الأربطة يدرك أنّها كانت "مؤسسات مجتمعية شاملة"، ففي أوقات الأوبئة والقحط، تحولت إلى مراكز إغاثة طبية ونفسية، تداوي المنكسرين وتدعم الأرامل والأيتام ماديا ومعنويا. لقد كانت الأربطة هي الضمير الحي لعدن، والمظلة التي أثبتت أنّ التكافل هو السر. فكيف استطاعت هذه الأربطة في عام 1500م بناء دولة مؤسسية للتكافل بتمويلات ذاتية وطنية، بينما يوجد في عدن اليوم ما بين 800-1000 مؤسسة ومبادرة مجتمع مدني، بحسب تقارير وزارة الشؤون الاجتماعية، ولم تستطع على مدى عشر سنوات "منذ ما بعد الحرب" القيام بهذا الدور التنموي المستدام؟

وفي عدن اليوم، النسبة الأكبر من المهاجرين الأفارقة باليمن، ويُقدر عددهم بـ 330,000 مهاجراً، حسب منظمة الهجرة الدولية، وفي مديرية المنصورة وحدها 2877 حالة تشرد، بحسب دراسات مركز سوث 24 (2024-2025)، والنسبة الأكبر منها 93% هي ظاهرة دخيلة مرتبطة بالنزوح والحرب.

تُجيب الباحثة الاجتماعية والحقوقية "فاطمة أحمد" عن هذه المفارقة قائلة: "أربطة عدن استمدّت قوتها من الأوقاف المستقلّة وصدقات التجار، بينما تعتمد منظمات اليوم على منح دولية مؤقتة حوّلت العمل الإنساني إلى ما يشبه المقولة المؤقتة! الأربطة كانت مراكز إشعاع قيمي يقودها مصلحون، بينما تُدار المنظمات بعقلية بيروقراطية جافّة تهتم بالأرقام والتقارير لإرضاء المانحين لا الناس. الأربطة كان أثرها تراكمياً يبني الإنسان قاضياً ومعلّماً، بينما يغلب على المنظمات الطابع الإغاثي الاستهلاكي الذي ينتهي بانتهاء المعونة. الأربطة كانت ابنة الحيّ وأبوابها مفتوحة، بينما تنعزل المنظمات خلف معايير استهداف معقّدة وشروط تقنية باعدت بينها وبين المحتاجين الحقيقيين"، وتضيف فاطمة أنّ المؤسسات الحكومية، كدار العجزة والمسنين، طاقتها الاستيعابية محدودة في ظلّ تفاقم الأوضاع، مما يجعل الحاجة ملحة لإطلاق عملية تكافل مجتمعي كبرى مبنية على أسس عدن المتنوعة وتاريخها الثري.

ورغم ذلك، أطلّت في عدن في السنين الأخيرة بعض المبادرات التكافلية التي اتخذت من إرث الأربطة منهجاً يُحتذى به في العمل التكافلي والإنساني، ومن هذه النماذج "منتدى عدن الثقافي الاجتماعي بكريتر"، يقول رئيسه أصيل الكهالي: "في قلب عدن، يبرز المنتدى كذراع حيّ لرباط الإمام العيدروس، ليحيل القيم الموروثة إلى واقع ملموس. بمنهجية معتدلة، نواجه غبار التطرف والمخدرات، ونحصن الشباب ببرامج تربطهم بهويتهم الأصيلة. نحن لا نستحضر سير العظماء كحكايات للماضي، بل كأدوات إصلاحية نقرأ الواقع وتصنع المستقبل، مع تدخلات تكافلية تلامس الأرض". ويتجلّى هذا الدور في "مسجد الهجرة" بالمنصورة، الذي تحوّل إلى "غرفة عمليات التكافل" والامتداد المعاصر لموروث عدن في الإغاثة، حيث تتحوّل التوجيهات إلى أرغفة خبز، وصيدلية مجانية، وسلال عون، وتدخلات طبية طارئة تلامس أوجاع الناس وتخفّف عنهم وطأة العيش.

إننا اليوم بحاجة لترجمة هذا الإرث إلى سياسات عمل مدني مستدام، بتوطين التمويل (نظام الوقف الحديث) الذي يتجلّى بدعوة المنظمات المحلية لتخصيص جزء من

مشاريعها لإنشاء "أصول وقفية" (عقارات، استثمارات) يُخصّص ريعها للاستدامة، تماما كما فعلت الأريطة قديما. كما ينبغي العمل على تحويل المنظمات إلى "أريطة تدريبية تُخرّج مهنيين يمتلكون أدوات الانتاج؛ ليكون الأثر باقيا في بناء الإنسان، لا مجرد استهلاكه للمعونة. وينبغي التأكيد على أهمية القيادة الاجتماعية الحيّة بالعمل على أن يقود العمل المدني شخصيات تحظى بثقة الحافة والحي، تلتصق بالناس وتفهم احتياجاتهم بعيدا عن العزلة التقنية.

وفي الأخير، ينبغي التأكيد أيضا على أنّ استعادة دور عدن الريادي في التكافل لا يمرّ باستنساخ تجارب خارجية، بل عبر "عدنة" العمل المدني، بتطعيم المنظمات الحديثة بقيم الأريطة من حيث الاستقلالية، والاستدامة، والتركيز على بناء الإنسان. نتوجّه بهذا النداء المباشر إلى وزارة الشؤون الاجتماعية والتجار والمنظمات: "الوقت قد حان لنعيد لعدن وجهها الذي عرفته منذ قرون دارًا للمساكين، وملادًا للغرباء، ومنازةً للتراحم الذي لا ينطفئ نوره مهما اشتدّت الكروب".

عَدْنَةُ العمل الإنساني بروح الأريطة لإيواء مشرّدي اليوم



رغده كمال مصطفى قاسم



غربة القارئ: كيف تموت الذاكرة؟

عبد الله معروف

يقف الرجل على ناصية أحد شوارع كريتير وعينه ترمق موضعاً عند مدخل الزقاق. في ذلك المكان أثناء طفولته، كانت تأتي عربة صغيرة محملة بالكتب تجوب الشوارع لبيع ما تحمله أو استبداله، يأتي مع والده يأخذ له ما يريد منها، ويعود إلى بيت ليخلو بكتابه. وفي الأسبوع القادم، يفعل الشيء نفسه. بعد سنوات، توقفت العربة عن التجوال، تلاشت الكتب شيئاً فشيئاً من أيدي الناس، لقد عاصر الحقتين معاً، مع الكتاب وبدونه. "مجرد ذكريات، ولا أحبّ القدوم إلى هنا بسبب تفجّرها في ذاكرتي"، سنده إلى أقرب مقهى لنشرب كوب شاي، ونعرف تلك الذكريات وأشياء أخرى. بدأ حديثه بـ"الكتب التي قرأتها في صباي تركت في نفسي أثراً عميقاً لم يفارقني طوال حياتي، تولستوي قال شيئاً كهذا قبل عقود، وقد صدق. ليست مجرد كلمات مكتوبة، هي نوافذ تطلّ على عوالم أخرى أوسع من الشارع، من الحي، من النزاع نفسه. وطفل اليوم لا يعرف سوى ما تراه عينه إما في الواقع، وإما في المواقع. وعلى اتساع المواقع ورعاية عالمها، تظلّ سيئة، وضررها على الطفل أكثر من نفعها بكثير، وليست مثل صفحات قصة أليس في بلاد العجائب بالتأكيد، على أية حال هذا ما وصلنا إليه".

طيب، ماذا كان قبل هذا الحال يا صديقي؟ أخذ رشفة من كوبه وبدأ يحكي: "لفهم كيف كانت القراءة حاضرة في عدن، يمكننا الحديث عن واحدة من أقدم مكتباتها. هناك خلف بريد كريتير، لا تزال موجودة مكتبة للطفل، وأعني بـ"لا تزال" أنها متماسكة منذ 1919م، فقد تأسست في ذاك الوقت، والهدف منها تثقيف الجنود البريطانيين وسميت بـ laka library. وفي 1963م، تحوّلت إلى مكتبة عامة لكل الشعب، وخاصة الطفل.

في العام نفسه، توفي صحفي ومثقف من أبناء الشيخ عثمان، يدعى محمد سعيد مسواط، أحد رواد القصة القصيرة، وسميت فيما بعد باسمه. وفي العقد الماضي، تعرضت لإغلاقات عدّة، ولكنها عادت للحياة بصعوبة، ولا تزال تحاول الصمود أمام زحف التغيرات الهائلة، وتُعرف اليوم بمكتبة مسواط للطفل".

-حسنًا، ولكن ما علاقة المكتبة بما نريد الحديث عنه؟
"عفوًا، أخذتني الذكريات..."، وضع كوبه على الطاولة، وأخذ نفسًا: "في أحياء عدن اليوم تختلط رائحة البحر برائحة الحافة وازدحام الطرقات، ويكبر الأطفال بين صخب الحياة اليومية وأصداء صرخات الماضي. ومع ذلك، هناك عالم آخر لا يعرفه كثير منهم، عالم الكتب، صفحاتها البيضاء الحاملة لأحلام الغد، وذكريات الماضي، وفهم أوسع للناظر. ومع ذلك، لا تجد مَنْ يشجع الطفل على قراءة كتاب. الطفل لا يتحمل مسؤولية إقباله على القراءة. من يتحملها المجتمع والأسرة والمدرسة، كل هذه المنظومات عليها أن تتظافر لتُقرّب الكتاب من الطفل أكثر، ولا أريد الخوض في ثنائية الكتاب والهاتف مرة أخرى، فما تراه أمامك يكفي. أليكم أطفال؟"
-ليس بعد، ولكن أقرّبي لديهم، وأفهم ما تقصده.

"الحمد لله، لدي ثلاثة، وكما يقول أحمد خالد توفيق: إنهم شياطين صغيرة. لدي مكتبة كبيرة ورثتها من والدي، وأضفت عليها طوال 20 عامًا ما استطعت من الكتب، لأي شخص سويّ -أزعم ذلك- هي جنة، ولكن لا يقترب منها أحد. حاولت مع أكبرهم، وهو في الحادية عشرة، أن يقرأ شيئًا لكنه يرفض. تعطيه أمه الهاتف ماذا تنتظر!؟"

-كأنك تعطيه جزرة بدل الحلوى.
"بالضبط يا صديقي، بين ثنايا أي كتاب هناك تجارب ومشاعر وصراعات، أحلام وآمال تحملها كل صفحة، وتعبّر عن شخص ومجتمع كتبوا عن أنفسهم، وثقّوا حياتهم، أخبروا الناس عنهم، فخلّد الكتاب ذكرهم، وظلّت ذاكرتهم موجودة بيننا، ولولا الكتاب، لأمّات الذاكرة ورحلوا من غير رجعة. الكتاب هو ذاكرة الإنسان التي لا تموت. ولكن ماذا لو لم نجد تلك الكتب أصلًا؟ كيف سنعرف الآخرين؟ وماذا سيبقى منهم؟ أن تصغر مساحة القراءة يا صديقي في أي مجتمع يعني تقلّص ذاكرته الجمعية، ويذهب ذاك المجتمع إلى ما يشبه الموت السريري. يتحرّك داخله الناس، لكنه من غير حياة، لا يتقدّم ولا يتطور؛ لأنه محصور داخل نفسه، ولم يتعرّف على عوالم أخرى جديدة تُعيد إليه الحياة. القراءة هي قبلة الحياة لأي مجتمع وفرد شارف على الانطفاء، فماذا لو حُرم الطفل من اكتشاف تلك التجارب والعوالم؟".

-جيد، هذا كلام جيد، دعني أسألك إذن كيف يمكن للقراءة أن تُعيد الروح لمدينة على مشارف الموت؟ وهل يصنع تداول الكتاب شيئًا في حيوات المجتمع؟
"قبل الإجابة على سؤالك، تذكرت شيئًا عند قولك: ما علاقة المكتبة...؟ وحين وقت قوله. ما قلته هي محاولة لتأريخ القراءة في هذه المدينة. المكتبة هي نقطة يمكن الوقوف عندها والمضي معها في تأريخ القراءة لأي مكان. فإذا كانت المكتبة عامرة

بالكتب والزوار فهذه مدينة تقرأ، وغير ذلك يعني أن القراءة تلفظ أنفاسها بين شوارع تلك المدينة. صحيح أن القراءة تطوّرت في السنوات الأخيرة، ليعتمد الناس على القراءة الإلكترونية، ولكن تظلّ المكتبة وفعاليات الكتب رمزية عن نبض المدينة الثقافي. وكما يقول البرتو مانغويل: (المكتبات هي أوعية للذاكرة الإنسانية)، وإذا لم تكن للمدينة ذاكرة كيف ستعيش؟

ومكتبة مسواط التي ذكرتها تعاني كثيراً، لم أزرها مؤخراً، ولكنها في حاجة ماسة إلى دعم حقيقي ومستدام، يضمن عودتها منارة للمعرفة كما كانت. المكتبة رئة المدينة والحي، فإذا ما أصابها شيء تأثر كل ما حولها، وهذا ليس كلاماً إنشائياً منمّقا، أنت ترى الحال الذي صرنا إليه، الحالة المعرفية أقصد، فهي التي تؤثر على بقية المجالات شئنا أم أبينا".

-لم تجب عن سؤال، هل يمكن لفعل القراءة أن يحيي مدينة؟
"ما ذكرته فيه طرف من إجابة، ولكن سأفصّل أكثر، في البداية علينا الإيمان بأهمية الفعل، وهذا في كل شيء، المؤمن لا يصل. وعند الحديث عن فعل القراءة، فإنّ التجربة البشرية، والشواهد التاريخية، والتكليف الشرعي، الكل توارد على أن القراءة قنطرة العبور من حال إلى حال، مع تفاعلات أخرى بالتأكيد، لكن القراءة هي رأس الرمح وعتبة الدخول، وقد أدرك البعض في عدن ذلك، فماذا لو كان الكتاب بيد طفل؟! وقراءة الطفل بالأخص ليست رفاهية، ولا ترفاً فكرياً تقوم به طبقة مخملية لديها وقت فراغ طويل، بل هو واجب إنساني وحقّ أساسي للأطفال وأداة فعالة للتعافي النفسي والاجتماعي.

أعود فأقول، عندما أدرك البعض ذلك جيداً بدأ بالتحرك، فظهرت عدد من المبادرات تقوم على نشر ثقافة القراءة بين الأطفال، ضعيفة، ومتواضعة تلك المبادرات، لكنها المتاح وما يستطيعه القوم، ويكفي أنها قامت عكس التيار السائد غير المهتم. ومن تلك المبادرات حملة "أطفال عدن يقرأون". أطلقتها مجموعة شبابية ضمن مشروع "يلا نسوي شيء"، تضمّنت مسابقات حكوّاتي، وعروضاً مسرحية صغيرة، وجوائز تشجيعية للأطفال في المدارس الابتدائية، هكذا الإنجازات العظيمة تبدأ بخطوات بسيطة لا تُرى كحركة جناحي فراشة.

كذلك تقوم منظمة "اليمن تقرأ Yemen Reads" بتعزيز الثقافة والمطالعة وإعادة فتح الحوار المجتمعي حول القراءة كحقّ أساسي بإنشاء أكشاك قراءة وجلسات للأطفال والشباب والنساء، ونشرت الكتب في المجتمع، مستهدفة جميع الفئات العمرية، منها الطفل. هذه المحاولات تساعد على خلق فضاء للتنشئة الثقافية، وغرس الفكرة فيما لو جادت السحب بالمطر، كانت الغرسة هناك ننتظر. هدف الرمية

الواحدة تحريك المياه الراكدة، وهذا ما تقوم الحملات والمبادرات من هذا النوع. تجعل الطفل يكتشف نفسه والعالم حوله بالكلمات والقصص".
-ولكن على هذا المنوال، نحتاج إلى وقت طويل جدًا.
"ربما، ولكن خطوة في الطريق خير من لا شيء، التغيير يكون باستدامة الفعل فقط، وهو ما فعلته عدد من المجتمعات بعد نكابتها".
-تفعل ماذا؟ تقرأ؟

نادى صاحب المقهى لكوب شاي إضافي. رشف رشفة طويلة "نعم تقرأ، قبل النظر في المجتمعات، تذكرت كلمة لبورخيس الأديب الأرجنتيني حين قال: "لو سُلئت عن أهم حدث في حياتي لقلت: مكتبة أبي"، وبالنظر في سير كل عظيم في الشرق والغرب، نجد هذا المعنى حاضرًا، أعني وجود المكتبة في طفولته، واستمرار القراءة في حياته، هذا الفعل المستدام صاغ شخصيات عظيمة أثرت في واقعها وأمدّ تأثيرها بعد وفاتها، ما زالت المكتبات تعرض ما كتبه دوستوفسكي، وتقرأ كثيرا ما قاله كامو في الغريب، ويضحك البعض حزناً من مقولات أحمد خالد توفيق، وخلفنا بشارعين يقع شارع باسم محمد علي لقمان، أسمعت عنه؟"
-ليس كثيرًا، سمعت عنه القليل.

"كغيره من عظماء هذا البلد. على أية حال، كما أخبرتك أن القراءة قنطرة العبور من حال إلى حال، سواء أكانت فعلا فرديا أم جماعيا. في ألمانيا وأمريكا اليابان وسنغافورة وروندا بعد الإبادة 1994، كلها تجارب نهضت بعد نكبات وحروب وشّرّ مستطير فتك بها لسنوات، وعلى مدار سنوات أخرى قامت بكثير من أفعال التعافي، على رأسها القراءة كعملية إعادة تأهيل نفسي واجتماعي تساعد الجميع، والطفل خاصةً، على فهم نفسه والآخرين، وتمكن المجتمع من الانتقال من فراغ الصراع إلى بناء التماسك والوعي الثقافي وتشييد المستقبل".

وضعنا أكوابنا الفارغة على الطاولة، وقال: "خلاصة القول، تُعدّ القراءة في مجتمع اليوم إحدى الركائز الأساسية في تشكيل الوعي الإنساني وإعادة إنتاج المعرفة داخل فئات المجتمع، وذلك سيتم بجعلها من ضمن أسلوب الحياة اليومي في البيت والأسرة والمدرسة، أعني القراءة الحرّة والتشجيع عليها، وليست قراءة الامتحانات، وكذا استدامة المبادرات البسيطة وفعاليات الكتاب لتحريك ثقافة القراءة أكثر، وعلى رأس تلك الفعاليات إحياء المكتبات ودورها في بعث مدينة تعاني النزاع منذ سنوات، هذا البلد لا يموت لا تقلق، وكل ما ذكرته إذا اتجه للأطفال، فنحن نصنع مستقبلنا من اليوم".

-بالتأكيد، ولولا القراءة، لما كانت هذه الجلسة الماتعة. شكراً لك، وداعاً.

غربة القارئ.. كيف تموت الذاكرة؟



خولة عبدالوكيل عبدالله يحيى



قضايا الميراث... شرحٌ في ذاكرة المجتمع

تأريمان مراد

ليست العائلة هي من تقسم الميراث، بل الميراث هو من يقسم العائلة. عبارة لا نقرأها على مواقع التواصل الاجتماعي، بل نراها واقعًا على أبواب المحاكم، وحقيقةً أحدثت خلافات اجتماعية و أسرية، أدت إلى القطيعة بين الإخوة والأقارب، وتفكك العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة. وذلك رغم وضوح الأحكام الشرعية المنظمة لتقسيم الميراث. تمثل قضايا الإرث من أبرز التحديات الاجتماعية التي تؤثر على السلم المجتمعي، وتهدد التماسك الاجتماعي، إذ أنّ النزاعات الأسرية الممتدة تمتد آثارها إلى استقرار المجتمع المحلي. ومع تزايد هذه النزاعات يبرز دور مبادرات لجان الصلح المجتمعي وجهود الشخصيات الاجتماعية، كآلية فعّالة لتعزيز التفاهم وتقريب وجهات النظر واحتواء النزاعات بين الأطراف المتنازعة، وترميم العلاقات المفككة، وإعادة بناء الثقة بين أفراد الأسرة، بما يسهم في تعزيز قيم التسامح والسلام والتماسك داخل المجتمع.

وفي ظل هذه النزاعات تشير دراسات قانونية واجتماعية متعددة في علم الاجتماع الأسري أنّ الميراث ليس قضية ولكن التنازع عليه ورفض الأحكام المشرعة وعدم الالتزام بها في توزيعه، مما جعله قضية اجتماعية. تُعزى أسباب حدوث النزاعات حول الميراث إلى الجهل بأحكامه وقلة فهمها، واستغلال بعض الورثة للتركة بصورة فردية، أو اختلافهم حول كيفية القسمة، أو إخفاء وجود بعض أصول التركة، إضافةً إلى ضعف الوازع الديني وتراكم الخلافات العائلية السابقة. كما يُعزى تفاقم هذه المشكلة إلى ضعف إدراك أهمية إدارة النزاعات داخل البيئة الأسرية عند تقسيم الميراث، مما يؤدي إلى نشوء خلافات وعداوات بين أفراد الأسرة..

كل هذه الأسباب تؤدي إلى آثار اجتماعية خطيرة منها وجود ضغائن في النفوس، وقطيعة بين الإخوة، وتفكك العلاقات الأسرية وابتعاد أفراد العائلة عن بعضهم البعض، وهذا بدوره يؤدي إلى انتشار الخلافات وانتقال النزاع إلى الأبناء والمجتمع المحلي. فالنزاع لا يؤدي إلى قطع العلاقات فقط، بل يترك جروحًا نفسية طويلة الأمد، حيث يصبح القلق والتوتر والشعور بالظلم والحرمان من الحقوق والغضب والعداء،

مما يجعل الضغط النفسي يتصاعد على كبار السن خاصة. فالخلاف على المال قد يؤدي إلى خسارة المال نفسه فلا تتوقف آثار النزاع على الورث عن الآثار النفسية والاجتماعية فحسب، فتظهر آثار اقتصادية أيضًا، فقد تتجمد الأراضي والممتلكات، و يتعطل توزيع الميراث لفترة طويلة، وما يترتب على ذلك من خسائر مالية بسبب النزاعات والقضايا، ويتدهور الوضع الاقتصادي لبعض أفراد الأسرة. أما على الجانب المجتمعي فتزداد الخلافات وتنتشر داخل المجتمع، ذلك ما يضعف التماسك الاجتماعي ويهدم ثقافة الحوار والسلام والتسامح.

ففي قرية تبعد عن المدينة حوالي 90 كيلو متر، نشب خلاف حاد بين الإخوة الخمسة بعد وفاة والدهم، وحينما طلبت أخت لهم غير الشقيقة نصيبها من الميراث، رفض الإخوة الذكور إعطائها نصيبها، حتى بعد سنوات من مطالبتها، ذهبت إلى أحد مكاتب المحاماة لتأخذ حقها بالقانون، فتصاعد التوتر الاجتماعي والنفسي بين الأطراف، وتعت أحدىهم على أن ليس لديهم شيء لها، وبحجة أنها ليست شقيقة وكذلك امرأة، وأنّ الأحق بالميراث هم الأبناء الذكور، أخذت القضية مجراها وأصبح الإخوة يتنازعون في زوايا المحاكم. فتصاعد الغضب حتى وصل إلى العنف الجسدي والتهديد بالقتل في حين لم تتراجع عن ما قامت به، حتى أصبح الخلاف على مسمع من أهالي القرية. في ذلك تدخل شيوخ وأعيان القرية، وبمساعدة لجنة صلح ووساطة مجتمعية لتهدئة الخلاف وحل المشكلة بالقانون وبشكل ودي، وإعطاء لكل ذي حق حقه، حيث لم يكن من السهل ذلك، ولكن بعد مساعي طويلة تحقق السلام وهدأت النفوس وفهم الإخوة الحق المشروع والأحكام المنظمة للميراث، وهنا كان للجان الصلح والوساطات المجتمعية دورًا كبيرًا في نبذ أطراف النزاع ، وإعادة العلاقات الأسرية وترميم النسيج الاجتماعي.

وهنا يمكننا القول: إنّ مبادرات لجان الصلح المجتمعي لا يقتصر دورها على حل النزاع فحسب، بل يمتد إلى ترسيخ ثقافة العدالة الاجتماعية، وتعزيز قيم التسامح والتفاهم من خلال تقريب وجهات النظر بين الأطراف المتنازعة وإعادة بناء الثقة وحماية الأسر من التفكك والقطيعة. ويبرز أهمية دور جهود الشخصيات الاجتماعية كآلية محلية فعّالة في إدارة النزاعات بطريقة سليمة، ومن خلال تقديم حلول توافقية تراعي الأحكام القانونية والأعراف الاجتماعية. وتعد هذه التجربة المحلية نموذجًا عمليًا لإدارة النزاعات المجتمعية بطريقة سليمة.

هكذا تصبح مبادرات لجان الصلح المجتمعي وجهود الشخصيات الاجتماعية خط الدفاع الأول في الحفاظ على تماسك الأسرة من التفكك، وتحويل نزاعات الميراث من صراعات تهدد التماسك الاجتماعي إلى فرص للحوار والتفاهم وإعادة بناء العلاقات،

مما يجعلها آلية مجتمعية وفعّالة في حماية النسيج الاجتماعي وتعزيز الاستقرار والسلم المجتمعي.

وفي نهاية المطاف ، يتضح أنّ الميراث في جوهره ليس قضية إشكالية بل منظومة قانونية واجتماعية تهدف إلى تحقيق العدالة وحفظ الحقوق، غير أنّ التنازع عليه ورفض الالتزام بأحكامه هو ما يحوله إلى مصدر للخلاف وتفكك في العلاقات. ومن هنا تبرز أهمية تعزيز الوعي المجتمعي بثقافة الحقوق و الواجبات، ودعم مبادرات لجان الصلح المجتمعي وجهود الشخصيات الاجتماعية التي تسهم في احتواء النزاعات وإعادة بناء الثقة بين أفراد المجتمع، وفرصة لتعزيز الروابط الأسرية وترسيخ قيم التضامن والتعاون، وهذا يسهم في بناء مجتمع يسوده السلم الاجتماعي والتعايش واحترام الحقوق والحفاظ على التماسك المجتمعي

قضايا الميراث... شرحٌ في ذاكرة المجتمع



مريم عبدالقادر محمد باشعيب



كيف تنقذ الواجهة الاجتماعية السلم المجتمعي في حضرموت؟

مصطفى باحکم

في العاشرة من عمري، اقتفيتُ أثر والدي نحو تلك المجالس المهيبة، لأتلقى درساً مبكراً في فلسفة الاحتواء هناك رأيتُ خصوماتٍ بلغت حد القطيعة، ونزاعاتٍ على حدود الأرض، وحقوق التجارة تكاد تشعل فتيل أزماتٍ كبرى، لكنها كانت تتلاشى وتذوب أمام هيبة كلمة أو إيماءة وقار من وجيهٍ يمتلك من الرصيد الأخلاقي ما لا تملكه نصوص القانون الجافة. لقد أدركتُ حينها أن ما تمنحه الواجهة الاجتماعية لحضرموت هو "نظام تشغيل أصيل" للتماسك الاجتماعي ففي حين يسعى القانون للفصل الحدي بين الغالب والمغلوب، تسعى الواجهة لترميم العلاقة بين الخصوم محولةً النزاع من مواجهة قانونية باردة إلى صلح إنساني مستدام.

هذا التوجه الحضرمي يتقاطع بعمق مع مفاهيم "العدالة التصالحية" التي هي استراتيجية قانونية تعتمد على دول كبرى ومؤسسات حقوقية (مثل الأمم المتحدة)، وتهدف إلى إصلاح الضرر بدلاً من مجرد معاقبة الجاني. وبينما يركز القانون التقليدي على الذنب والعقاب تركز العدالة التصالحية على المسؤولية والترميم، وتنادي بها كبرى المعاهد الحقوقية اليوم، ومن أبرز تجارب العدالة التصالحية تجربة رواندا (محاكم الجاتشا). فبعد الإبادة الجماعية لجأت رواندا للمحاكم التقليدية المجتمعية لحل ملايين القضايا التي عجز عنها القضاء الرسمي؛ مما ساهم في دمج المجتمع مجدداً. وفي جنوب أفريقيا اعتمدت لجنة الحقيقة والمصالحة على مبدأ أوبونتو (الإنسانية تجاه الآخرين) وهو ما يشبه تماماً مبدأ الجبر والمروءة الحضرمي. وتشير بعض الأبحاث لمركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية إلى أن أكثر من 80% من النزاعات في الأرياف اليمنية تُحل عبر الوساطات القبلية والاجتماعية لسرعتها وانخفاض كلفتها وقدرتها على إنهاء الثأر.

سلطة الوجيه في حضرموت لاتأتي من تعيين رسمي انما من مشروعية القبول التي تُبنى على ثلاثة ركائز وهي الحياد التاريخي حيث يكون الوجيه من أسرة أو خلفية معروفة بعدم الانحياز لمصلحة ضيقة، والحكمة، والخبرة اذ لا بد أن يملك القدرة على تفكيك جذور المشكلة وربطها بالمصلحة الجماعية وايضاً الضمان المعنوي فالوجيه

عندنا يصدر حكماً يضمن بياض الوجه للمتنازل ويحول التنازل من ضعف إلى كرم ومروءة.

وتظهر قوة هذا المنطق بوضوح حين تعجز النصوص عن مداواة القلوب، فالمحاكم وإن أنهت القضية ورقياً فإنها غالباً ما تترك وراءها ندوباً عائلية لا تندمل بسهولة، بينما يركز عمل الوجيه على إقناع الأطراف بأن التنازل عن جزء من الحق المادي هو استثمار في "الستر والجيرة"، حيث يضع قيم قرابة الدم والعيش والملح في كفة، والمطالب المادية في كفة أخرى، ليخرج الجميع بوجوه بيضاء وقناعة تامة بأن ما يربطهم أثمن من أي تعويض.

ولعلّ الذاكرة لا تزال تحتفظ بمشهد هزّ وجداني وأنا أراقب أحد تلك المجالس، حين احتدم الخلاف بين ابني عمومة على قطعة أرض موروثية، حتى وصل الأمر إلى شحن السلاح وتبادل التهديدات، وفي اللحظة التي ظن الجميع أن الدم سيسيل تدخلت شخصية اجتماعية وقورة ذكّرتهم بلامح وجه جدهما المشترك وبمستقبل أبنائهما فقط وبذكاء تلك السلطة الأخلاقية رأيت السلاح يوضع جانباً وانقلاب المشهد إلى موقف أبكاني حيث ارتمى الاثنان في أحضان بعضهما يجهشان بالبكاء أمام عيني، في صلح عجزت سنوات التقاضي عن تحقيقه.

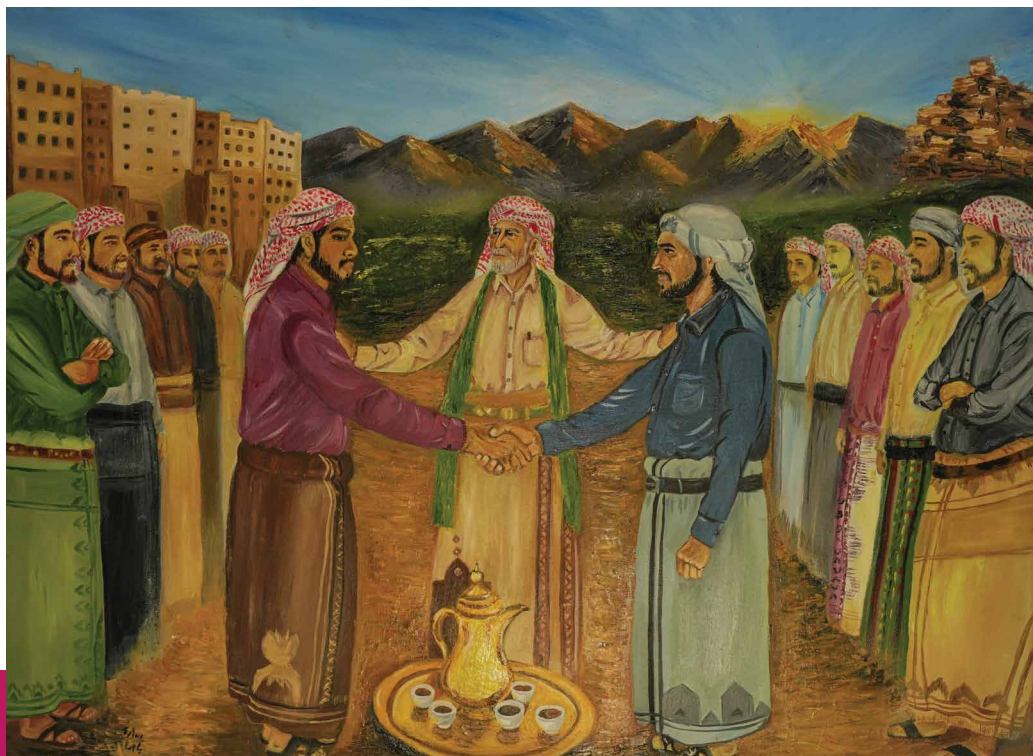
إن هذا النوع من التحكيم يظل الملاذ الأكثر أماناً للباحثين عن الحق والعدل، خصوصاً في المنعطفات التاريخية التي تضعف فيها مؤسسات الضبط الرسمي ومع ذلك ثمة فوارق جوهرية بدأت تطفو على السطح اليوم ففي الماضي كانت كلمة الوجيه بمثابة مرسوم أخلاقي لا يقبل النقض بينما نشهد الآن حالة من التفلت وتقديم المصالح الشخصية الضيقة على التقدير الاجتماعي مما يهدد ركائز الأمان التي عاشت عليها حضرموت لقرون.

لذا فإن الحفاظ على مكانة الوجاهة الاجتماعية هو ضرورة أمنية ووجودية لحماية مستقبلنا. وهذا يتطلب بناء جسور ثقة حديثة بين الوجاهة والدولة بحيث تُعطى هذه المرجعيات غطاءً معنوياً يسند أحكامها، مع ضرورة إبقائها بعيدة عن التسييس ومطامع السلطة. إننا اليوم أمام مسؤولية استعادة روح الكلمة وتعزيز دور الكبار في حل مشكلاتنا، فإما أن نحمي هذا النظام الذي أثبت نجاحه في أحلك الظروف، أو نترك النزاعات تتضخم لتتحول إلى صراعات تمزق نسيجنا الذي بنيناه عبر الأجيال بالجبر والمروءة.

كيف تنقذ الواجهة الاجتماعية السلم المجتمعي في حضرموت؟



سارة باضاوي



كيف كانت البيوت تتواصل عبر النوافذ؟

عبدالملك الأغبري

شكّلت النوافذ المشتركة في البيوت التقليدية وسيلة بسيطة وفعّالة لتعزيز التواصل اليومي والتعاون بين الجيران، فقد تحوّلت إلى قناة مفتوحة تمرّ منها الأحاديث اليومية، وأطباق الطعام، ونداءات الاستعانة البسيطة التي تُخفّف عن الجيران أعباء الحياة. كانت البيوت متقاربة ومتلاصقة حتى بدت كأنها يتكئ بعضها على بعض. لم تكن المسافات تفصل الناس كما تفعل اليوم، لكن هذا التقارب العمراني أصبح انعكاسًا لعلاقات اجتماعية متينة اتّسمت بالتعاون والتكافل والمودّة اليومية.

تذكر أمّ محمد (65 عامًا)، من أهالي مديرية حيفان بمحافظة تعز، أنّ منزلهم كان فيه نافذة مشتركة مع منزل جارهم، وأنّ تلك النافذة كانت مفتوحة معظم ساعات النهار، يمرّ منها طبق من الطعام، أو شيء يحتاجه الجيران، حتى الأطفال كانوا جزءًا من هذه الحياة المشتركة، يقفون عند النافذة لطلب اللبن أو الخبز، وكأنهم في بيت واحد كبير. وتُضيف أنّ النافذة كانت تتحوّل أحيانًا إلى مساحة للحديث اليومي، تتبادل الجارتان الأخبار والمواساة، فتتشكّل شبكة دعم اجتماعي صغيرة تساعد على تجاوز ضغوط الحياة وتعزّز التشافي النفسي.

"يا ابني لمن كان الجار يروح هو وعائلته إلى قرية أخرى للضيافة أو ما شابه، كنّا نشعر بفراغ داخلنا، وكأننا أضعنا كنزًا"، بهذه الكلمات تعبّر أمّ محمد عن عمق الترابط الاجتماعي الذي كانت توفره النوافذ المشتركة، وكيف أنّ هذه المساحات الصغيرة كانت قلب الحياة اليومية في القرية، ومكانًا للتواصل، والمواساة، والمشاركة، بما يعزّز الشعور بالتعايش والانتماء داخل المجتمع، حتى إنّ غياب الجار كان يُشعرهم أنّ جزءًا من الحياة قد انتزع.

أدّى تغيّر أنماط البناء وتباعد البيوت في السنوات الأخيرة، خاصة مع اندلاع الحرب في اليمن وما تبعها من ظروف اقتصادية صعبة، إلى تراجع مظاهر التواصل اليومي بين الجيران، بعد أن كانت العلاقات أكثر قرابة وبساطة. يستحضر عبد الحميد، من أهالي مديرية المعافر، ذكريات الماضي، وكيف كانت الحياة اليومية أكثر بساطة وقربًا بين

الجيران. كان الناس يخرجون يوميًا ليجلس بعضهم مع بعض، يجتمعون في مكان يُسمّى "الدكّة" أمام منزل أحدهم، يسمرون ويتحدثون عن تفاصيل يومهم وخططهم لليوم التالي، ويتبادلون الحديث حول مواسم الزراعة، ويتقاسمون أفراحهم وأحزانهم، فتتشكّل شبكة من الألفة والثقة التي تغذّي حياتهم اليومية. ويُضيف: "الناس اليوم أصبحوا غير الناس حقّ زمان. الآن تجدهم مجتمعين في مكان واحد ومجلس واحد، لكنهم لا يجرون أي حوار حقيقي بينهم، هم مشغولون بجواتهم، وغارقون في عالم افتراضي بعيد عن الجيران وحتى عن أطفالهم".

ويشير عبد الحميد إلى أنّ هذا التحول يعكس تراجع التواصل المباشر بين الناس، لكنه يذكّر في الوقت نفسه أنّ استعادة روح التعاون ممكنة، ولو بخطوات صغيرة وبسيطة، مثل المبادرة بمناداة الجار "والتصبح عليه"، وتبادل الأخبار معه، واستشاراته في أشياء بسيطة لكسر الرتابة أولاً. ثم المبادرة بطلب الطحين أو الخبز من الجار، حتى إن لم تكن بحاجة لذلك، فالغرض فتح نافذة قلبية بين الجيران، ذلك يمكن أن يُعيد الثقة والألفة بين القلوب، ويُعيد ولو جزءًا من دفء الحياة اليومية الذي كان يميز القرية في الماضي.

يعكس حديث عبد الحميد الحنين إلى دفء التواصل المباشر بين الجيران، وكيف أنّ اللقاءات اليومية البسيطة كانت تشكّل شبكة من الألفة والثقة، تحفظ روابط المجتمع وتقوّي الشعور بالسلام والتعايش والتعاون والانتماء، حتى أصبح غياب الحوار المباشر اليوم يترك فراغًا يُشعر الجميع أن جزءًا من الحياة قد تلاشى.

تغيرت كثيرٌ من ملامح الحياة الاجتماعية في سنوات الحرب؛ إذ شهدت تعزّ ومناطق يمنية أخرى موجات نزوح وانتقال للسكان، وانتقلت أسر جديدة لسكن الأحياء نفسها. انعكست هذه التحولات سلبيًا على الممارسات اليومية التي كانت جزءًا من التعايش، وتراجعت الثقة بين الناس نتيجة الضغوط النفسية وما تبعها من ضغوط اقتصادية واجتماعية. في هذا السياق، تقول أستاذة علم الاجتماع بجامعة عدن، ورئيس منصة "المرأة المستقلة" الدكتورة رانيا خالد: "حديثنا عن التعايش في المجتمع اليمني لا يقتصر على شكل البيوت أو هندسة العمران، لكنه يشمل منظومة القيم الاجتماعية. كانت المنازل متلاصقة بالجدران، لكنّها أكثر التصاقًا بالقلوب"، وتضيف: "ما يُعرف بـ(الطاقة) أو النافذة الصغيرة بين منزلين كانت تمثّل بوابة ثقة تُمرّر منها أشياء بسيطة، لكنها تحمل المودة والاهتمام والشعور بالانتماء إلى مجتمع واحد"، موضحة أن التعايش لا يرتبط بالبناء المادي وحده، لكنه يرتبط بالبناء الاجتماعي أيضًا، فحتى إن غابت النوافذ المشتركة، يمكن أن تظلّ قيم الجيرة حاضرة في السلام على الجار، والسؤال عنه، وفي المبادرات المجتمعية التي تعيد بناء الثقة.

الدكتورة رانيا نوّهت إلى أن استحضار هذه الصور من الماضي ينبغي أن يُفهم بأنه تذكير بأنّ المجتمع اليمني يمتلك في ذاكرته الجماعية نماذج قوية للتكافل والتعايش. وإذا نجحنا في استعادة هذه القيم في حياتنا اليومية، فسنكون قد فتحنا "طاقة" جديدة بين الناس، ليس في الجدران فقط، لكن في القلوب والعلاقات الاجتماعية أيضًا.

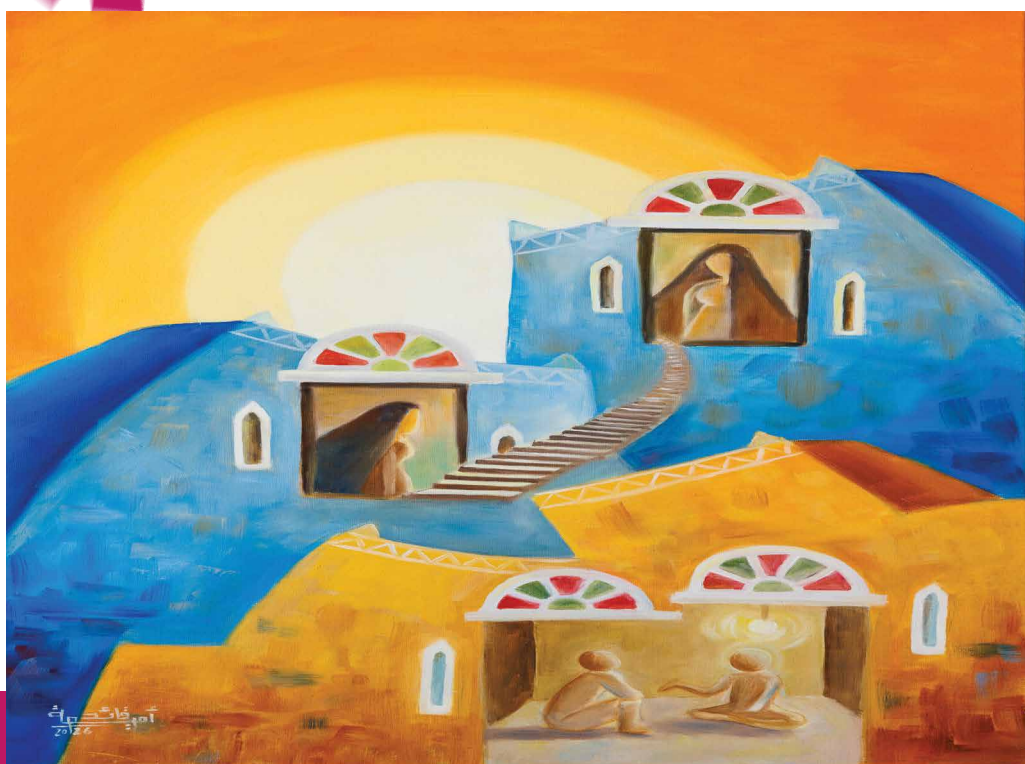
المهندس عبد الله حيدرة، من أهالي عزلة الأعبوس في حيفان، يؤكّد أنّ النواخذ ما زالت موجودة في بعض البيوت، لكنها فقدت دورها القديم وأصبحت جزءًا من ذاكرة المكان. "تحكي هذه النواخذ قصة صامتة عن أيام كانت العلاقات فيها بين الناس أقرب، وحياة المجتمع أكثر بساطة، تعكس الانتماء وروح التضامن والتعايش بين الجيران"، يقول حيدرة.

ويُضيف أنّ استحضار هذه الذكريات يذكّرنا بقيم اجتماعية أسهمت في بناء مجتمع متماسك، قائم على القرب الإنساني وروح المشاركة. فالممارسات البسيطة، مثل تبادل الطعام أو مدّ يد العون عند الحاجة، كانت تُشكّل شبكة دعم بين الأسر وتساعدهم على مواجهة الصعوبات وتقاسم الأعباء اليومية.

وفي الأخير، يمكن القول: إنه مهما تغيّرت البيوت ونمط العمارة، تبقى روح الجيرة والتواصل المباشر بين الناس جوهر الحياة الاجتماعية في تعز والمجتمع اليمني بشكل عام. النواخذ المشتركة كانت تمثل رمزًا حقيقيًا للثقة، والموثوقية، والمساندة اليومية، ومرآة صافية لقيم التضامن والتعايش التي شكّلت نسيج المجتمع وسلامه الداخلي. اليوم، ورغم التحديات والحرب ونوائب الزمن، وتباعد البيوت، يمكن استعادة هذه الروح بخطوات بسيطة: التحيّة، تبادل الأخبار، والمبادرات اليومية الصغيرة التي تفتح "نواخذ قلبية" بين الجيران. فالقيم الاجتماعية التي تحملها هذه الذكريات هي خارطة طريق لإحياء الانتماء، وبناء الثقة، وإعادة دفاء التواصل بين القلوب، كما كانت عليه من قبل، لتظلّ الحياة اليومية مليئة بالتعايش والتعاون والسلام.

كيف كانت البيوت تتواصل عبر النوافذ؟

أميمة قائد أحمد إسماعيل



كيف نحمي الناجيات من سيات الكيبورد والمحاکمات الشعبية؟

فاطمة الزهراء

نجت "أبرار" من الخاطف أخيراً، وعادت إلى بيتها حرة منهكة، غير أن الحرية لم تدم طويلاً، فالمجتمع كان ينتظر ليضعها في قفص آخر اسمه "العار". هذه اللحظة الفاصلة في حياة طفلة لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها، تلخص مأساة مركبة تعيشها عدن اليوم، حيث لم يعد السلم الأهلي مهدداً بالسلاح وحده، بل بـ"ضغط زر" تبحث عن الإثارة تتبعها محاكمات شعبية تنهش في كرامة العائلات في كل حارة وزقاق، لتصبح الناجية حبيسة نظرات المجتمع التي لا تقل قسوة عن قيود الخاطف. فكيف تحولنا من مجتمع "نصير" إلى "قاضي" يوزع صكوك الإدانة بناءً على همس المنصات الرقمية؟! وهل يمكن لمروءة الأجداد الأصيلة أن تصمد أمام سيات "الهاشتاجات" المسمومة؟!

إن ما تعرضت له "أبرار" (عُرفت إعلامياً بـ"بنت حاشد") يجسد أبشع صور التغول الرقمي وغياب مفهوم النصر، فما إن أعلنت الأجهزة الأمنية العثور عليها، حتى انطلقت سهام التخوين والقصص المتخيّلة دون انتظار لبيان رسمي، ودون مراعاة لسنّها القانوني كقاصر. هذا الاندفاع المجتمعي نحو التشهير دفع عائلتها للتقوقع ورفض الظهور الصحفي للدفاع عن أنفسهم، خوفاً من سيات المجتمع التي لا ترحم. إن هذه الحادثة تُثبت أن الوصمة في واقعنا المعاصر باتت تُصنع خلف الشاشات قبل أن تستند إلى الحقائق، مما يجعل تكلفة النجاة باهظة جداً وتُفوق قدرة الأفراد على الاحتمال. هذا الانحدار في التعامل مع الضحايا يُعيدنا اضطراراً إلى مراجعة قواعدها الأخلاقية، فقد كان المجتمع اليمني قديماً يمتلك نظاماً يفوق في رقيّه قوانين الحماية الحديثة، وهو ما وثّقه المؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري في كتابه "مجموع بلدان اليمن وقبائلها" تحت مفهوم "الداعي والنصرة". هذا الميثاق كان يُحتم على الجميع الوقوف علناً مع المظلوم، وكان خذلان امرأة في مأزق أو التشهير بها يُصنّف ضمن "المعيبات السود" التي تُلطّخ سمعة المدينة بأكملها. إن المقارنة بين مروءة الأمس وترندات اليوم تكشف فجوة أخلاقية تستدعي التدخّل، فكرامة المرأة كانت جزءاً لا يتجزأ من كرامة المجتمع، بينما اليوم تُنصب لها المقاصل الرقمية والشعبية عند أول

محنة.

إنَّ المسؤولية الجماعية اليوم تُحتمُّ على صُناع المحتوى والناشطين في عدن إدراك أنَّ الفضاء الرقمي امتدادٌ للسلم الأهلي، فالمؤثر الرقمي يمتلك سلطة التوجيه التي قد تنقذ أسرة أو تدمرها تمامًا. السلوك المستهدف هنا هو كسر ثقافة التداول العشوائي، ويجب أن تتحوَّل الرسالة الأخلاقية لكلِّ شاب وشابة إلى شعار: "أنت لست ناقلًا للخبر وحسب، أنت مسؤول عن أثره". إنَّ التحول من باحث عن الترنس إلى مُدافع رقمي يمارس التبليغ الجماعي ضد الصفحات المبتزّة هو السلوك الذي سيعيد للمنصّات دورها الإيجابي في حماية المجتمع بدلًا من نهش أعراضه.

ولأنَّ التغيير يتطلب قوى ميدانية مؤمنة بقضيتها، نقترح تأسيس "نُخبة النصر الرقمية"، وهي شبكة شبابية تطوعية عابرة للمديريات، تنطلق من قلب "الحارة" لتشكّل حائط صدٍّ ضدَّ انتهاكات الفضاء الرقمي. لا تقتصر مهام هذه النخبة على الرصد الافتراضي، بل تمتدّ لتكون "مرجعًا أخلاقيًا" داخل أحياء عدن، حيث يعمل أعضاؤها على إطلاق حملات توعية ميدانية داخل المساحات العامّة واللقاءات الشبابية، لترسيخ قيم الخصوصية وحُرمة المنازل.

تعتمد هذه النخبة على استراتيجية "التحصين المجتمعي"، فبدلًا من الاكتفاء بالتبليغ عن الصفحات المبتزّة -وهو إجراء تقني ضروري- تقوم النخبة بفتح حوارات مباشرة في المجالس والأزقة، لمواجهة الأفكار التي تحاول تسويق "الوصمة". هؤلاء الشباب والشابات، بوصفهم سفراء لهذا الميثاق الأخلاقي، يعملون على خلق "رأي عام محلي" يلفظ التنمّر، ويجعل من ممارسة التشهير سلوكًا منبوذًا اجتماعيًا في نظر أهالي الحارة، قبل أن يكون مرفوضًا في منصات التواصل.

إن "نُخبة النصر الرقمية" هي ترجمة عملية لإحياء مفهوم التكافل العدني العتيق، ولكن بأدوات العصر، فهي تحمي الناجية، وتُعيد بناء "المناعة الأخلاقية" للمدينة؛ لتظلَّ عدن قلعةً لا تستيحي كرامة بناتها أمام سياط الكيبورد أو نزوات الفضول في المقایل. وهذا الواقع يفرض أيضًا على المؤسسات العدلية والأمنية في عدن مسؤولية تتجاوز إنفاذ القانون التقليدي إلى ضبط الفضاء الافتراضي، فالحاجة اليوم ماسّة لتفعيل وحدات متخصصة تُراقب الانتهاكات التي تطال كرامة الأفراد، وتطبيق مواد القانون المتعلقة بحُرمة الحياة الخاصة بشكل صريح وقابل للتنفيذ السريع. فالمُعطيات والتقارير الحقوقية المحليّة تُشير إلى أنَّ أكثر من 75% من الفتيات اللواتي تعرضن لحوادث اختفاء واجهن حملات تشهير عنيفة، بينما يعاني 90% من الناجيات من اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD) الناتج عن النبذ المجتمعي، لا الحادثة الأصلية فقط. إنَّ صمت القانون أمام هذه الأرقام هو بمنزلة تشريع ضمني لدمار

النسيج الاجتماعي، وقصور في حماية أضعف حلقات المجتمع. ولتحويل هذا الوعي إلى فعل ملموس، تبرز الحاجة إلى أدوات مناصرة عملية تقودها المبادرات الشبابية في عدن من نوادي السلام المجتمعي. يعتمد هذا المقترح على استخدام المسرح التفاعلي كأداة تغيير تجوب المتنقّسات العامة في مختلف المديرّيات لعرض مشاهد تُشرك الجمهور في حماية الضحية بدلاً من رجمها بالشائعات. إن تحويل الجداريات في شوارعنا من زينة بصرية إلى رسائل ترسّخ قيم السّتر والمؤازرة هو نشاط عملي يُعيد تعريف الرجولة والأصالة كفعل حماية. بهذا يتحوّل الشاب في عدن من مستهلك للمحتوى وحسب، إلى مدافع ميداني يرفض أن تكون كرامة الفتيات وقوداً لزيادة المشاهدات أو على ألسنة الجميع في مجالس القيل والقال.

ختامًا، إن معركة الوعي في عدن تُكسب باستعادة المروءة التي كانت سياجًا يحمي الجميع في كلّ حارة وزقاق. نصرة أبرار وأمثالها لا تكون إلا بقرار شجاع يتّخذه كل واحد منّا بأن يكسر سلسلة الانتشار بمجرد وصول منشور الفضيحة إليه. إنّ كرامة الفتاة العائدة من الاختطاف هي كرامتنا جميعًا، واستعادة روح المدينة التي كانت منارة للأصالة تتطلّب منا اليوم أن نختار النصرة لا الوصمة، لنجعل من مروءة تاريخنا قانونًا نعيشه في هواتفنا وبيوتنا على حدّ سواء

كيف نحمي الناجيات من سيات الكيورد والمحاكمات الشعبية؟



حنين جمال ناصر قاسم السقاف



كيف نستعيد الانتماء في زمن الحرب؟

أمة الرحمن العفوري

في قلب الجبال اليمانية الشاهقة، حيث تُعانق السحب قمم "القَبَيْطة" وتنساب الحكايات بين أزقة الحارات ومنحدرات السيول، ثمة إرث قديم أودعه الأجداد في بطون الأرض وسهولها وجبالها، وفي أقبية الدُور العتيقة، لم يكن كنزا من ذهب أو فضة، بل قيمة وطنية أخلاقية عُظمى تُسمّى "الانتماء" للأرض، للتراب، للهوية. واليوم ونحن نمرّ في متاهات نفق الحرب المظلم حيث تأكلت جدران الثقة بين الطبقتين الحاكمة والكادحة الحاملة، وتفرّقت الولاءات وتعدّدت الاتجاهات، نجد أنفسنا أمام سؤال مصيري يتردّد صдах بمرارة على الضمير: كيف يُمكننا استعادة انتمائنا الوطني و"الأمانة" التي استودعها أجدادنا لدينا، بعد أن شعرنا حقًا بأننا قد فرطنا فيها؟ وكيف يمكننا ترميم ما تبقى من ذلك "الولاء" والانتماء الذي تمزّق بين مخالب الاستقطاب السياسي وأنياب الحاجة؟

إن ما نعيشه اليوم يتجاوز كونه صراعًا على السلطة. إنه تحول بنيوي أدّى إلى تذرّر المجتمع، فقد فقدت الهوية الوطنية دورها مرجعيةً عليا ناظمة للسلوك، وحلّ محلّها الانتماء للفئات الضيقة. هذا التآكل حوّل الوطن في وعي المواطن من مظلة حماية إلى ساحة صراع نُخبوي، مما أضعف العقد الاجتماعي الذي يربط الفرد بالدولة. لقد نشأ لدى المواطن شعور مرير بالاغتراب عن مفهوم الوطنية، ما جعله يرى في مؤسسات الدولة ملكيات تخصّ النخبة الحاكمة التي تُدير الدولة، أو غنيمة بيد القوى المتسلّطة، حتى باتت تتردّد في الأسواق وعلى أرصفة الطرقات عبارات تقطر وجعًا ويأسًا، مثل "الدولة دولتهم" و"البلاد بلادهم". هذا الاغتراب النفسي عن فكرة الانتماء الوطني لم يتوقّف عند حدود اللفظ فحسب، بل تحوّل إلى سلوكيات مُدمّرة جعلت الفرد يزهد في حماية الممتلكات العامة، بل يستبيحها ويشارك في العبث بها، كنوع من الانتقام "اللاواعي" من السلطة التي لا تمثّله، فغاب الولاء الجامع للملكية العامّة وحلّ محله تقديس الأشخاص والكيانات وصارت الأعلام الفئوية ترفع فوق هاماتنا بينما علم الوطن يطويه غبار الإهمال.

إنّ هذا التآكل الفظيع في معنى الانتماء نتيجةً بائسة لسنوات من التغريب المُمنهج الذي مارسه القوى المتصارعة. فقد عملت الحرب على هدم "السردية الوطنية

الجامعة" في عقول الأجيال الناشئة. وشهدنا كيف تلاعبت بعض الأطراف بالمناهج التعليمية وكيف استُبدلت الأناشيد الوطنية، التي كانت توحد إيقاع القلوب، وتوجه بوصلتها نحو شيء اسمه الوطن، بصرخات فئوية أو أناشيد مناطقية تزرع بذور التشّت الفكري والانتماء المناطقي في صفوف الصغار قبل الكبار. ومع تباين المشاريع السياسية، وتعدّد السرديات حول شكل المستقبل، تشّت وعي الجيل الناشئ بين شعارات ورموز متباينة، مما أضعف صورة الوطن الواحد في وجدانهم، وجعل الانتماء يبدو كأنه خيارات سياسية متنازعة، بدلاً من كونه حقيقة وطنية جامعة تتجاوز اللحظة الراهنة.

لقد ضاع الجيل الصاعد في متاهات هذه الولاءات الصغيرة، وأصبح الانتماء الحقيقي يُقاس بمدى قربك من "القائد" أو انتمائك "للحزب" أو "المنطقة"، وصار الدفاع عن "الفصيل" مقدّمًا على الدفاع عن "الوطن". هذا الانقسام السياسي الحادّ، المصحوب بغياب القدوة الوطنية الحقيقية، خلق حالة من اليأس والإحباط والانكفاء على الذات لدى المواطن، ما جعله يشعر بأن الدولة ليست سوى جهاز للجبايات أو أداة لقمع الحريات، فقرر الانسحاب من دائرة المسؤولية العامّة إلى مربعه الخاص، ومن الشعور الجمعي إلى الرغبة في تحقيق المكاسب الشخصية، وإن كان ثمن ذلك هو الوطن، تاركًا الشوارع للنفايات، والمواقع الأثرية للنهب، والمؤسسات للعبث، ظنًا منه أنه ينتقم من "النظام" أو "الفصيل" بينما هو في الحقيقة يطعن وطنه في مقتل، ويُعدم مستقبله ومستقبل أطفاله بيديه.

وهنا يبرز التباس جوهري في وعي كثيرين: هل الوطن هو النظام السياسي القائم بمشاكله، أم هو الأرض والإنسان؟ إنّ الخلط بين "فشل الإدارة" وبين "قيمة الوطن" هو ما جعل المواطن يشعر بالاغتراب، وكأنّ البلاد أصبحت إقطاعية خاصة للنخب، مما دفعه للتنبّل من مسؤوليته تجاه الفضاء العام.

إن الحقيقة التي يغفل عنها كثير، وتتعمّد الطبقة السياسية تجاهلها، وربما طمسها، هي عدم تقديم المفهوم الحقيقي للوطن بوصفه "الأرض والإنسان"، فالنظم تتغيّر والوجوه السياسية تتبدّل، والمناصب لا تدوم، لكن الجبال والوديان تظلّ شامخةً تهتف للأجيال: من هنا مرّ الآباء والأجداد وهنا أقاموا! أما المرافق والمؤسسات والمدارس والجامعات والمستشفيات والشوارع والطرق، فإنّنا الباقي الذي لا يملكه حزب ولا زعيم ولا فئة.

إنّ استعادة هذا الانتماء المفقود يتطلّب منا العودة إلى موروثنا الثقافي والقيمي العريق، حول مفهوم "الأمانة تجاه الأرض"، تلك القيمة النبيلة المتأصلة في تراثنا اليمني الأصيل، لا تُباع ولا تُشتري. فالمزارع اليمني القديم الذي نحت الجبال وحولها

إلى مدرجات زراعية تُبهر العالم، لم يكن يفعل ذلك بأمر من سلطة أو حكومة، بل بدافع حبّ الأرض. إنّه الإحساس الفطري تجاه الأرض. إنه يرى في كلّ حجر يضعه في مكانه أمانة تسلمها من والده ليسلمها إلى ولده، ويدرك يقيناً أنّ إهمال حجر واحد في سور مزرعته خيانة لتاريخ أجداده. هذا النوع من "الأمانة الموروثة" هو ما نحتاجه اليوم لفكّ الارتباط الوجداني بين كراهية النخب وبين التنصّل من المسؤولية الوطنية، فالوطن ليس عقدًا سياسيًا متنقلًا من شخص إلى آخر، أو صكًا مملوكًا لفئة أو جماعة، بل هو "جمي" مشتركة، وسماء مفتوحة تحلّق في فضائها قصص حيّة وذاكرات خالدة لأجداد عظماء نصبوا الأوتاد في أعماق الأرض؛ كي يأتي الأحفاد ليرفعوها فوق عنان السماء. وإدراكنا لهذه الحقيقة هو ما يجعلنا نرى الشارع بيتنا والمدرسة روضتنا والموقع الأثري ميراث أجدادنا وإرث أبنائنا، لا مجرد ممتلكات لوزارة معينة أو جهة إدارية محددة.

ورغم قتامة الواقع الاجتماعي، تبرز ومضات ملهمة تثبت أنّ جينات أبناء سبأ وتبع ما زالت تحمل هذه الأمانة، وتنبض في عروق كل يمني حر، متحدية كل محاولات التقسيم السياسي والتفتيت الفئوي والتصنيف الطبقي.

ولنأخذ مثالا حيا في رجال ونساء قرى مديرية القبيطة بمحافظة لحج، ففي ظل غياب الدولة وانشغال النخب بالصراعات السياسية، شقّوا طرقاً جبلية وعرة، وبنوا المدارس والخزانات بجهودهم الخاصة وإرادة ذاتية جبّارة. هؤلاء البسطاء لم ينتظروا مناقصات الدولة ولا توجيهات الأحزاب والقادة، بل انطلقوا من إيمانهم العميق بأنّ الأرض أرضهم، وأنّ حماية المصلحة العامة هي أمانة لا تقبل التأجيل والتسويق.

في المحافظة نفسها، برز نموذج فريد للمواطنة الحيّة، وذلك في المؤرّخ حامد ذلك الرجل الذي لم تمنعه الظروف من أن يكون حارسا لذاكرة الوطن، لقد نذر حياته لجمع كلّ ما يتعلق بالموروث اليمني من كتب نادرة وأشرطة كاسيت تحفظ أصوات الفنانين والشعراء. إن ما يفعله حامد هو فعل مقاومة ثقافية يسعى منه لحفظ خيوط الانتماء التي تشكّل وجداننا المشترك.

وفي المدن أيضا، نرى مبادرات شبابية مماثلة، تتحدّى الظلام وتكسر الجمود بإنارة الشوارع وتشجير الأرصفة، ممارسين مواطنة أخلاقية تجعل الانتماء للوطن سلوكًا حقيقيًا، ولو كان بسيطًا، يبدأ من وضع القمامة في مكانها، ولا ينتهي بحماية المنشآت العامة، بل يتعدّى ذلك كفعل حضاري لصيانة الهوية. هؤلاء هم "أبطال الظل" الذين يذكروننا بأنّ اليمن الأمثل ليس في خطابات السياسيين، بل في سواعد الذين يرّمون ما أفسدته أيادي الغدر. إنهم يقدمون لنا درسًا بليغًا في "الولاء الوطني" ليست بشعارات ترفع في المناسبات، بل هي سلوك واقعي يحمي النسيج

الاجتماعي من التمزق والقيم من الاندثار.

وبمنطق المصلحة المشتركة، فإنّ تخريب الممتلكات العامة أو إهمال النظافة وتلويث البيئة عمداً أو جهلاً هو انتحار جماعي، لا يضرّ النخب العليا التي يتحامل عليها البسطاء، بل يضرّ السواد الأعظم من عامة الناس، فالمستشفى الذي يتوقف اليوم عن العمل بسبب إهمال هو نفسه المكان الذي قد نحتاجه غداً لإنقاذ حياة عزيز، والمدرسة هي التي ستبني جيلاً يصنع المعجزات إن صلحت، وإن خربت خرّبت جيلاً ضائعاً سيقودنا لمزيد من الحروب. المنطق يقول إنّ المصلحة العامة هي مجموع مصالحنا الخاصة، وحمايتها هي حماية لأنفسنا ومستقبلنا من الضياع.

أما بالعاطفة فليس هناك وجع أشدّ من الشعور باليتم الوطني، فالانتماء للوطن هو حاجة إنسانية للاستقرار والأمان، وحينما نحافظ على تراثنا وبيئتنا، فنحن نحافظ على حاضرنا ومستقبلنا، بل وذاكرة ماضينا، وهو المعنى الذي يمنح حياتنا قيمة. إننا اليوم أمام خيار تاريخي، إما أن نستمرّ في إذكاء حالة الاغتراب التي تمزّق نسيجنا الاجتماعي وتجعلنا عرضة لصراعات مستقبلية وأدوات ووقود لصراعات الآخرين، وإما أن نقرّر بشجاعة الوقوف صفّاً واحداً أمام التحديات تجاه وطننا بعيداً عن التعصب الفئوي والصراع السياسي، وأن نفصل بين "الدولة" بالمفهوم السياسي السلطوي وبين الوطن أرضاً وانتماءً، وأن نجعل "الأمانة تجاه الأرض" بوصلتنا الأخلاقية التي تضع مصلحة البلاد فوق كل اعتبار حزبي أو فئوي.

إنّ بناء جيل يؤمن بأنّ الأرض أمانة مقدّسة هو الضمانة الوحيدة لتحسين المجتمع من دعوات التفرقة وتقديس الأشخاص. ولا شكّ بأنّ الأشخاص تتغيّر والأنظمة تسقط، لكن الوطن هو "الأرض والإنسان" والحفاظ عليه ضرورة لا بد منها، لضمان مستقبل أجيالنا وارتباطها بجذورها وأصولها. كما أنّ الأمانة تجاه الوطن التزام أخلاقي بخدمة الإنسان وتحقيق مصلحته. فاستعادة روح الانتماء هي استعادة لكرامة المواطن اليمني؛ لأنّ الوطن المعافى هو الضمانة الوحيدة لصحة الإنسان، وتعليم أطفاله، واستقرار حياته. إننا نحمي الأرض لنحمي أنفسنا، وننتمي للوطن لنضمن حقنا في مستقبل كريم. إنّ مصلحة الإنسان اليمني تكمن في وجود وطن معافى، وبناء هذا الوطن يبدأ من إيماننا بأننا نحن أصحابه الحقيقيون، وأن خدمته هي أسمى صور الخدمة للذات وللآخر، فبقدر ما نصون أرضنا، نصون إنسانينا، وبقدر ما نراعى أهلنا، نراعى وطننا.

كيف نستعيد الانتماء في زمن الحرب؟



أسامه اشرف هائل محمد



كيف يكون الإعلام بحضرموت مساهمًا في التعايش السياسي ونبذ خطاب الكراهية؟

ناصر بامندود

يقول نابليون بونابرت: "إنني أرهب صرير الأقلام أكثر من دوي المدافع" في إشارة إلى أن ما يسيطره الصحفيون والكتاب أكثر فتكًا من دوي المدافع والأسلحة. وشخصية مثل الإمبراطور الفرنسي نابليون بالدهاء الذي عرف عنه لن يقول هذا الكلام من باب التهويل بل من منطلق الإدراك العميق للحقائق. فقد يتسبب التحريض الإعلامي باشتعال فتيل الحروب والصراعات. وغالبًا قبل أي حرب عسكرية يسبقها حرب إعلامية، وما شهدناه مؤخرًا خلال الصراع السياسي في حضرموت من تحريض إعلامي والدفع بكراهية إلى تخوين الآخر وتراشق في الاتهامات والإساءة المباشرة للطرف الآخر ما بين أبواق أطراف الصراع من السلطة المحلية السابقة وحلف قبائل حضرموت والمجلس الانتقالي الجنوبي والمحسوبين عليه. كل ذلك يعد ظاهرة غير صحية، وتنم عن خطاب كراهية وتخوين وفرقة مجتمعية غير مسبوقة في تاريخ حضرموت!

الإعلام سلاح ذو حدين، فإما أن يكون بانيًا وموجهًا للخير والتنمية، وإما أن يكون هادمًا ومحرضًا ودليلاً إلى الشر والدمار. حضرموت التي ينظر إليها على أنها المحافظة التي يجنح أهلها للسلم وأنها أكثر المحافظات سلمًا وتعايشًا تقدم نموذجًا للتراحم والتعايش والتضامن المجتمعي. بيد أن الخطاب الإعلامي غير المسؤول يهدد السلم المجتمعي والتعايش بمختلف التوجهات السياسية، ويجعلها في حال الصراع قد تنسلخ عن جلدها التاريخي، إذ ينفخ الإعلام أبواق الاقتتال ما بين أبنائها!

لم تكتفِ أسماء إعلامية من المحسوبين على أطراف الصراع بالتحريض على قيادات الطرف الآخر، بل وصل الأمر إلى التحريض على زملائهم الإعلاميين، والدعوة لسجنهم والتنكيل بهم والإساءة المباشرة إليهم. ولا أدري ما هو حال الإعلاميين الذين يتخذون خطاب الكراهية بطريقة مبالغ فيها فهي فجور في الخصومة أم مزايدات

لأرباب النعمة أم هوس البحث عن التفاعل أو تحفيز الرأي الشعبي؟!

تفسر رئيس قسم علم الاجتماع بجامعة حضرموت الدكتورة إيمان اللحدي ظاهرة خطاب الكراهية بالقول: "التحريض الإعلامي في حضرموت يمكن تفسيره على أنه محاولة لتأجيج الصراع أو تعزيز التوترات بين الأطراف المختلفة، إذ تشهد حضرموت صراعات سياسية واجتماعية متعددة، وقد يستخدم الإعلام كأداة لتحريض الأطراف المختلفة ضد بعضها البعض". وتضيف اللحدي: "تعد حضرموت غنية بالموارد الطبيعية لهذا يستخدم بعض الإعلاميين أسلوب التحريض من أجل تبرير استغلال هذه الموارد". كما تحذر اللحدي: من أن التحريض الإعلامي يمكن أن يؤدي إلى عواقب مثل زيادة التوترات والصراعات، وتعريض حياة المجتمع للخطر.

تؤدي وسائل التواصل الاجتماعي وتقنياتها الحديثة دورًا محوريًا في إعادة تشكيل الفضاء العام وتعزيز بعض أنماط الخطاب، بما في ذلك الخطابات الإقصائية. وفي هذا السياق، كشفت دراسة صادرة عن مركز الجزيرة للدراسات، أعدها الدكتور عبد الله باخريصة بعنوان «دور غرف الصدى وفقاعات الفلتر في تعزيز خطاب الكراهية عبر شبكات التواصل الاجتماعي بحضرموت»، عن أن غرف الصدى وفقاعات الفلتر تسهم في تعزيز الانتماء الأيديولوجي للمستخدمين في حضرموت. فقد أظهرت نتائج السؤال الرابع أن 66% من أفراد العينة المنتمين إلى مجموعات على فيسبوك وواتساب وتليغرام ينتمون إلى دوائر تشترك في التوجهات السياسية والأيديولوجية ذاتها. وبذلك أجابت الدراسة عن الشق الأول من تساؤلها، مؤكدة أن هذه البنى الرقمية تعزز الاتجاهات السياسية والأيديولوجية لدى المستخدمين..

غير أن هذا التعزيز للانتماء الأيديولوجي لا يعني بالضرورة انتقاله التلقائي إلى إنتاج خطاب كراهية صريح. فالدراسة نفسها، الصادرة عن مركز الجزيرة للدراسات بإعداد الدكتور عبد الله باخريصة، تميز بين مستوى التعبئة العاطفية ومستوى التصلب التعصبي؛ إذ تشير إلى أن غرف الصدى وفقاعات الفلتر تدفع المستخدمين إلى التفاعل من منطلق الانتماء والحماس الجمعي، لكنها لا تثبت بصورة قاطعة أن هذا الحماس يتطور إلى تمسك مطلق برأي الجماعة أو إلى إنتاج مباشر لخطاب كراهية. وعليه، يمكن فهم أثر هذه البنى الرقمية في حضرموت بوصفه أثرًا يعزز الاصطفاف الأيديولوجي ويكثف التفاعل العاطفي، دون أن يحسم بشكل نهائي مسألة تحويله إلى خطاب إقصائي منهج.

تستحضر الذاكرة تجربة رواندا في مطلع تسعينات القرن الماضي، حين انزلت البلاد

إلى اقتتال أهلي وإبادة جماعية راح ضحيتها مئات الآلاف نتيجة تصاعد الصراع بين الهوتو والتوتسي وتآكل ثقافة التعايش، غير أن مرحلة ما بعد الحرب، بقيادة بول كاغامه المنتمي إلى أقلية التوتسي، شهدت مساراً سعى إلى إعادة بناء الدولة على أسس المصالحة الوطنية، وتجريم خطاب الكراهية، والحد من التحريض الإعلامي، بوصف ذلك شرطاً لإعادة ترميم النسيج الاجتماعي. وقد أفضى هذا التوجه إلى تحويل رواندا، في غضون سنوات، إلى نموذج إفريقي يُستشهد به في الاستقرار والتنمية. وإذا كانت تلك التجربة قد نجحت في تجاوز انقسام قبليّ حادّ أفضى إلى إبادة جماعية، فإن المفارقة تبرز حين نقرنها بحال حضرموت؛ حيث تتقاطع الأنساب، وتتجاوز القبائل في الساحل والوادي، بل تتشابه أسماء العائلات رغم اتساع رقعة المحافظة، ومع ذلك يتصاعد أحياناً خطاب التحريض بصورة علنية. والأدهى أن الانقسام السياسي يتسلل إلى داخل الأسرة الواحدة، حيث تتباين الانتماءات والتعاطفات بين أفراد البيت ذاته.

ومن الحلول المقترحة لتخفيف وطأة اللغة الإعلامية المتطرفة تجاه المختلفين معهم سياسياً، سن القوانين التي تنبذ خطاب الكراهية، وإقامة الدورات والورش للإعلاميين حول التعايش السياسي والعواقب الدينية والأخلاقية والمهنية للخطاب التحريضي، وتكثيف المحاضرات التوعوية في قسم الإعلام بجامعة حضرموت حول هذا الأمر، وفي حال تنفيذ دورات وورش حول هذا الموضوع من قبل مختصين ستظهر حلول أكثر للقضية. وفيما يتعلق بإمكانية سن قانون حول التعايش ونبذ خطاب الكراهية في ظلّ الأوضاع التي تعيشها البلاد، أوضح المستشار القانوني مصطفى البيض أنه "وفقاً لقوانين الجمهورية اليمنية فالمخرج القانوني في ضوء أوضاع البلاد منها غياب مجلس النواب الجهة التشريعية للبلاد، فالسبيل لمادة قانونية حول التعايش ونبذ خطاب الكراهية عن طريق التعديل أو الإضافة قوانين وبنود حسب الدستور اليمني". ويعزّز البيض وجهة هذا التوجه بالإشارة إلى تجارب إقليمية ناجحة، مثل سلطنة عُمان ومملكة ماليزيا، حيث سنّت قوانين تُعنى بتعزيز التعايش السلمي، مع كفالة حرية الرأي والتعبير واحترام التنوع السياسي والعرقي. ويُستفاد من هذه النماذج أن تنظيم المجال القانوني لحرية التعبير، دون التفريط في مسؤولية عدم الإضرار بالآخر، يمكن أن يسهم في بناء بيئة إعلامية أكثر توازناً، ويحدّ من انزلاق الخطاب العام نحو التحريض والاستقطاب.

ختاماً، من حقّ كل فرد أن يعتنق ما يشاء من أفكار سياسية، ولا يجوز تقييد حرية الرأي ما لم تتحول إلى اعتداء على القيم الجامعة أو مساس بحقوق الآخرين. غير أنّ هذا

الحق لا يبرر التحريض على أي مكوّن من مكوّنات المجتمع أو إشعال فتيل الفتنة بين أبناء المحافظة الواحدة؛ فحرية التعبير تقف عند حدود المسؤولية، والإعلام أمانة أخلاقية ووطنية. إنّ التحريض على تمزيق النسيج الاجتماعي تحت غطاء الرأي يعكس فهمًا قاصرًا لمعنى الحرية، لأن الكلمة في الفضاء العام فعلٌ مؤثر يصوغ الوعي ويعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية. ومن ثمّ، فإن الإعلام واجهة حضارية تتطلب كفاءات واعية تدرك أثر الخطاب ووزنه، وتوازن بين حق التعبير وواجب الحفاظ على السلم المجتمعي، ليظل الاختلاف مصدرَ ثراءٍ لا مدخلًا للفرقة

كيف يكون الإعلام بحضرموت مساهمًا في التعايش السياسي وتبذ خطاب الكراهية؟



جهاد النهدي



مسرح الدُّمى في عدن: جسرٌ للسلام

فاطمة رشاد

خلف الستائر المخملية القديمة في مديرية "الشيخ عثمان"، وبينَ طيّات الذاكرة العدنية الثرية، تكمن فلسفةٌ تقول: إنّ الخيط الذي يحرك الدمية الخشبية أو تلك التي صنعت من قماش، قادرٌ على تحريك سواكن المجتمع. وإنّ الفكر الذي يُبثّ بلسان "عروسة" بسيطة، هو نفسه الفكر الذي يبني لبنات الأمّة الصالحة. ويأتي سؤالنا المهم هنا: كيف لمسرح الدُّمى أن يكون جسراً للسلام في نفوس أطفالنا؟ وجوابه أنّ مسرح الدُّمى أداة تعليمية قوية إذا ما استُغلت في إرساء مبادئ السلام، وتشكيل الوعي، والعمل على تعزيز الترابط المجتمعي، فعلى الجميع أن يدرك أنّ لهذه الخشبة وتلك الدمية أثراً كبيراً في قيادة وعي المجتمع وتغيير سلوكه.

لنعدّ إلى البدايات الأولى واهتمام رواد مسرح الدُّمى، وخاصة في محافظة عدن، لا سيما مع تجربة "الكركوز"، أو هكذا كان يُدعى في فترة الستينيات. فقد قدّم عروضه بهذا الاسم الأستاذ شمسان حنبص. وعاشوا تلك الفترة يتذكرون كيف كانت فكرة الكركوز هذه وسيلة لمحاربة المحتلّ البريطاني في عدن. ولنقترب أكثر، وفي عشرين عاماً من تقلب صفحات الواقع في عدن، ندركُ يقيناً أننا أمام سلاح ناعم يُسمّى الوعي المهمل، كان، ولا يزال، قادراً على صياغة السلام في عقول أطفالنا، قبل أن تتلقّفهم خطابات التشطي السياسي.

ولا نُغفل تجربة الرائد الراحل أبو بكر القيسي في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، فهذا الرجل عمل على إرساء أسس مسرح الدُّمى في محافظة عدن، وكانت دُمَاه جسراً للتواصل مع الأطفال آنذاك، فقد ترك في أنفسهم ذاكرة لا تُمحي أبداً. لم تكن عدن تستورد الوعي، بل كانت تصنعه، عندما كان مسرح الدُّمى بمنزلة "البرلمان الصغير" للأطفال. هناك تعلّم الجيل أنّ الاختلاف في "أشكال الدُّمى" هو سرّ جمال العَرَض، وأنّ التناغم بين المحرّك والدمية هو سرّ النجاح. هذا الإرث كان "دستوراً سلوكياً" غير مكتوب. صهرَ أطفال عدن في بوتقة التعايش والتسامح، غير أنّ الأحداث التي عاشتها اليمن من صراعات وحروب جعلت الأجيال تنشأ وفي داخلها فجوة وصراع، بل إنّنا نواجه اليوم أفكاراً للتفرقة التي زرعتها هذه الصراعات. فلماذا نعتبر مسرح الدُّمى وسيلة لتعزيز السلام والتماسك المجتمعي بين أوساط

الأطفال؟ الإجابة تكمن في "الحياد العاطفي"، في بيئة مشحونة كالتّي نعيشها، يرفض الطفل (والكبير أحياناً) التوجيه المباشر، لكنه يستسلم تماماً لسحر الدمية، فهي موجه لتغيير السلوك لدى الأطفال. هي الوسيلة الأقوى، ولها أثر كبير عليهم. وتُشير دراسة أجرتها منظمة Borders puppeteers without في مناطق النزاعات أنّ الأطفال يتقبّلون رسائل التسامح والتعايش من الدمية بنسبة استجابة تفوق التوجيه المباشر بثلاثة أضعاف، والسبب يكمن في أنّ الدمية بلا تاريخ، فهي لا تنتمي لطرف ضدّ آخر في نظر الطفل، مما يجعلها رمزا للسلام المطلق.

وتمثّل الدمي أدوات تعليمية ونفسية فعّالة تُساعد الأطفال على التعامل مع التجارب الصعبة بطريقة آمنة؛ إذ تخلق مسافة بين الطفل والتجربة الواقعية للصدمة أو التوجيه المباشر. تقول الاختصاصية النفسية ليندا جودمان: "إنّ الدمية تسمح للطفل بإنشاء مسافة آمنة بينه وبين الصدمة أو التوجيه، فهو لا يتلقّى أمراً من شخص أكبر منه، بل يشاهد تجربة تعرضها الدمية بسلاسة، فيتعاطف معها ويتبنّى سلوكها تلقائياً". ويتّضح من تعبير جودمان، أن استخدام الدمي يوفّر وسيلة للتعلّم الاجتماعي والانفعالي، حيث يكتسب الطفل مهارات التعاطف والتقليد الإيجابي للسلوكيات من دون شعور بالضغط أو الخوف.

عندما تعرض الدمية معاناة "الآخر"، أو تتحدث عن قيم التسامح بلهجة مبسطة للأطفال، تكسر جدران الكراهية والنمطية، وتُعلّم الطفل أنّ السلام فعل يومي يبدأ بالتعاون وممارسات بسيطة، مثل تقاسم رغيف الخبز في عرض مسرحي. وفي هذا السياق، يصبح المسرح وسيلة تعليمية وسلوكية متواصلة، حيث لا يكتفي الطفل بالمشاهدة، بل يتعلّم سلوكيات تنتقل عبر الأجيال. كما يؤدّي المسرح دوراً مهماً في تعزيز التماسك الأسري؛ إذ يجمع الأب بابه أمام العرض، فتذوب الفجوة بين الأجيال، ويعود الجميع إلى البيت محمّلين بقصة واحدة، وقيمة مشتركة، وحلم مشترك.

فتهميش دور مسرح الدمي في عدن اليوم هو "تهميش للمستقبل"، ونحن لا نطالب بترميم جدران المسارح فحسب، بل نطالب بترميم عقول المجتمع ليفهم الرسالة التي تقدّمها الدمية على خشبة المسرح. لهذا إذا استمرّ تهميش مسرح الدمي في عدن، فإنّ في ذلك تفريطاً في واحدة من أقوى أدوات التحصين المجتمعي. نحن لا نطالب بإعادة المسرح من أجل الفنّ فقط، بل من أجل خلق جيل يمتلك مناعة ضدّ التحريض، وعقلاً يؤمن بأن "الخيوط" الذي يربط الدمي بعضها ببعض، هو نفسه الخيط الذي يربط أبناء هذه المدينة بعضهم ببعض.

إننا ندرك جيّداً أنّ بناء الأمّة يبدأ من "مسرح الطفل"، حيث نزرع في عقولهم أنّ الخيوط التي تحرّكنا يجب أن تكون خيوط "الانتماء والعمل"، لا خيوط "التبعية والفرقة"، وأنّ

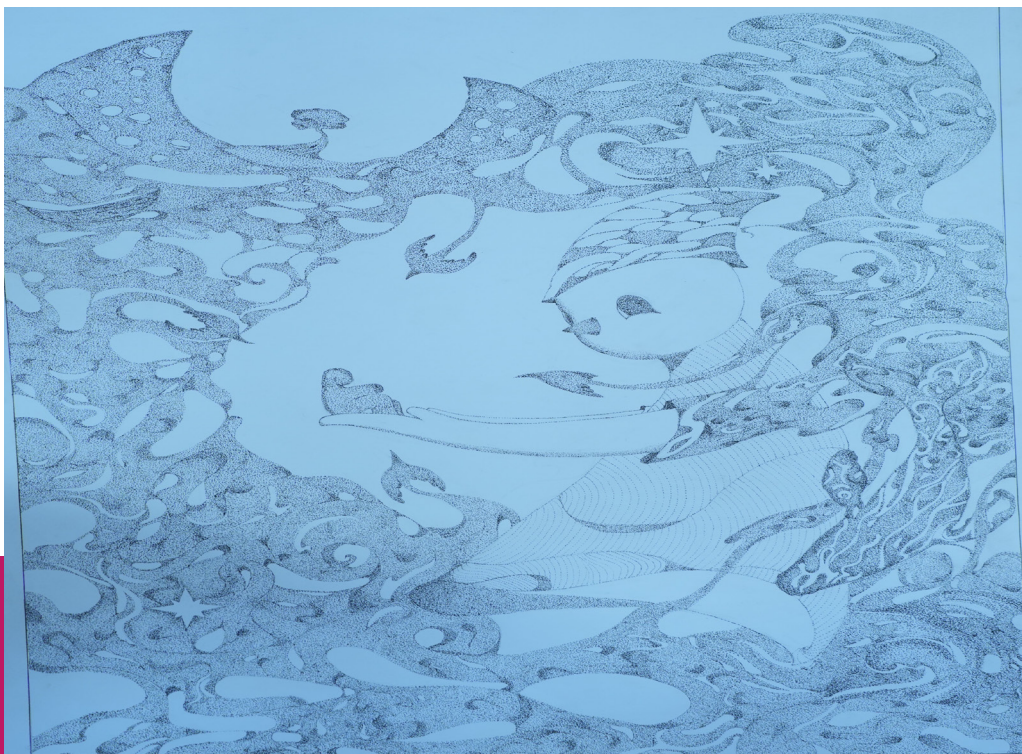
استعادة هذا الفن تعني استعادة القدرة على صناعة جيلٍ يمتلك مناعةً ذاتيةً ضد العنف، ويؤمن بأن الحوار هو الخيار الوحيد، تمامًا كما تُحل عقد المسرحية في فصلها الأخير.

وهناك أخيرا حقيقة لا بد أن نضعها نصب أعيننا، إذا أردنا أن نكون أمةً متماسكة، فلنبداً من تلك "الخشبة"، فدعونا نُعيد الخيوط لأيدي المبدعين، ولنثق بأنّ فكرًا يُغرس في روع طفلٍ يشاهد دُميةً تتسامح، هو أقوى وأبقى من ألف خطابٍ سياسي.

مسرح الدُّمى في عدن- جسرٌ للسلام



امجد ولهان طه عبد القادر



من أجل تعزيز الصورة الإيجابية للمرأة في الأمثال الشعبية اليمنية

نورا فهد

تُعدّ الأمثال الشعبية اليمنية أحد أبرز مكوّنات الذاكرة الثقافية للمجتمع اليمني؛ إذ تمثّل خلاصة التجربة الإنسانية والاجتماعية للمجتمع عبر العصور. فهي خطاب ثقافي يعكس منظومة القيم، وطبيعة العلاقات الاجتماعية، والتصورات الذهنية التي تُشكّل وعي الأفراد والجماعات. وقد اكتسبت الأمثال قوّتها من ارتباطها بالواقع المَعيش، ومن قدرتها على التعبير المكثّف عن التجارب والخبرات الإنسانية، حتى أصبحت مرجعًا اجتماعيًا يُحتكم إليه في تفسير السلوك وتقويمه.

وتزخر الذاكرة الشعبية بكَمٍّ واسع من الأمثال التي تتناول مختلف جوانب الحياة. وقد كان للمرأة اليمنية نصيب كبير في هذا الإرث، غير أنّ كُفّة الأمثال التي تُسيء إليها أو تنتقص من شأنها، أكثر من تلك التي تُنصفها وتُبرز مكانتها. وقد انعكس هذا الاختلال على تشكيل وعي اجتماعي لا يعكس بالضرورة واقع المرأة اليمنية ودورها الفاعل في ميادين الحياة المختلفة. ومع ذلك، يمكن أن تكون الأمثال في الوقت نفسه، بوصفها مرآة تعكس الصور السلبية، مدخلًا لاستعادة الاعتبار، وإعادة التوازن في الخطاب الشعبي. ومن هذا المنطلق، يسعى هذا المقال إلى تسليط الضوء على الأمثال الشعبية اليمنية التي قدّمت صورة إيجابية للمرأة وأبرزت مكانتها، في محاولة لإعادة تشكيل النظرة المجتمعية تجاهها وتعزيز التماسك الاجتماعي.

رغم احتواء الذاكرة الشعبية على منجم من الأمثال الشعبية المتعلقة بالمرأة، فإنك حينما تبحث فيها لن تجد سوى حفنة قليلة من الأمثال المنصفة لها. تُشير دراسة بعنوان "صورة المرأة في الأمثال اليمنية" إلى أنّ نسبة الأمثال المنصفة للمرأة لا تتجاوز 2٪، مقابل 98٪ للأمثال ذات الطابع السلبي، وهو ما يتّسق مع ما رصده الباحث في الموروث الشعبي، عبد الجبار جويبر المَقرمي، من ندرة في الأمثال المنصفة للمرأة مقابل عشرات الأمثال السلبية والمُجحفة في حقّها، في بحثه وجمعه للأمثال الشعبية المتعلقة بالمرأة اليمنية من الأجداد وكبار السن.

هذه المفارقة الكبيرة تُظهر مدى حجم المشكلة التي يواجهها المجتمع والذاكرة الشعبية اليوم، فالانتشار الواسع للأمثال المسيئة للمرأة، في مقابل قلة في الأمثال

المنصفة لها يعني استمرار التهميش والإقصاء بحق المرأة، وهذا بدوره ينعكس سلباً على تماسك المجتمع.

يعود الجانب الأبرز لهيمنة الأمثال السلبية إلى طبيعة المجتمع اليمني، فقد كان مجتمعاً أبوياً تُهيمن عليه مركزية الرجل في المجالات كافة، ويهْمش المرأة ويحصر دورها في القيام بالمهام المنزلية والتربية فقط. يقول الدكتور علي عزي، الحاصل على درجة الدكتوراه في الكفاءة التداولية في الأمثال اليمنية: "إن المثل الشعبي لا ينشأ في فراغ، بل يعكس السياق الاجتماعي والثقافي الذي أنتجه، فالمجتمع اليمني في مرحله التقليدية كان مجتمعاً يقوم على مركزية الرجل في اتخاذ القرار وتحمل المسؤوليات العامة، بينما ارتبط دور المرأة غالباً بالمجال الأسري، وهو ما انعكس على طبيعة الأمثال المتداولة وصورتها عن المرأة".

بين الأمس واليوم، تغيّرت معالم الواقع كثيراً، استطاعت المرأة اليمنية أن تُحدث نقلة نوعية في إثبات حضورها وأدائها الفاعل في مختلف المجالات، إلا أنّ استمرار تداول هذه الأمثال التي تعكس سياقات تقليدية يعمل على تشويش الوعي المجتمعي ويحدّ من جودة أداء المرأة.

ولا تكاد تخلو المواقف اليومية والتعاملات مع النساء من ذكر الأمثال السلبية التي تنتقص من أدوارهن، وهو ما يُعد انعكاساً للفكر الجمعي المعبّر عن السياق الاجتماعي الذي يتناقل تلك الأمثال جيلاً بعد آخر، من دون التوقّف لبرهة للتفكير في مدى صحة ما تتداوله ألسنتهم، ولو تأملوا فيها، لوجدوا أنّها أمثال لا تعبر عن حقيقة المرأة، بل تنقل وعي المجتمع وتصوراته المسبقة عن المرأة.

ومن الأمثال الدالة على ذلك: "شاور المرأة وخالفها"، وهو مثل يصوّر عدم الثقة بقُدرة المرأة على اتخاذ القرار، ولا يعبّر بالضرورة عن حقيقة موضوعية، بل عن تصور اجتماعي نشأ في سياق تاريخي كانت فيه الخبرات العامّة محصورة بالرجال. أما المثل "هَمّ البنات حتى الممات"، فهو لا يعني أنّ المرأة مصدر إشكال، بل يعكس شعور المجتمع بالمسؤولية تجاه حمايتها، ويكشف عن طبيعة النظام الاجتماعي الذي يربط شرف الأسرة بحماية المرأة.

هذه النماذج وغيرها كثير تؤكّد أنّ الأمثال السلبية ما هي إلاّ تصورات غير صحيحة تبلورت نتيجة الثقافة المجتمعية التي اعتادت على تنميط دور المرأة وكبح محاولاتها في النهوض وتطوير المجتمع، وفي استمرار تداولها يخسر المجتمع نصفه الثاني الذي لا يقوم إلاّ به.

إنصافاً لا يجد طريقه إلى التداول

إنّ قلة حضور الأمثال المنصفة للمرأة في التعاملات اليومية لا يعني مطلقاً غيابها في التراث، بل يعود في الأساس إلى عدم تداولها وتوثيقها من المهتمين بالتراث والأكاديميين. وفي هذا الصدد يؤكّد الدكتور علي أنّ غياب هذه الأمثال يعود إلى ضعف تداولها مقارنة بالأمثال ذات الطابع التحذيري أو النقدي، كما أن الدراسات العلمية المتخصّصة في الأمثال اليمنية لا تزال محدودة نسبياً، مما أسهم في ضياع كثير من الأمثال المنصفة للمرأة أو بقائها حبيسة الذاكرة الشعبية.

وهنا تبرز أهمية تداول هذه الأمثال المنصفة على الصعيد الشخصي والعام، فبقاؤها حبيسة الذاكرة يعني اندثارها بعد وقتٍ قصير، وفقدان جزء مهمّ من الموروث الشفهي قد تفقد معه النساء ثقتهن بمجتمعهن.

ومن يتتبّع كثيراً من هذه الأمثال الشعبية المنصفة للمرأة، فسيجد أنها تغطّي نواحي مختلفة من حياتها وقدراتها وصفاتها وأدوارها الهامّة، ففي حين تنتشر الصورة النمطية عن المرأة اليمنية في بعض الأمثال الشعبية بأنّها ضعيفة وغير قادرة على فعل شيء بمفردها، برزت أخرى تُنصف شجاعته، وتصفها بأنّها تعدل مئة رجل، واصفةً قوة تحمّلها وصبرها بصبر الجبال، ومن هذه الأمثال: "صُفّة ولا مئة دِقن"، و"المرأة تصبر صبر الجبال". وإن وصف المرأة في هذه الأمثال بالشجاعة والصبر ليس بأمر غريب، فهي أوصاف استمدّتها المرأة اليمنية من واقعها وبيئتها التي تعيش فيها، وعودة ظهور هذه الأمثال اليوم يعزّز ثقة النساء بأنفسهن ويخلق وعياً مجتمعياً يحترمهن.

وقد أنصفت الأمثال المرأة عندما رأت أن وجودها شرط أساسي لاستقرار الحياة الأسرية، وأن البيت لا يستقيم من دونها، ومن هذه الأمثال: "المرّة عمود البيت"، "بيت بلا مرّة خراب"، و"البيت المرّة والحبة الذرة"، "من عاد أمّه لا تهّمه". إنّ الربط بين البيت ووجود المرأة في هذه الأمثال يُظهر اعتراف المجتمع بأنّ استقرار المجتمع يبدأ من تمكين المرأة والاعتراف بوجودها داخل الأسرة التي تمثّل نواته، لذا فإن إعادة هذه الأمثال إلى الواجهة أمر ضروري لترميم النسيج المجتمعي.

كما أنصفت الأمثال المرأة برفع مكانتها وتقديم القيمة الإنسانية والسمعة الطيبة لها فوق أي اعتبارات ماديّة، وتشبيهها بالأرض الخصبة التي ترد للإنسان ما يبذرهُ أضعافاً مضاعفة، فتقابل الإحسان بعباء لا محدود، ومن هذه الأمثال: "بنات الأصول خير من المال والمحصول"، و"جربة ترد الذري". قدّمت هذه الأمثال المرأة الصالحة على المال وشبّهتها بالأرض المعطاءة التي تحتاج لمن يرويها بالتقدير والاعتراف بأهمية أدوارها في المجتمع لتستمر في العطاء.

ولم تغفل الأمثال الشعبية عن انصاف حنكة المرأة اليمنية في التدبير الذي يوفر

للأسرة استقرارًا معيشيًا، مفضلةً راحة عقلها على التجارة الربحية، ومن هذه الأمثال: "مرة مدبرة ولا تجارة من عدن"، و"مرة مدبرة ولا جربة مثمرة". في هذه الأمثال اعتراف واضح من المجتمع برجاحة عقل المرأة وقدرتها على الإدارة المالية والتدبير الاقتصادي، واليوم هناك حاجة ملحة لإبراز هذه الأمثال لتمكّن المرأة من مواجهة تهميش دورها في تنمية المجتمع.

هذه الأمثال المنصفة غالبًا ما تُستخدم في سياقات الإشادة والتقدير، بينما تُوظف الأمثال السلبية في سياقات التحذير والتوجيه، مما يجعلها أوسع تداولًا وأكثر انتشارًا، الأمر الذي جعل من إبراز الأمثال المنصفة اليوم ضرورة ثقافية للحفاظ عليها من الاندثار وعلى المرأة من التهميش وعلى المجتمع من التفكك.

نحو تماسك مجتمعي

على مرّ العصور، أدّت الأمثال الشعبية دورًا كبيرًا في تشكيل الوعي المجتمعي؛ لأنها مرجع ثقافي تُرجمت كلماته أجيالٌ متعاقبة إلى تفكير وسلوك، فكما عملت الأمثال السلبية على خلق صورة نمطية للمرأة وخلفت شرخًا في المجتمع، فإن إبراز الأمثال المنصفة لها يعمل على ترميم هذا الشرخ ويدعم تماسك المجتمع. ويرى الدكتور علي أن إبراز الأمثال المنصفة للمرأة يُسهم بشكل مباشر في تعزيز التماسك المجتمعي؛ لأنه يُعيد التوازن إلى الصورة الثقافية للمرأة، وذلك بتعزيز احترام المرأة، ودعم استقرار الأسرة، وتقوية الشعور بالعدالة الاجتماعية بالإضافة إلى تعزيز التعاون بين أفراد المجتمع.

ويذهب الباحث في الموروث الشعبي عبد الجبار المقرمي إلى أن نشر الوعي بين الشباب والأجيال الصاعدة يمثل خطوة محورية في إعادة تصحيح الصورة الثقافية للمرأة، مشددًا على ضرورة التوقف عن ترويج الأمثال التي تهمّش المرأة أو تُضفي عليها صفة الدونية، في مقابل تعزيز خطاب ثقافي يعترف بها شريكًا كامل الحقوق في العمل، وصنع القرار، والمشاركة في الشأن العام.

وإن إنصاف المرأة ثقافيًا يفتح المجال أمامها للقيام بدورها المجتمعي من دون عوائق نفسية، ما ينعكس في تعزيز "اللمّة" الأسرية والعائلية، ويدفع المجتمع نحو نهضة قائمة على الشراكة الحقيقية، فالمجتمع الذي يُقدّر جميع أفرادها، رجالًا ونساءً، يكون أكثر قدرة على تحقيق العدالة الاجتماعية.

ختامًا، يكشف استعراض واقع المرأة في الأمثال الشعبية اليمنية التأثير الكبير للسياقات الاجتماعية والثقافية التي أسهمت في انتشار واسع للأمثال السلبية والمجحفة بحقها، إلا أن هذا الواقع لا ينبغي قطعًا وجود أمثال تحمل دلالات إيجابية

أنصفت المرأة واعترفت بدورها المحوري ومشاركتها الفاعلة في المجتمع. وعلى ذلك، تتمثل مسؤولية المجتمع اليوم في إبراز هذه الأمثال المنصفة للمرأة وتداولها والاعتزاز بها جزءا من التراث لحماية المرأة من التهميش والخذلان، فإنصاف المرأة في الأمثال الشعبية يمثل حجر الأساس لإنصافها في الواقع، فالمرأة نصف المجتمع، وفي إنصافها تحقيقٌ لتمامه.

من أجل تعزيز الصورة الإيجابية للمرأة في الأمثال الشعبية اليمنية



هديل محمد جواد الاغبري



هل بإمكان الفنون والإبداع أن تحمي المجتمع من التفكك؟

عمران مصباح

إذا كانت السياسة ترسم المصير، فإن الثقافة تشكّل ملامح المجتمع. ومن تداخل الثقافة والسياسة، يُولّد مستقبل البلدان، فتنشأ الصورة الذهنية عند الآخر. هذا الثقل الذي تمثّله الثقافة، وعلى رأسها الفنون والإنتاجات الإبداعية، بات يتضاعف يوماً بعد آخر؛ لأنّها من أهم العوامل التي تُعطي انطبعا عامّاً عن الشعوب. ففي التاريخ القديم، كانت سُمعة الإمبراطوريات ترسمها المعارك البطولية وشكل القصور التي يعيش فيها الملوك، والهيبة الوهمية التي صاغتھا القصص الأسطورية. تطوّرت المجتمعات، ومع كل خطوة تقطعھا البشرية، تتغيّر الذهنية التي يُنظر منها إلى البلدان، حتى باتت الإنتاجات الثقافية والإبداعية، هي المسألة الطاغية في تشكيل الهوية؛ إذ تمثّل التعبير الأبرز عن شعب معين، فقد لا يعرف الشخص أي تفاصيل عن كولومبيا، لكنه سبق أن سمع، بشكل أو بآخر، باسم ماركيز أو شاكيرا، ولا يمكن للفرد أن يسافر إلى باريس من دون زيارة متحف اللوفر، وما مصر في وجداننا لولا تراكمھا الفني؟! أما فلسطين قد تحضر كثيراً في عقول العرب، لكن إذا أراد أحدهم التعريف بها، فلا يمكنه التغافل عن استحضار شعر درويش، حتى بيروت عندما أرادت التعريف بجمالھا، أرسلت صوت فيروز تحيةً وصلت إلى كلّ منزل. كم شخصاً في العالم يحفظ اسم رئيس البرتغال؟ لكن الجميع يعرف كريستيانو رونالدو، كذلك اليمن، لا يمكن النظر إليها بعيداً عن إرثھا الجمالي. هذه الأهمية التي اكتسبتها الثقافة، بما في ذلك الفنون، إلى الحدّ التي أصبحت تُحدّد قيمة البلدان في الحياة المعاصرة، فهل بإمكانھا تشكيل فارق ملموس؛ من أجل حماية المجتمع من التفكك؟

قبل بدء البحث عن إجابة، وجب التوضيح أنّ القصد بالثقافة الإنتاجات الإبداعية والفنية التي تندرج ضمن المجال الثقافي، الإنتاجات التي تُسهم في تشكيل تراكم ذهني يتحكّم في وجدان المجتمعات، ويخلص مع الوقت إلى حصيلة ثقافية متصلة بمعظم التفاصيل الهيكلية في المجتمع، من أصغر جزء في البنية الداخلية إلى أبرز ملامح في الشكل الخارجي، ومن السلوك الشخصي البسيط إلى عموم الوعي الجمعي،

بل تحدّد كلّ اتجاه يتمّ المضي فيه بالتحديد في الحياة الحديثة، فالثقافة ركن أساسي في التركيبة الفكرية للشعوب، هذا الاشتباك، أو بالإمكان التعبير عنه: بالاختراق العميق في قوام المجتمع من قبل العناصر الثقافية، لا بدّ أنّه يستطيع المساهمة في تماسك الأمم، مهما تعرّضت لأضرار جسيمة كالحروب الأهلية مثلاً.

تعيش اليمن أسوأ أزمة إنسانية في العالم، ضربت عمق المجتمع ونسيجه، ووصلت إلى وسطه الأسري، ونالت من تقسيمه الجغرافي. ففي الأسرة قد تجد هناك شخصاً ضد أخيه. بينما توزّعت المحافظات تحت سلطات مختلفة، وشمل الانشقاق كلّ البنى، بما فيها التنوّع الطائفي الطفيف، أو حتى التفرقة بالنّسب أو باللهجات. لكن ثمة مشتركات ثقافية ما زالت تُسيطر على إحساس الكيانات المتناقضة والأشخاص المختلفين، فالعائلة التي توزّعت أيديولوجياً، وأصبح فيها كل شخص مع طرف، يقيم أحدهم في مدينة، بينما الآخر في مدينة أخرى، قليلة هي الأشياء التي ما زالت تجمعهم، من بينها تلك الأغنية الجميلة لعلّي الأنسي أو أبو بكر سالم، والتي تنال من مشاعرهم العاطفية بالمستوى نفسه، وطبعاً، هذا ليس بجديد، أو خصوصية تحمله الحالة اليمنية، فالارتباط الفني استمر في مجتمعات أشدّ تجزؤاً، مثل لبنان مثلاً، الذي انقسم فيها المجتمع بشكل طائفي مرعب إزاء الحرب الأهلية، بينما لم يكن يجمع الفرقاء المتحاربين شيء، سوى الاستماع لأغاني فيروز.

المشهد الحربي أيضاً، أحال الجغرافيا اليمنية إلى مناطق نفوذ وجهات وعصبيات، ومع ذلك، ثمة محافل فنية جميلة، تُعيد جمع المساحة تحت راية واحدة منها كرة القدم، فما إن يسجل ذلك الشبل الذي يمثل المنتخب اليمني هدفاً في مرمى منتخب آخر حتى يحتفل الجميع من دون السؤال عن منطقة اللاعب. وبينما يرفع منتخب الناشئين الكأس، تخرج كلّ المدن إلى الشوارع للاحتفال، وهو ما حصل سابقاً في احتفاء شبابي مهيب، تجاوز الانقسام الذي كان يراد ترسيخه استغلالاً لوضع مفكّك. وهذه أيضاً ليست المرة الأولى في الحياة، بل سبق أن فعلت كرة القدم ما هو أعظم، فقد كانت سبباً في إنهاء حرب طويلة في ساحل العاج. فمن لا يعرف القصة الشهيرة التي كان بطلها دروجبا، حين استغلّ تأهل بلده للمشاركة في كأس العالم 2006م، ووجّه خطاباً جامعاً للشعب والأطراف المتحاربة، يتمنّى منهم بأن يتوحدوا خلف المنتخب، في حديث أثار شجون محلية وضجة عالمية، لتُقام بعدها مباراة في إحدى مدن البلاد لأول مرة، وكانت البذرة التي أرسّت السلام، وأنهت حرباً استمرت لسنوات. الشواهد التي تقول: إنّ المجالات الثقافية قد تُزيل التمزّق، ولو مؤقتاً أو بشكل جزئي، عدة، فمثلاً بالفن، استطاع المؤلف الموسيقي محمد القحوم، صاحب فعاليات السمفونيات التراثية، في حفلاته أن يجمع كل المجتمع متجاوزاً الفرز الجهوي

والمناطق في الداخل، فاليمني الذي حضر ذهب؛ لكي يطرب بالفن اليمني، والأجنبي الذي أتى استمع إلى معزوفات تمثل الثراء المتنوع في البلد. أيضًا، هناك مشاركون يمنيون سواء كانوا شعراء، أم فنانيين غنائيين، يذهبون للبرامج العربية باسم اليمن، يحتشد خلفهم دعم يماني، ينشدون بوصفهم يمنيين، ويتلقون المدائح باسم اليمن، ناهيك عن المتنافسين بالجوائز الأدبية والثقافية، سواء من يحوزون عليها، أم من يكتفون بالترشح لها. كل هؤلاء وغيرهم لا أحد منهم يجرؤ على القول بأنه يمثل فئة معينة، أو منطقة محدّدة، ليس لوعي ذاتي بأهمية الوطن، ولا لأن الجهات الخارجية لا تعترف سوى بهوية واحدة، بل لأن التمثيل الثقافي يُجبره على الترفع عن العصبية الصغيرة. وهذا التمثيل لا يتم أمام الآخر، بل مع الداخل أيضًا، فمن الصعب قبول شاعر عصري، أو فنان مناطقي، وفيما إذا كان هناك فرد فئوي، فمهما بلغ إبداعه، فلن يكون سوى شخص فئوي، قبل أي تعريف آخر. أيضًا، في سياق الثقافة والمجتمع، لا يمكن تجاهل أن أول خطوة توحيدية بين شطري اليمن كانت عبر اتحاد الأدباء والكتاب الذي جمع الأدباء في الشطرين قبل سنوات من الوحدة، ولا يمكن نسيان أن أهم محطتين يمينيتين عبّرتا عن تطلعات المجتمع ثورتا سبتمبر وأكتوبر، وقد أسهم في نجاحهما وخلودهما فيما بعد الإنتاج الفني والأدبي الذي رافقهما.

التعبير الفني ومساهمته في تماسك المجتمع، له دلائل لا حصر لها، من أبرز تلك القرائن لوحة "غرنیکا" في الحرب الأهلية الإسبانية، والتي أصبحت مقدّسة عند الإسبان، ومنها يمكن معرفة وزن الفنان، وأثره على المجتمع في مقابل كل قياداته ونخبته. ففي ثلاثينات القرن الماضي، وبينما اشتعلت حرب أهلية في إسبانيا، انتهت بوصول فرانكو للحكم، واستمر لقراءة أربعة عقود، أي ما يقارب حياة جيل ونصف، لكن ما إن أفل، حتى بات اسمه مقروناً بالعار، للحد الذي باتت أبرز أندية كرة القدم الإسبانية المتنافسة تتصارع في إثبات أن فرانكو كان داعماً لخصمها، وتنفي أي صلة لها بالحاكم الإسباني الشهير وفترته. بينما الإسبان لا يمجّدون شيئاً من فترة الحرب، أو ما بعدها، سوى لوحة "غرنیکا" الخالدة، التي رسمها بيكاسو بعد قصف منطقته، وسماها باسم تلك المنطقة، لتعرف فيما بعد باللوحة التي جمعت الإسبان؛ لأنهم أصبحوا يجدون أنها تعبّر عن تلك المأساة، وتجسّد حقبة من المعاناة، بينما يتخذونها مرجعاً للاتفاق، فكلّما بدر اختلاف نخبوي أو شعبي، التفت الإسبان إلى تلك اللوحة، وتذكروا بأن عليهم أن لا يقتتلوا مرة أخرى.

صحيح أنه في اليمن، وفي هذه الحرب المستمرة منذ أعوام، لم تولد مادة فنية رفيعة تجسّد الواقع، ويجدها الجميع بأنها عمل يعبّر عن توق مشترك، وتحاول الدفع نحو الانتقال إلى مرحلة تالية، ما زال هناك تراكم سابق يجمع حوله المجتمع، ومحمي من

التدمير الحربي، فبعد سنوات من فرض خطابات من خلف التاريخ، وصعود الأصغر إلى المنصات، ما زال المجتمع يفاخر بأنه من بلاد عبد العزيز المقالح، ويتبادل أبيات البردوني، ويجد بأن أحمد فتحي يمثل، وتمسكاً بأصول بلقيس وأروى، وفي المساء يقترح أغاني محمد سعد لفنانة شابة في البعيد، تبحث عن شيء يماني؛ كي تعيد غناؤه على حسابها في تيك توك. وما إن تحضر أغنية "دا اللي حصل لي" حتى يحاول التعريف من جديد بكاتبها وملحنها الحضرمي الذي جاب الأرجاء، بينما يشعر بالخل ما إن يتلقى مجاملة صغيرة من أجنبي يشير إلى ما هو ضئيل، وما يجب أن لا يطغى، ولا أن يظهر باسم اليمن، هذا الاحتشاد خلف ما هو فني وإبداعي، يكفي للقول بأنه يجعل المجتمع متماسكا، ولو رمزيًا أو وجدانيًا.

طبعًا، لا شك بأن هناك مشتركات ثقافية تحافظ على المجتمعات من التفكك، لكن قد يكون ذلك لصالح "الشوفينية" الوطنية. وهنا قد تستجد مشكلة، وكشخص يشعر بأنه يجب تجاوز حتى الهوية الوطنية، إلى فضاء أمدّ من الحدود المحلية، فالاحتشاد الوطني ليس المبتغى الذي يفترض التوقف عنده، بل الانتماء الإنساني الواسع. لكن هذه الأخيرة تأتي في مرحلة تعقب الوطنية، فلا يمكن الانتقال من العصبية الضيقة، إلى نظرة متساوية لكل المجتمعات في خطوة واحدة، بل كمرحلة أولية يبدأ الإنسان بالتخلّص من المحدّدات الصغيرة لصالح التفكير الوطني العام. وذلك سيسهّل فيما بعد لانتقاله إلى مرحلة أخرى، ويجعله ينظر للعالم بتفهم أكبر. فالشخص قبل أن يذهب للإعجاب بلوحات دا فينشي، يفترض أولاً أن يرى إنتاجات هاشم علي بمعزل عن منطقته وتفكيره وتوجهه، وهكذا مع كل الفنون. بالمقابل، عندما تشدّك لوحات هاشم علي لقيمتها الإبداعية، ستذهب تلقائيًا للإعجاب بلوحات دا فينشي بعيدًا عن أي تفاصيل. أي أن الامتلاء بالثقافة المحلية يأتي مبدئيًا لجعل المجتمع متماسكا من التجزؤ الداخلي، ومن ثم، بالإمكان الذهاب به إلى إنسان ينحاز إلى الإنتاج الإبداعي العالمي. فالوطنية ليست المرحلة الأخيرة، بل خطوة تُسهم في صناعة إنسان سويّ إلى حد ما، وجاهز للمرحلة التالية. وبالتالي، عند الوصول إلى شخص بهذا الوعي، يمكن أن تأتي النجاة، ليس الحفاظ على التماسك الاجتماعي فحسب. فالإنسان الذي يقدر أديسون لما قام به تجاه الحياة، سيكون من الصعب عليه العودة والتمترس حول خطاب يصعد من فكرة متشدّدة ومظلمة؛ لأن ذلك سيجعله يشعر بالتضائل أمام نفسه، بالإضافة إلى أنّ النهج الكوني الذي اختاره سيجعله محل إدانة، وفي أسوأ الأحوال، لن يكون أكثر من شخص دعي وحسب.

هل بإمكان الفنون والإبداع أن تحمي المجتمع من التفكك؟



دنيا محمد حمود ناصر



هل ستظل كلماتنا حية إذا توقفنا عن نطقها؟

هويدا سالم

"اللي ما يعرف الدخون حرق ثيابه"، "واللي ما يعرف الصقر يشويه" مثالان نسمعهما يترددان في بيوت المكلا ويحملان معاني مختلفة، وهنا يتضح التحذير من إهمال لهجتنا وموروثنا الثقافي، فقد نفقدهما كما يُفقد الشيء الثمين بالجهل، وهذا التحذير الذي تحمله تلك الأمثال لم يعد مجرد حكمة متوارثة، بل أصبح واقعاً نلمسه في حياتنا اليومية ففي السنوات الأخيرة تغير حضور اللهجة في حياة جيل نشأ وسط تحولات متسارعة، فواجه المجتمع المكلاوي إشكالية متنامية تتمثل في تراجع ارتباط الشباب بالموروث اللغوي وذلك بعد أن اختفت بعض الكلمات وتأثرت المفردات بالتداخل مع اللهجات الحضرية المختلفة واللغات المحلية (كالمهرية)، بالإضافة إلى الهجرة والتوافد من البلدان المجاورة، ودخول الكلمات الإنجليزية في الحياة اليومية قد يبدو هذا طبيعياً في سياق التطور، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: ماذا يحدث عندما تضعف الصلة بين الجيل الجديد ولهجته الأصلية؟

في هذا المقال أحاول أن أناقش هذه المسألة بهدوء وطرحها في إطار فكرة بسيطة: الحفاظ على اللهجة ليس تشبثاً بالماضي، بل حفاظ على جزء من الهوية والذاكرة المشتركة التي تربط المجتمع مع بعضه. بالإضافة إلى ضرورة إعادة ربط الشباب بالتراث وإشراكهم في حمايته. وليس الحديث عن قيمة اللهجة مسألة عاطفية فقد أظهرت دراسة حديثة¹ أن كثيراً من مفردات اللهجة المكلاوية ما زالت تحمل جذوراً تعود إلى النقوش العربية الجنوبية القديمة، ما يعكس عمقها التاريخي واستمرارها عبر القرون، هذا يعني أن ما ننطقه في حياتنا اليومية ليس كلمات عابرة، بل امتداد لذاكرة جماعية تشكلت عبر أزمنة طويلة غير أن هذه الاستمرارية تقابل اليوم بضعف في الاستخدام لدى بعض فئات الشباب فالكثير منهم بات يجد صعوبة في فهم بعض الكلمات والبعض يختار الكلمات الأجنبية بدلاً عنها، فيبتعدون تدريجياً عن لهجتهم، وهذا التراجع لا يخص اللهجة فحسب بل ي طال شبكة علاقاتنا والمعاني التي تربط الناس ببعضهم لأن اختفاء الكلمات يعني انطفاء جزء من الحكايات والتجارب التي صنعت هويتنا .

كما أن اللهجة هي الطريقة التي ينادي بها الابن أمه ويمازح بها الأب أبناءه وتحكى بها القصص في ليالي العائلة وعندما يتراجع حضورها في الفنون والأعمال الدرامية المحلية التي لا تظهر إلا في موسم رمضان لا نخسر تنوعاً لغوياً فحسب بل نخسر صوتاً يشبهنا وصورة تعبر عنا كما نحن كم من مشهد درامي يفقد صدقه حين تستبدل مفرداته الأصلية بكلمات دخيلة لا تحمل روح المكان أو ألفاظ سيئة يتم نشرها بغرض المزاح وكم حكاية تبدو أقل دفئاً حين تروى بلسان لا يشبه لسان أهلها؟

وتشير دراسة صادرة في جامعة صنعاء³ أن اللهجة الحضرية بمختلف مناطقها تتميز بخصائص صوتية وصرفية ونحوية فريدة، تعكس تاريخ المجتمع وثقافته غير أن هذه الخصائص تظل مهددة إذا بقيت خارج التوثيق والاستخدام اليومي، الواقع يقول إن الكلمة التي لا تستعمل تبهت ثم تختفي ومع اختفائها يختفي جزء من الإحساس المشترك الذي يجمع الناس، لذلك فإن ما نفقده اليوم هو عبارة عن تفاصيل صغيرة صنعت ذاكرتنا، ما يجعل الحفاظ عليها مسؤولية حقيقية تبدأ من بيوتنا وتمتد إلى كل مساحة يسمع فيها صوتنا كما هو بلا استبدال ولا تردد.

كلمات تختفي: التحديات التي تواجه اللهجة المكلاوية
لوحظ خلال السنوات الأخيرة إحلال كلمات جديدة محل الكلمات القديمة نتيجة تدفق عدد من الوافدين من مناطق يمنية أخرى ومن دول مجاورة، إضافة إلى تأثير وسائل الإعلام واللهجات الخليجية المنتشرة عبر القنوات والمنصات الرقمية، ويُعد الشباب الفئة الأكثر تأثراً، حيث أشاروا إلى صعوبة التواصل بالكلمات القديمة، ما أدى إلى اندثار العديد من المفردات التراثية، مثل: المحار" (خزانة الملابس الخشبية التقليدية)، "المقلد" (وعاء فخاري لحفظ الماء)، "القليد" أو "الهندراب" (قفل الباب الحديدي القديم) وغيرها الكثير.

وتعد التغييرات التي طرأت على اللهجة المكلاوية تهديداً لأنها لا تتوقف عند حدود تبدل بعض المفردات، بل تمتد إلى إضعاف حضورها في الاستعمال اليومي، فكلما تراجع في الحديث الطبيعي، فقدت قدرتها على الانتقال بسلاسة بين الأجيال، وأصبحت أقل تداولاً "ومع الوقت تتحول من لغة حية تستخدم بعفوية إلى مادة تذكّر في الدراسات أو تستعاد في مناسبات محدودة وقد أشار الدكتور عبد الله بابعير أن كثيراً من مفردات اللهجة المكلاوية وظواهرها الصوتية تحمل امتداداً تاريخياً عميقاً وأن التحولات التي شهدتها ارتبطت بعوامل اجتماعية وثقافية متعاقبة وهذا يؤكد

أن الحفاظ عليها لا يعني رفض التغير، بل ضمان بقائها جزءاً "فاعلاً" من الواقع، عبر توثيقها وتشجيع حضورها في الفنون والإعلام المحلي.

إن مما يشجع على الاهتمام بالمفردات التراثية أنها تلعب دوراً في بناء الروابط بين الأجيال وتعزيز الانتماء الثقافي، فعندما يستخدم شباب المكلا كلمات من لهجتنا المكلاوية مع آبائهم وأجدادهم فإن ذلك يُفتح باب الحوار ويُستعاد التقدير للخبرة السابقة، فاستخدام كلمات مثل: "المرهه" مكان طحن الدجر والبر "اليحله" وعاء صغير للشرب "الهرموز" السكين "السحسوح/السحيحه" دكه في المطبخ، تعمل على تقديم صور حية لواقع البيوت القديمة كما تُعيد الألعاب والاحتفالات التقليدية، مثل "الشامية" و"المكباره"، الشباب إلى جو التراث فعندما تقال هذه الكلمات في جو عائلي يتسم كبار السن معبرين عن سعادتهم لسماعهم لهجتهم حية ويشعر الشباب بأنهم جزء من سلسلة لا تنتهي عندهم بل إلى أجيال وأجيال وهنا يتحول الانتماء من مفهوم نظري إلى تجربة يومية تعاش .

كما أشرت مسبقاً بأن الموروث اللغوي يجب أن تتعاقبه الأجيال فهو ينتقل بسرعة أكبر عبر الأسرة قبل أي جهة أخرى وتُجسد فاطمة عوض (75 عاماً)، المعروفة في حضرموت بـ"الحبابة" أي الجدة، هذا الدور حين تستخدم المفردات القديمة مع أحفادها وتشرح معانيها وسياقاتها في الحديث اليومي. تقول: "اللهجة هي هويتنا، ونحن نحافظ عليها لنضمن أن يعرف أولادنا تاريخهم وثقافتهم" نعرف كل كلمة بمعناها وكل كلمة تحكي قصة" وهذا النموذج يؤكد أن نقل الموروث ليس بالضرورة يكون عبر مؤسسات كبرى بل قد يكون خلال شخص يحبه الطفل ويثق فيه حتى يشيب تتحول اللهجة إلى جزء من ذاكرته، لا إلى مادة غريبة أو قديمة وهكذا يصبح نقله فعلاً عملياً يومياً .

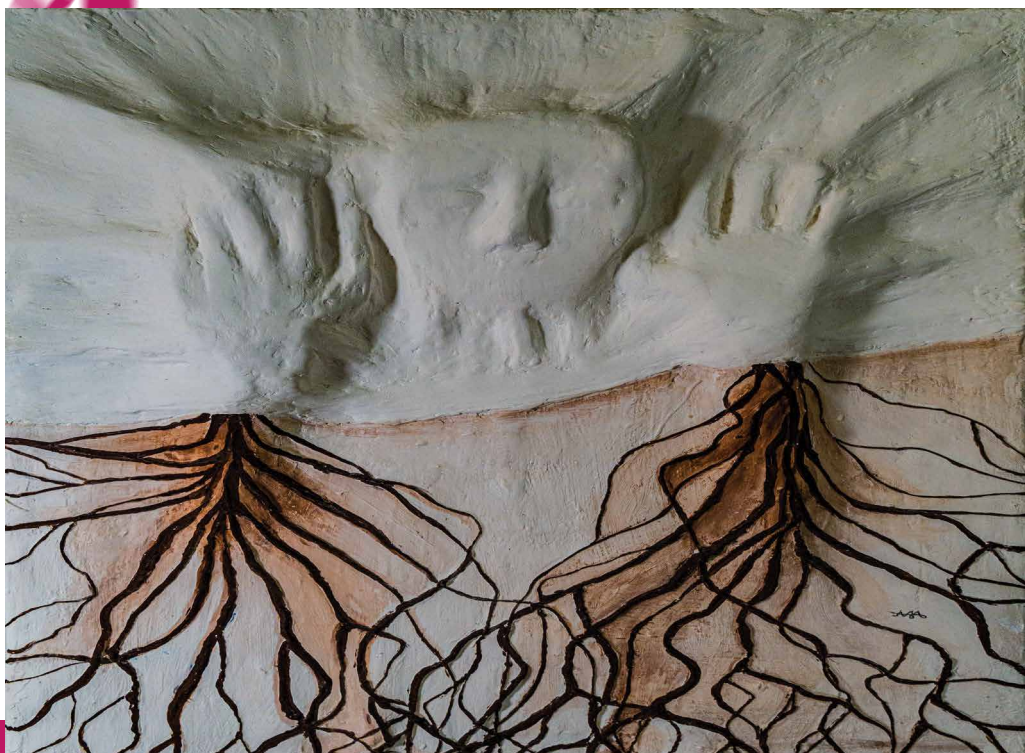
تختلف الكلمات وطريقة النطق بها ما يُعرف بـ "اللكنة" بين مناطق حضرموت مثل المكلا والغيل والشحر، "فأكلة العلس" في المكلا، تُقال علس والبعض يقولها "صلغلغ" كما تنطق في الغيل، و"كلمة مكاني" تقال للمكان في المكلا، في حين يقول أهل الشحر بقعتي، أما اللبان بالشحر فاسمه علك، وبالمكلا يسمى لبان، هذا الاختلاف مرتبط بالبيئة وطريقة عيش الناس في كل منطقة، لذلك جاءت المفردات مختلفة لكنها تعبر عن سياقات اجتماعية متقاربة.

إن هذا التعدد داخل حضرموت يبيّن أن اختلاف الألفاظ لا يتعارض مع وحدة الانتماء، بل يعكس تنوع التجربة المعيشية داخل الإطار الثقافي نفسه، واليمن الذي يضم أكثر

من 300 لهجة معظمها مهدد بالاندثار نتيجة الإهمال، يقدّم صورة أوسع لهذا الواقع بل إن التنوع الذي نلاحظه على مستوى الوطن يمكن أن نجده أحياناً داخل مدينة واحدة، وربما في حيّ من أحياء المكلا نفسها وإذا كان هذا التعدد حاضراً حتى في هذا النطاق القريب، فإن تجاهله يعني إغفال جزء من البنية الاجتماعية التي تشكّل المجتمع، لذلك يصبح الحفاظ على اللهجة واستخدامها في البيوت والشوارع ممارسة واعية تصون هذا التنوع وتمنع تآكله تدريجياً.

هل ستظل كلماتنا حيّة إذا توقفنا عن نطقها.

نور باوزير



هل يمكن للدان أن يكون وسيلة للحوار؟

عبدالرحمن باحارثة

في مجتمع اعتاد أن يحتكم أحياناً إلى السلاح لحسم خلافاته، يبرز سؤال جوهري عن ماذا لو كانت الكلمة المغنّاة أبلغ من الرصاصة؟ ماذا لو تحوّل الخلاف إلى قصيدة والخصومة إلى لحن؟ هنا يتقدّم الدان الحضرمي بوصفه فناً شعبياً عريقاً يتجاوز الطرب والتسلية ليشكّل مساحةً للتعبير، ومنبراً للنقاش وأداةً لاحتواء التوتر. ينطلق هذا المقال من فكرة أساسية مفادها، أن الدان الحضرمي يمكن أن يكون وسيلةً فاعلة للحوار المجتمعي، وبدلاً ثقافياً عن التصعيد والصدام بما يحمله من رمزية ونفس شعري وأعراف تنظّم جلساته.

يقوم الدان الحضرمي على بنية حوارية قائمة على تبادل القول والرد، حيث يفتح أحد الشعراء بيتاً أو مقطع، فيجيبه آخر ضمن سياقٍ منضبط تحكمه الذائقة والأعراف، وهو ما يجعله أقرب إلى مناظرة شعرية راقية. غير أن هذه المناظرة لا تخلو من حدة في اللغة أو مواجهة مباشرة، لكنها تظل محكومة بسقف الكلمة، فلا تنزلق إلى العنف، بل تعبر عن صراع رمزي تُدار فيه الخصومة بالصور الشعرية والإيحاءات لا بالسلاح. وهذا ما يدعم الادعاء بأن الدان يمكن أن يكون وسيلة للحوار، حتى حين يتخذ شكل منافسة حادة.

ويظهر ذلك بوضوح في مساجلة شعرية أقيمت في مدينة المكلا بساحة مسجد عمر بمناسبة عيد العمال عام 1982، وانتهت بالصلح بين الشاعرين باحريز وناجي بن علي الحاج. إذ يبدأ باحريز بقوله: «يا ليلة الرحمن...» مستحضراً صورة ليلة تصافت فيها القلوب، ومشيراً إلى معاناة شخصية يرمز إليها بـ"السّفَر" (بمعنى الأثر أو الحكّة)، قبل أن يختتم بالدعاء بتيسير الأمور، وهو خطاب يجمع بين الشكوى والتلطيف. في المقابل، يأتي ردّ ناجي أكثر حدة، إذ يوظف صورة قوية مثل تشبيه خصمه بـ"الهام" و"باصوقرة" (الثعبان)، في تعبير صريح عن التفوق والرغبة في الغلبة، بل ويذهب إلى تصوير مشهد تخيلي يتمنى فيه لو أن أهل الحارة يشهدون انتصاره. ومع ذلك، فإن هذه اللغة الحادة لا تخرج عن إطار اللعبة الشعرية؛ فهي لا تؤدي إلى قطيعة، بل تنتهي بالتصالح، كما يدل توصيف باحريز للمناسبة بـ"ليلة الرحمن" حيث

"كل ساري سرى" وقلوبهم متصافية. وهنا تتجلى وظيفة الدان بوصفه شكلاً من أشكال "الصراع المؤطر" الذي يسمح بتفريغ التوتر والتنافس ضمن حدود جمالية واجتماعية متفق عليها، فيتحول النزاع من فعلٍ مادي إلى أداءٍ لغوي، ومن مواجهةٍ مباشرة إلى حوارٍ غير مباشر تحكمه البلاغة والتقاليد.

حين يتناول الدان موضوعاً خلافياً، فإنه يعيد تشكيله بوصفه "صراع كلمات" لا "صراع سلاح"، حيث تؤدي الألحان دور الوسيط الذي يخفف حدة الطرح، وتحوّل البلاغة إلى أداة إقناع بديلة عن القوة. وبفضل طبيعته القائمة على الأخذ والرد، يمنح الدان كل طرف فرصة التعبير ضمن إطار من الإصغاء المتبادل، وهو ما يلامس جوهر الحوار الحقيقي كما تجلّى في المساجلات التي تُدار فيها الخصومة دون أن تنفلت من ضوابطها الفنية والاجتماعية.

وفي هذا السياق، يبرز الرمز بوصفه أداةً مركزية في شعر الدان، خاصة عند تناول القضايا السياسية أو الاجتماعية الحساسة؛ إذ يلجأ الشاعر إلى مفرداتٍ يومية تبدو بسيطة في ظاهرها، لكنها تحمل دلالات أعمق تسمح بتمرير النقد أو العتاب دون تصريحٍ مباشر قد يثير التوتر. وبهذا الأسلوب، يغدو الدان فضاءً يوازن بين حرية التعبير والحفاظ على السلم الأهلي، فلا يلغي الخلاف، بل يعيد صياغته بلغة قابلة للاستماع والتداول، ويحوّل التوتر إلى معنى، والمواجهة إلى تأويل.

تُعقد جلسات الدان في أجواءٍ يسودها النظام والاحترام، حيث يتخلّق الحضور في دائرةٍ تتيح الإصغاء المتبادل، وغالباً ما يشارك فيها أهل الرأي والحكمة، فتغدو الجلسة فضاءً اجتماعياً منضبطاً. وفي هذا الإطار، يُطرح العتاب وتُقدّم النصيحة في قالبٍ شعري يخفف حدة المواجهة ويمنح الكلام قبولاً أوسع. وقد عُرف في حضرموت أن مثل هذه الجلسات أسهمت في تخفيف حدة بعض الخلافات القبلية والاجتماعية، إذ يُمنح كل طرف فرصة التعبير، بينما يتشكّل حولهم رأي عام يثمن التعقل ويستهنج التطرّف، فتتحول الجلسة إلى مساحة تقارب، ويغدو الفن وسيلة ضغطٍ معنوي تدفع نحو الصلح دون إكراه.

يقوم الحوار على ثلاث ركائز أساسية: التعبير، والإصغاء، والقبول بالاختلاف، وتتجسّد هذه الركائز في الدان ضمن قالبٍ جمالي منظم؛ إذ يوفر الشعر فرصة للتعبير، وترسخ طبيعة الجلسة تقاليد الإصغاء، كما تُنمي روح المناقشة الفنية تقبّل الرأي الآخر. وبهذا يغدو الدان ممارسةً ثقافية تسهم في تدريب المجتمع على إدارة خلافاته بالكلمة، وترسيخ قيم السلام والتعايش ضمن سياقٍ فني واجتماعي متوارث.

تفضي هذه القراءة إلى أن الدان الحضرمي ينهض بدور يتجاوز حدوده الفنية، بوصفه ممارسة تُعيد تنظيم الخلاف داخل إطار تعبيرى قابل للتداول، وتمنح الكلمة وظيفة اجتماعية في تهذيب التوتر وتوجيهه. فبفضل ما يتيح من تفاعل منضبط، وتكثيف دلالي عبر الرمز، وحضور جماعي يراقب ويقيم، يتشكّل فضاء يُدار فيه الاختلاف بوعي جمالي يحدّ من الانفلات ويعزّز التعقّل. ومن هنا، يغدو الدان أداة ثقافية قادرة على الإسهام في بناء التفاهم، عبر تحويل لحظة الاحتكاك إلى فرصة لإنتاج معنى مشترك، وترسيخ منطق الكلمة بوصفه سبيلاً مستداماً لتدبير التباين داخل المجتمع.

100



وقف سقايات الماء في تريم بين الأصالة والحداثة وخدمة المجتمع

محمد مسلم

المتأمل في الشوارع والساحات العامة لمدينة تريم سيشاهد عدة سقايات (برادات) لتوفير مياه نقية وباردة صالحة للشرب بأشكال وأنواع متعددة قديمة وحديثة. تتميز العديد منها بالطراز المعماري الحضرمي، حتى أصبحت هذه السقايات تُشكّل تحفًا معمارية متناثرة في المدينة تعبر عن تراث المجتمع وثقافته، ناهيك عن الخدمات العظيمة التي تقدمها. ولم تكتفِ بتقديم الخدمات للمجتمع فقط، بل تعدى ذلك لتشمل حتى الحيوانات والنباتات، لتضرب أروع صور التماسك الاجتماعي والتعايش السلمي والحفاظ على البيئة. قد لا يتكرر ذلك المشهد في أي مدينة أخرى، وعلى الرغم من انتشار هذه السقايات، فإنها لا تغطي حاجات الناس في جميع أنحاء مدينة تريم، فالمناطق الشرقية بحاجة إلى سقاية كبيرة، لتوفير مياه نقية وباردة تلبى احتياجات الناس، وتخفف عنهم شدة أعباء الحياة المعيشية الصعبة، خصوصًا وأن مشروع سقاية بشار الكبرى قد حقق نجاحًا كبيرًا.

في هذا المقال سنسلط الضوء عن وقف سقايات الماء في تريم خاصة في ظل التحديات التي تواجه المجتمع الحضرمي بسبب الحرب والأزمات الاقتصادية التي تمر بها البلاد، فضلًا عن الانقطاعات المتكررة للتيار الكهربائي وارتفاع درجات حرارة الشمس في وادي حضرموت، وما ينتج عن ذلك من حاجة ماسة للماء البارد.

كما يسعى المقال إلى توعية المجتمع بأهمية التراث الثقافي، والتكافل المجتمعي وأثره في تقديم خدمات عظيمة ومستدامة للمجتمع، لتخفف عنه شدة أعباء الحياة المعيشية الصعبة، من خلال وقف سقايات الماء التي تقوي الترابط الاجتماعي، فمن المتوقع أن يسهم المقال في تعزيز الوعي لدى الناس للحفاظ على وقف السقايات، وتشجيعهم للمشاركة في الأعمال التطوعية، والسعي لإطلاق مبادرات مجتمعية مماثلة لسقاية بشار الكبرى في مناطق أخرى، إضافة إلى أنه سوف يسهم في توقيع شراكات مع الجهات المعنية. يجادل الخبراء أنّ بناء السقايات في تريم يخدم العديد من الأغراض الاجتماعية والثقافية، فهي لا تقتصر على توفير الماء، بل تعكس روح التعاون والوقف الخيري في المجتمع. ومع تصاعد النزاعات والأزمات التي تهدد

التراث الثقافي اليمني، باتت هذه السقايات أيضًا جزءًا من الجهود لحماية الهوية الثقافية للمدينة والحفاظ على التراث للأجيال القادمة، وهو ما يعززه إطار الاتفاقيات الدولية مثل اتفاقية لاهاي (1954)م، واتفاقية التراث العالمي (1972)م. صورة لسقاية المنقد

ويشير الأستاذ أحمد كرامة باحماله، مندوب الهيئة العامة للآثار والمتاحف بوادي حضرموت ورئيس مؤسسة الرناد للتنمية الثقافية، إلى أنّ السقايات تمثل جزءًا أصيلاً من الهوية البصرية والثقافية للمدينة، فهي مؤسسات وقفية مصغرة تجسد عبقرية الإنسان الحضرمي في تطويع البيئة لخدمة الناس. وقد لعبت السقايات دورًا مجتمعيًا مهمًا قديمًا قبل الكهرباء، وحديثًا في ظل الأزمات الاقتصادية وانقطاع التيار الكهربائي وارتفاع درجات الحرارة، إذ توفر مياه شرب صالحة للمجتمع وتربط بين المحسن (الواقف) والمحتاج.

وتشهد مدينة تريم مشاركة واسعة من المتطوعين في بناء السقايات في الأماكن العامة؛ لتوفير مياه نقية وباردة للشرب خلال المناسبات، والزواج، وللعطش من المارة والعمال والمزارعين وطلاب العلم. كما اهتم بعضهم بتصريف المياه المتبقية لري الأشجار المحيطة، واستحداث أحواض خاصة لتوفير الماء للحيوانات، بما يعكس قيم الرحمة والرفق. بالإضافة إلى ذلك، تحمل هذه السقايات عناصر معمارية مميزة تُبرز التراث الثقافي والمعماري للمدينة.

وتعد " سقاية بشار الكبرى " أحد المشاريع الوقفية الناجحة، تقع في منطقة الخليف وسط مدينة تريم في ساحة عامة حيث تقام فيها بعض المناسبات الكبرى للمدينة، كصلاة العيدين وغيرها من المناسبات الأخرى. وقد افتتح المشروع في عام (2024)م من قبل مؤسسة الوداد للتنمية، بالشراكة مع المجتمع من خلال إطلاق مبادرة تطوعية للمشاركة في المشروع؛ لوقف سقاية؛ لتوفير مياه نقية وباردة للشرب. تبلغ السعة التخزينية للمرحلة الأولى 14 ألف لتر، مع قدرة تبريد تصل إلى 5 ألف لتر في وقت واحد. في حين أنّ المرحلة الثانية للمشروع زادت فيها السعة التخزينية إلى 18 ألف لتر، فضلًا عن تخصيص أماكن خاصة للنساء؛ نظرًا لشدة الازدحام عليها، ومراعاة الخصوصية للنساء، وقد صمم المشروع بشكل يُعبر عن التراث والآثار التي تتميز بها مدينة تريم.

من خلال ذلك المشروع تبين أنّ أفراد المجتمع أكثر تماسك وتعاون، كما أنهم مُحبون.

صورة لسقاية بشار الكبرى

وقف سقايات الماء في تريم بين الاصالة والحداثة وخدمة المجتمع

عائشة جابر حفظ الله شاوحي



التشاهير في تريم.. تقليد رمضاني يحفظ دفة العلاقات

حداد محفوظ مسيعد

يشكل وادي وصحراء حضرموت نموذجًا إنسانيًا للتضامن والتعايش السلمي، حيث يتجلى التعاون بين الناس في مختلف الظروف، ولا سيما أثناء الأزمات والكوارث، فيتحرك المجتمع تلقائيًا لتقديم المساندة دون انتظار تدخل رسمي. لقد أسس المجتمع الحضرمي عبر قرون طويلة ثقافة قائمة على الاعتماد المتبادل والتكاتف الاجتماعي، مما مكّنه من الصمود وحماية أفرادهِ في أحلك الظروف. وتجسد هذه التجربة أبرز القيم الإنسانية في اليمن، إذ تُظهر التكاتف والتعايش كسلوك يومي متجذر في الحياة الاجتماعية. وقد تشكّل هذا النموذج عبر التفاعل المستمر في بيئة صحراوية وزراعية صعبة، فرضت على الجميع التعاون والتكامل في إدارة الموارد الطبيعية ومواجهة تقلبات الطبيعة، فترسخت قيم عميقة جعلت المجتمع الحضرمي مثالاً للصمود والتماسك في مواجهة التحديات الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية. ويبرز هذا النموذج بوضوح في مدينة شبام التاريخية، التي تُعد رمزاً حضارياً وإنسانياً في وادي حضرموت. تعكس بيوتها الطينية المتلاصقة فلسفة اجتماعية قائمة على التقارب والتكافل، إذ لم يكن القرب المكاني بين البيوت مجرد هندسة عمرانية، بل تعبيراً عن وعي جماعي يرى في الجوار قيمة إنسانية عليا، وفي التعاون ضرورة حياتية لا غنى عنها. وقد شكلت هذه البيوت نسيجاً اجتماعياً متكاملًا، تتداخل فيه العلاقات اليومية وتتقاسم فيه الأسر المسؤوليات والواجبات، وتتقاطع المصالح في إطار من الاحترام المتبادل وحمل المسؤولية والعمل المشترك، وهو ما يبرز مدى تجذر قيم التضامن والتعايش السلمي في المجتمع الحضرمي عبر القرون.

ويجسد المجتمع الحضرمي قيم التضامن والتكافل في سلوكه اليومي، مستنداً إلى التعاليم الدينية التي تحث على الإحسان إلى الجار وصلة الرحم والتعاون على البر. فقد جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم "إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك"، وهو ما يدل على أنّ المشاركة والتكافل ليست مجرد شعارات، بل أصل من أصول الحياة الاجتماعية، حيث يُقدّم البعد الإنساني في العلاقات على

المصالح الضيقة.

ومن أبرز المحطات التي أكدت هذا التلاحم ما شهدته حضرموت عام 2008 من سيول مدمرة، ألحقت أضرارًا واسعة بالمنازل والمزارع والبنية التحتية، وعزلت بعض المناطق عن محيطها. في تلك الظروف الاستثنائية، لم ينتظر الناس توجيهات رسمية، بل انطلقت مبادرات شبابية وأهلية لعمليات الإنقاذ، حيث فتح الأهالي بيوتهم ومدارسهم لإيواء المتضررين، وقدموا الطعام والملابس والمياه. كما ساهم التجار وأصحاب المزارع بالدعم بما يستطيعون. وكان التضامن الاجتماعي عاملاً حاسماً في حماية الأرواح وتقليل حجم الخسائر، كما عزز الثقة بين أفراد المجتمع وترك أثراً في ترسيخ الشعور بالمصير المشترك.

تكررت صور التكافل الاجتماعي في أعوام لاحقة، خاصة عند انقطاع الطرق بين الساحل والوادي بسبب السيول، لا سيما في المناطق التي تتعرض لجريان الأودية. فقد تشكلت فرق أهلية لمساندة العالقين، وتقديم الطعام والشراب، ونقل المرضى إلى أماكن آمنة، كما تم تسخير وسائل النقل الخاصة لخدمة الناس دون مقابل. وقف الشباب صفًا واحدًا لخدمة المجتمع دون تمييز بين منطقة وأخرى، وهذا عمل على تأكيد أن التضامن في حضرموت ثقافة راسخة متجذرة في الوعي الجمعي، تنتقل من جيل إلى جيل، وتشكل جزءاً أساسياً من النسيج الاجتماعي للمنطقة.

كما أسهمت العادات والتقاليد الاجتماعية في وادي وصحراء حضرموت في ترسيخ مفاهيم التعايش السلمي، من خلال منظومة عرفية تقوم على حل النزاعات بالحوار والوساطة الاجتماعية. يلعب العقلاء ووجهاء المجتمع دوراً أساسياً في احتواء الخلافات ومنع تفاقمها والحفاظ على السلم الأهلي، لا سيما في القضايا القبلية، حيث يتم إصلاح ذات البين قبل اتساع دائرة الخلاف. ويضع الجميع مصلحة الجماعة فوق المصالح الفردية، ما يجعل الاستقرار الاجتماعي نتيجة وعي جماعي بأهمية السلام الداخلي والحفاظ على وحدة الصف.

ويعد العمل التعاوني في المجالات الزراعية والاقتصادية صورة أخرى من صور التكاتف في وادي وصحراء حضرموت. يعتمد سكان الوادي والصحراء على ممارسات جماعية في استصلاح الأراضي، وتنظيف قنوات الري، وتقاسم المياه وفق أعراف متوارثة تحقق العدالة بين المزارعين. وعند نزول السيول، يتعاون الجميع في تنظيم توزيع المياه بما يضمن المصلحة العامة ويمنع النزاعات، وهو ما يعكس إدراكاً عميقاً بأهمية الشراكة والتكامل بدل التنافس والصراع. وقد أسهمت هذه الممارسات في تعزيز الأمن الغذائي المحلي، وتقوية الروابط بين الأسر، وترسيخ مفهوم المسؤولية المشتركة تجاه الأرض والإنسان.

كما لعبت المساجد دورًا محوريًا في نشر الوعي بقيم العدل، ونبذ الظلم، والتحذير من أكل الحقوق، والدعوة إلى احترام الآخرين، والتسامح، وقبول الاختلاف، استنادًا إلى قوله تعالى في القرآن الكريم: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ" وقوله تعالى: "وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ"، فكانت مساجد حضرموت عبر التاريخ منابر إصلاح وتوجيه تغرس في النفوس معاني الرحمة والتراحم وتذكر الناس بواجباتهم تجاه مجتمعهم وتسهم في بناء وعي أخلاقي يعزز الاستقرار ويحد من النزاعات.

وتؤكد الأمثال الشعبية الحضرمية هذا المعنى مثل قولهم في الشدة يُعرف الأخ ويقال تعرف صديقك وقت الضيق وهي أمثال متداولة تعبر عن طبيعة المجتمع الذي يرى في التضامن قيمة متوارثة تنتقل من جيل إلى جيل، وتؤكد أنّ المواقف الصعبة هي المحك الحقيقي للعلاقات الإنسانية. ومن خلال هذه الثقافة تحولت الأزمات إلى قوة دافعة لتعزيز التماسك بدلًا من أن تكون سببًا في التفكك.

يجسد نموذج التضامن والتعايش في وادي وصحراء حضرموت مبادئ اليونسكو في اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي لعام 2003، التي تؤكد أهمية الممارسات الاجتماعية والعادات والتقاليد وأشكال التضامن كعناصر أساسية لحماية الهوية الثقافية، وتعزيز السلم المجتمعي والتنمية المستدامة. ويظهر هذا النموذج عمليًا من خلال الممارسة اليومية والعمل الجماعي، حيث يحافظ المجتمع على القيم الموروثة ويطبقها في الحياة اليومية. ومن خلال هذا التطبيق العملي، يصبح وادي وصحراء حضرموت مثالًا حيًا على كيف يمكن للتراث الاجتماعي والثقافي أن يساهم في تعزيز التماسك الاجتماعي وحماية الهوية الثقافية في مواجهة التحديات المعاصرة.

ورغم قوة هذا النموذج فإنّ قيم التكاتف والتعايش السلمي تواجه تحديات متزايدة في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، وتسارع أنماط الحياة الحديثة مما يستدعي دعماً أكبر للعمل التطوعي وتعزيزاً لثقافة المشاركة المجتمعية، وتوثيقاً للتجارب الناجحة في مجالات الإصلاح الاجتماعي والتكافل ونقلها إلى الأجيال القادمة عبر التعليم والإعلام حتى تظل هذه القيم حية ومتجددة وقادرة على التكيف مع المتغيرات.

وفي الختام، يقدم وادي وصحراء حضرموت نموذجًا واضحًا يؤكد أنّ قوة المجتمعات تُقاس بصلابة القيم التي تحكم سلوك أفرادها قبل وفرة الموارد أو الإمكانات المادية. فابتداءً من بيوت شبام المتلاصقة وصولاً إلى مواقف التضامن أثناء السيول، تتجلى الحقيقة أنّ التكاتف المجتمعي في حضرموت ضرورة وجودية، وهو مفتاح للاستقرار والتنمية المستدامة. وتبعًا لذلك، يرسل هذا النموذج رسالة واضحة بأنّ بناء

السلام يبدأ من داخل المجتمع، وأنّ الاستثمار الحقيقي يكمن في الإنسان وقيمه وأخلاقه.

التشاهير في تريم.. تقليد



أسماء شماخ



حضر موت تحمي ذهبها: مبادرات مجتمعية لإنقاذ عسل السدر

حلمي عاشور

قال الشاعر:

ومن يهوى العسل يصبر ولا يثنيه قبص النوب..
تشعل هذه الكلمات حراكا مجتمعيا يتحتم علينا تقديمه، نظراً للأهمية الكبيرة التي يمتلكها العسل اليمني. إذ لا يقتصر علينا التغني بهذا العسل وبجودته، بل يجب علينا وضع حلول واقعية لمواجهة لتزايد قطع أشجار السدر التي تشكل المصدر الأساسي لأصالته. يُعد عسل السدر أحد أبرز عوامل الجذب في حضرموت، إذ تشهد أسواقه حركة واسعة ونشاطاً تجارياً ملحوظاً. وتسهم هذه الأسواق في تعزيز التفاعل بين الوافدين والمجتمع المحلي، كما تفتح المجال لخلق فرص عمل من خلال اللقاءات والتعاملات التجارية المرتبطة ببيع العسل ومنتجاته الأخرى.
ويعتقد كثيرون أن عسل السدر الحضرمي يُعد من أجود أنواع العسل عالمياً، بل يراه البعض الأفضل لما يتمتع به من قيمة غذائية وخصائص شفاءية عالية. لذلك لا تكاد تخلو منه المعارض والفعاليات والأسواق داخل اليمن وخارجه، حيث يحضر بوصفه أحد أبرز المنتجات اليمنية، وأكثرها قيمة.

كما يحمل هذا العسل رسالة عن الجهود التي يبذلها النحالون والعاملون في قطاع تربية النحل، فقد أصبح حديث المهتمين والزوار الذين يسعون للتعرف إليه عن قرب عبر هذه الأسواق. ومع توافد الزوار وعودتهم إلى بلدانهم، يتحول عسل السدر إلى سفير ثقافي يعكس جانباً من الواقع الاجتماعي والثقافي لحضرموت واليمن عموماً.
تواجه أشجار السدر في حضرموت جملة من التحديات التي انعكست سلباً على إنتاج عسل السدر، أبرزها التوسع في قطع الأشجار لاستخدامها كحطب أو فحم وبيعها في الأسواق كمصدر دخل بسيط لبعض المواطنين. كما يسهم قيام بعض المزارعين بجمع أوراق السدر وتجفيفها وطحنها وبيعها في الأسواق فيما يُعرف محلياً بـ"التعشير" في استنزاف الأشجار والتأثير على دورة إزهارها. وقد أدى تزايد هذه الممارسات إلى تراجع إنتاج العسل وتأثر جودته، وهو ما انعكس بدوره على النحالين

الذين يعتمدون على هذه الأشجار كمصدر أساسي لمواسم الإنتاج، كما خلق في بعض الأحيان توترات بين النحالين وبعض أفراد المجتمع نتيجة تضارب المصالح واشتداد الحاجة إلى مصادر دخل محدودة.

جمعية حضرموت التعاونية للنحالين نموذج مشرف ومع تزايد هذه المشكلات، برزت في مدينة تريم نماذج مجتمعية مشرفة تسعى إلى إعادة غسل السدر إلى الواجهة عبر جهود ذاتية لمعالجة كثير من الإشكاليات التي يواجهها النحالون. وشملت هذه الجهود تنظيم دورات وندوات توعوية لتدريب النحالين، إلى جانب توجيه المزارعين وتعزيز الوعي بأهمية الحفاظ على شجرة السدر بوصفها موردًا اقتصاديًا وبيئيًا مهمًا. كما عملت هذه المبادرات على إيجاد أرضية مشتركة بين النحالين والمزارعين من خلال تقريب وجهات النظر والاستماع إلى مشكلاتهم ومناقشتها، بهدف الحفاظ على أشجار السدر وتنظيم الاستفادة منها بما يحفظ حقوق الجميع. وأسهمت هذه الجهود في تقليل الاحتكاكات الاجتماعية التي كانت تنشأ أحيانًا بسبب التنافس على الأشجار المنتجة للعسل، وأوجدت مناخًا أكثر تعاونًا يعزز روح التفاهم والتكافل داخل المجتمع.

وتُعد جمعية حضرموت التعاونية للنحالين في تريم من أبرز هذه النماذج المجتمعية المشرفة، إذ أسهمت بدور كبير في دعم النحالين وتحسين أوضاعهم الاقتصادية من خلال تقديم حلول ومبادرات ساعدت على توفير بيئة أكثر استقرارًا لعملهم. كما حظيت هذه الجهود بدعم من مكتب الزراعة والثروة السمكية، إلى جانب مصنع حضرموت لتعليب العسل، في إطار تعزيز هذا القطاع الحيوي.

وقد شهدت صادرات العسل تراجعًا ملحوظًا خلال السنوات الأخيرة بسبب الظروف والأحداث التي تمر بها البلاد. وفي هذا السياق لعبت الجمعية دورًا مهمًا في مساندة التجار والعمل على معالجة تحديات التصدير، من خلال عقد لقاءات وورش عمل مع التجار وأصحاب الاختصاص داخل البلاد وخارجها. كما أسهمت هذه الجهود في طمأنة التجار بشأن جودة العسل وإجراءات تصديره، خصوصًا مع امتلاك الجمعية مختبرًا متخصصًا لتحليل أنواع العسل عبر جهاز HBLC عالي الدقة، والذي يُعد الوحيد من نوعه في اليمن حاليًا. إضافة إلى ذلك، تعمل الجمعية على تسهيل إصدار التراخيص ومتابعة إجراءاتها للتجار، فضلًا عن إدارتها محلًا تجاريًا يساهم في تسويق عسل النحالين وبيعه، بما يعزز حضور المنتج الحضرمي في الأسواق.

وعلى المستوى العلمي شاركت الجمعية في العديد من المشاريع العلمية سواء على

مستوى الثانويات أو الجامعات، بهدف تشجيع الطلاب على اكتساب خبرات حياتية، ومن أبرز هذه المشاريع مشروع طلاب قسم الطب في جامعة سيئون الذي تأهل على مستوى الجامعات اليمنية ومن ثم إلى المشاركة الخارجية، وكان المشروع يهدف إلى رفع مستوى منتجات النحل غير العسل بعد دراسة النحالين لها وتصنيعها للتصدير، غير أن المشروع ظل على الورق بسبب جائحة كورونا وتأجيل سفر الفريق. وتصدّرت جمعية حضرموت التعاونية للنحالين جهود معالجة الإشكالات التي كانت تنشأ بين النحالين وبعض فئات المجتمع، من خلال تقديم النصح وطرح الحلول بروح توافقية بعيداً عن أي تدخل أمني مباشر. وقد جاء ذلك رغم صدور توجيهات تحذر من قطع أشجار السدر أو تعشيرها خلال موسم جني العسل، إلا أن الجمعية فضّلت تبني نهج يقوم على تعزيز التفاهم والتعايش بين النحالين وأفراد المجتمع. وفي إطار البحث عن حلول مستدامة، اتجهت الجمعية إلى التوسع في استزراع أشجار السدر بوصفه حلاً جذرياً لمشكلة القطع. وخلال عام 2025م جرى استزراع أكثر من 25 ألف شجرة سدر بدعم من وكالة تنمية المنشآت الصغيرة والأصغر "سمبس"، بما يسهم في توفير بيئة مناسبة للنحل ويعزز استدامة إنتاج العسل. كما شهدت المبادرات المجتمعية مساهمات أخرى، منها زراعة 800 شجرة سدر في إحدى مزارع تريم بجهود شخصية من أحد المزارعين، إضافة إلى زراعة نحو 2000 شجرة في منطقة سناء، وهي من المناطق التي يقصدها بعض نحالي تريم خلال مواسم إنتاج العسل.

مكتب الزراعة نموذج لدور الدولة في حل النزاعات

وبحسب إحصاءات مكتب الزراعة في تريم، يبلغ عدد المزارع في المديرية نحو 1090 مزرعة. ويرى خبراء تربية النحل أن للنحل دوراً مهماً في زيادة إنتاجية عدد من المحاصيل الزراعية مثل البرسيم والكزبرة والبصل، من خلال عملية التلقيح، الأمر الذي أسهم في رفع إنتاجية هذه المحاصيل وزيادة مداخيل المزارعين بنسبة تصل إلى 70٪. وفي هذا الإطار، لعب مكتب الزراعة في تريم دوراً مهماً في دعم النحالين وتعزيز الوعي بأهمية شجرة السدر بوصفها ثروة بيئية واقتصادية مستدامة، وذلك من خلال تنظيم دورات وورش عمل توعوية للمزارعين والنحالين. كما تابع المكتب عدداً من القضايا التي تنشأ بين الطرفين، ومن أبرزها مسألة "التعشير"، بهدف تنظيم الاستفادة من أشجار السدر وضمان حق النحال في موسم العسل، مع إتاحة المجال للمزارع للاستفادة من الشجرة بعد انتهاء موسم الجني.

مساهمة مصنع حضرموت لتعليب العسل وتوفير فرص عمل

كما ساهم مصنع حضرموت لتعليب العسل في تسهيل عمل النحالين إذ تم إنشاء المصنع لتعليب العسل بطرق حديثة وتقنيات عالية ترفع جودة المنتج، خاصة بعد

دخول عسل أقل جودة وغير يمنية المنشأ إلى الأسواق. ويعمل المصنع على شراء العسل من النحالين الذين لا يملكون القدرة على تسويقه أو تعليبه وطرحه في الأسواق، مما يدعم المنتج المحلي ويسهل تصديره إلى الخارج في ظل التحديات التي تواجهها الدولة في هذا الجانب، كما يوفر المصنع فرص عمل للشباب ويسهم في الحد من البطالة، ما يجعله رافداً اقتصادياً واجتماعياً مهماً في المنطقة. وعلى الرغم من هذه الجهود والنماذج المجتمعية المشرفة التي قدمتها مدينة تريم للحفاظ على عسل السدر ورفع جودته من خلال التعاون المجتمعي وإيجاد حلول لتحديات النحالين، إلا أن هذا القطاع ما يزال بحاجة إلى مزيد من الدعم والاستدامة لضمان استمرار هذا المورد الاقتصادي المهم.

ومن خلال المناقشة السابقة، يمكن القول إن عسل السدر يمثل جزءاً من الهوية التاريخية لليمن، ما يجعل الحفاظ عليه وحماية مصادره أمراً ضرورياً. ورغم أن كثيراً من المبادرات التي ظهرت كانت جهوداً شخصية تطلبت تضحيات كبيرة من القائمين عليها، فإنها شكّلت نواة حقيقية لمعالجة العديد من التحديات التي يواجهها قطاع النحل. وتعميم مثل هذه النماذج في مديريات أخرى إلى جانب تريم يمكن أن يسهم في زيادة إنتاج عسل السدر واستدامته. فشجرة السدر تمثل رئة خضراء ومورداً اقتصادياً مستداماً، وزراعتها تعني بيئة أفضل، وعسلاً أجود، وفرص عيش أكثر استقراراً للمزارعين والنحالين. ومن أجل إحياء زراعة هذه الأشجار وحمايتها، تبرز الحاجة إلى تنسيق جهود المؤسسات الرسمية والمجتمعية والأفراد، نظراً لما تمثله من أهمية بيئية واقتصادية واجتماعية، ولما تحمله من فوائد تتجاوز إنتاج العسل ذي الجودة العالية إلى دعم التنمية والاستقرار في المجتمع.

حزموت ترمي ذهبيها مبادرات مجتمعية لإنقاذ عسل السدر



أنوار باشغيوان



لقد حقق مشروع سقاية بشار الكبرى نجاحًا بارزًا بفضل ما يقدمه من مياه نقية وباردة صالحة للشرب على مدار اليوم، مستخدمة في المناسبات والزواج، وللعطش من المارة والعمال والمزارعين وطلاب العلم، رغم التحديات الاقتصادية والانقطاعات المتكررة للكهرباء وارتفاع درجات الحرارة. ويشير الأستاذ أحمد باحماله إلى أنّ وقف السقايات يعزز الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ويجسد قيم التكافل والتعاون التي تحمي المجتمع من التفكك وتزرع الألفة والسكينة بين الناس، كما يقلل هذا الشعور الضغط الاجتماعي الناتج عن الفقر والحرب. ويضيف أنّ مشاركة المجتمع في إنشاء هذه السقايات وصيانتها تؤدي إلى الحفاظ عليها من السرقة أو الإتلاف، إذ يشعر الجميع بأهميتها وبكونهم شركاء في إقامتها قبل أن يكونوا مستفيدين منها.

بناءً على ما سبق، يُعبر وقف سقايات الماء في ظل الحرب والأزمات الاقتصادية عن ثقافة راقية تعزز التكافل الاجتماعي وتقوي الروابط بين أفراد المجتمع، مما يسهم في تخفيف أعباء الحياة المعيشية الصعبة ويزرع روح السلام والتعايش. وتُعد سقاية بشار الكبرى وغيرها من السقايات في تريم نموذجًا حيًا لهذا التعاون، حيث تعكس جهود المجتمع والمؤسسات في تلبية احتياجات الناس، وتشجع على إطلاق مبادرات مماثلة في مناطق أخرى، خاصة في شرق تريم. كما تسهم هذه المشاريع التطوعية في توفير خدمات حيوية وفي الوقت نفسه تساعد على الحفاظ على التراث الثقافي للمدينة وترسيخ الإرث الحضاري للأجيال القادمة

الصـور الفوتوغرافية



"الإعانة" خيط الموروث الذي لم شُتات الريف في زمن الحرب

عمران فرحان

حينما كان عائدا من المدينة إلى قريته، وجدَ مشقّة في الوصول. فكّر الشاب فيما يمكن أن يفعله، في واحدة من الطرق الوعرة التي تسببت بـ 24 حادثة انقلاب سيارة في الثلاثين السنة الماضية، وفق سكان محليين بعُزلة بلاد الوافي التابعة لمديرية جبل حَبشي غربي محافظة تعز. هذه التجربة القاسية دفعت إبراهيم الوافي إلى الواجهة، فكانت أول خطوة يقوم بها هي الاجتماع مع الأهالي، وحثّهم على أهمية التكاليف للتخفيف من المعاناة، يقول الوافي: "شعرَ كلّ شخص بمسؤولية، واتّفق الرجال على المشاركة والمساهمة بالعمل وفق الاستطاعة، فيما شاركت النساء بإعداد الطعام للعاملين".

عرفت المجتمعات الريفية قديما الإعانة، أو ما يُعرف شعبيا بـ "العانة" لدى الريفيين في الغرب والشمال، أو الـ "ضهى" والـ "تعاون" بجنوبي محافظة تعز، كما تشيع تسميتها بـ "الجاش" أو "الغرم" عند أرياف تهامة (المحافظات الغربية)، أما في يافع التابعة لمحافظة لحج (جنوبا) فتُعرف بـ "المضاهاة"، وهناك مَنْ يطلق عليها "المعون"، مثل بعض المناطق في صنعاء (شمال اليمن)، وفقا لرصد من أشخاص من تلك المناطق.

كموروث اجتماعي، تتميز الإعانة بأنها تقوم على المبادرة الفردية المباشرة، ثم تتحوّل إلى مظاهرة تعاونية تضامنية في الأداء، حيث يقوم الأهالي بمساعدة شخص بشكل جماعي تطوّعي أثناء بناء بيته وخزان المياه (بركة) أو التبرّع بمال في حال المرض، ويقتضي عرفها أن لا يتخلّف أحد، إلا إذا كان مريضا أو ذا عذر مقبول، وترجع هذه الأنشطة، كما ذكرت دراسة عودة المبادرات المحلية في اليمن إلى العصور القديمة كحالة نشاط مجتمعي تضامني بين الأهالي، توارثوها جيلا بعد جيل، وكانت من نتائجه الأولى بناء المدرجات الزراعية على امتداد الجبال، والتي ما تزال قائمة حتى يومنا هذا.

على الرغم من أنهم يشكّلون أكثر من 60% من إجمالي سكان البلاد، وبسبب

محدودية البنية التحتية وصعوبة الوصول إلى الخدمات الأساسية كالتعليم والرعاية الصحية إلى مناطقهم، يُعَدّ الريفيون الأكثر عرضة للمخاطر من بين نحو 19 مليون يمّني يحتاج للمساعدات، بحسب وكالة الأمم المتحدة المتخصصة بالتنمية الريفية IFAD.

بين الواقع والماضي

في المرتفعات، عانى ما يزيد على 30600 فرد ينتمون إلى 6845 أسرة في قرى بلاد الوافي حالةً من الانعزال والتهميش، مع انقطاع الطريق الرئيسي الرابط بين العزلة ومنطقة الرمادة (على الخط الغربي تعز-الحديدة) بسبب المواجهات. لم يرضخ الأهالي لهذا الظرف، بل دفعتهم الحاجة إلى البحث عن المُمكّن، فكان موروث الإعانة ملهمهم الأول للبدء بشقّ وإصلاح طُرق جديدة، ثم تطوّر الجهد إلى استغلال منصّات التواصل الاجتماعي والمؤثّرين للمناصرة، مما أسهم في تحويل الجهود الفردية إلى مبادرة مجتمعية، حسب الوافي الرئيس الحالي للمبادرة.

تمكّنت هذه المبادرة عبر مشاركة الأهالي ومساهمة المغتربين والتجار وفاعلي الخير من جمع 71 مليون ريال يمّني، لرصف ما يقارب من اثنين كليو متر مربع في طرقات موليا والعارضة والقبع العليا بين منتصف 2024 - نوفمبر 2025، ثم توسعت المبادرة إلى ثلاث طرقات: القحفة، السفا، والقبع السفلى، وما زال العمل يمضي في بعضها حسب تقارير المبادرة.

كبلاد الوافي، شهدت المناطق الريفية اليمنية في السنوات الماضية عودة لـ"الإعانة"، سواء بالتكافل ومساعدة المحتاجين، أم بالمبادرات وإصلاح الطرقات وخزانات المياه واستمرار العملية التعليمية، لتُثبت أن هذا الموروث الاجتماعي ما زال قادرا على التكيّف حاضرا ومستقبلا. فعلى سبيل المثال لا الحصر، رصدت دراسة عودة المبادرات، 122 مبادرة ذاتية في 65 قرية، منها 44 مبادرة لشقّ ورصف الطرق، نفّذها الأهالي في مديرية بعدان بمحافظة إب (وسط البلاد).

يقول المحاضر في علم الاجتماع بجامعة تعز الدكتور محمود البكاري: "إن عودة هذه القيمة الاجتماعية بشكل لافت في الحرب جاءت نتيجة لحاجة الأسر التي اضطرت للنزوح من المدن إلى الريف من أجل تأمين احتياجاتهم والتخفيف من الأعباء المعيشية، خاصة مع غياب دور الدولة".

ومع انقطاع الرواتب وارتفاع سعر العملة وغياب الخدمات الأساسية، لجأ اليمنيون للبحث عن أشكال مختلفة من التكيّف بحثاً عن استمرار الحياة بعد عجز الدولة عن أداء مسؤولياتها، وهو ما جعلهم يتصرفون كأنهم ضمير الأنا الجمعي للأمة، كما وصفت

دراسته التكيّف الاجتماعي للمجتمع اليمني في ظل الأزمات. يوضح الدكتور البكاري أن "الإعانة" ترسّخت في الذاكرة الجمعية للمجتمع اليمني ثقافةً متوارثةً تعزّز قيم التراحم والتضامن والتكافل الاجتماعي، حتى إنها تحوّلت إلى تجربة مؤسسية في السبعينيات فيما عُرف باللجان التعاونية التي استطاعت بناء المدارس وشقّ الطرق في معظم المناطق الريفية. وأخيرًا يمكن التأكيد بأنه، على الرغم من الانهيار الذي أفرزته الحرب وغياب خدمات الدولة، وجد الريفيون ملاذًا في إحياء القيم القديمة، فقد كان حضورهم كبيرًا في ظلّ الأزمات التي عاشوها، فالإعانة كموروث فعلٌ اجتماعي مقاوم، يُثبت قدراتهم على التكيف. هكذا تصنع الثقافة أبطالًا عندما يحولون طاقاتهم إلى استراتيجية محفّزة على الصمود وبناء الأمل ولو في أقسى الظروف.

الإعانة خيط الموروث الذي لَمْ شتات الريف في زمن الحرب



عمران فرحان



"وا ذي السواقي" أغنية تجسّد الارتباط بالأرض وتعزز التعايش اليمن

عزالدين الصوفي

تشكّل الأغاني الشعبية لغة إنسانية تتجاوز الفوارق الثقافية واللهجات، وتعمل كأداة فعّالة في تعزيز القيم الاجتماعية وتقوية روح الانتماء والمجتمعي في اليمن، والتي عانت من آثار الحرب منذ عام 2015م وأضعف النسيج الاجتماعي والثقافي فيها. وفي مثل هذه الظروف، وجدت الأغاني التعزية مساحة لإعادة التواصل بين الناس، وحفظ ذاكرة مشتركة في الريف والحياة الجماعية. ومن بين هذه الأغاني تبرز أعمال الفنان عبد الباسط عبسي، لا سيما روائعه الريفية مثل "وا ذي السواقي" و"يا راعيات الغنم"، بوصفها تقليدًا غنائيًا يعكس علاقة الإنسان اليمني بأرضه، ويحوّل الموال التعزّي إلى لغة عالمية للسلام والتعايش.

هذا اللون الفني جاء امتدادًا لفنّ "الملالة التعزية" النسائي الشفاهي، الذي استطاع عبد الباسط أن ينقله إلى المسارح الدولية، محافظًا على جوهره الريفي وبساطته التعبيرية، فيغنّي عن المطر والزرع والبن، ويستحضر روح التعاون والعمل الجماعي الذي اشتهرت به تعز، فهذه الأغاني لا تزال تُغنّي في المجالس والمنتديات، مستدعية ذاكرة التعاونيات والفلاحين، بما يعزز شعورًا مشتركًا بالتماسك الاجتماعي ويؤكد أن الأرض والماء هي ملكية جماعية ورمز للحياة والوحدة، يتجاوز أي انقسام سياسي أو أيديولوجي.

يظلّ فنّ عبد الباسط عبسي، بتجسيده للريف التعزي بكل تفاصيله الإنسانية والجمالية، شاهدًا حيًا على قدرة الفن على تعزيز السلام والتعايش، والوسيلة الأكثر تأثيرًا لاستعادة القيم المشتركة بالعودة إلى حضن الأرض والذاكرة الغنائية التي تجمع الناس ولا تفرقهم.

ويؤكد الباحث في التراث الشعبي فهد القباطي أنّ "الأغنية اليمنية قديمة بقدم الحضارة اليمنية نفسها، ولا يمكن تحديد تاريخ دقيق لنشأتها، إلا أنّ الأدلة التاريخية تؤكد وجود الموسيقى والغناء في اليمن منذ آلاف السنين، فقد وجدت آلة العود منذ ألف سنة قبل الميلاد، كما أظهرت تماثيل في مغارة قديمة في صورتَي قينتين،

إحدهما تمسك بالعود اليمني القديم (الطنبور)، ما يوضح قدم هذا اللون الفني في الذاكرة اليمنية".

ويضيف القباطي أنّ "الأغاني التعزية التجديدية أو الرسمية الحديثة بدأت في خمسينيات وستينيات القرن الميلادي، ومن أبرز مَنْ غنوا هذه الأغاني محمد مرشد ناجي، وأيوب طارش، وعبد الباسط عبسي، والفنانين عبد الخالق القباطي وعبد إبراهيم الصبري وعبد الجليل العبسي، فيما برزت أصوات نسائية، مثل بنت شريان وزبيبة دماج ونعم شايع ومنى عليّ وفائزة عبد الله وأمل كُعدل". هذه الأسماء تمثل جسراً بين التراث الشعبي القديم والتجديد الموسيقي الحديث، مع الحفاظ على الطابع الأصيل للأغنية التعزية.

تؤدّي الأغنية التعزية في طقوس متعدّدة، وتختلف أساليب الأداء حسب المناطق، ففي بعض القرى يعتمد الفنانون على الإيقاعات الجماعية والهتافات المتناغمة، بينما تفضّل مناطق أخرى الأداء الفردي الممزوج بالشعر والغناء المرتجل. ويُشير القباطي إلى أن "تعدّد القوالب الغنائية في محافظة تعز يشمل أغاني العمل والبناء والفلاحة، وأغاني المرأة والمهد والطفولة، والمناسبات الفكرية والدينية، مع تفرّد بعض القوالب مثل الملالة التي تختص بها المرأة للتعبير عن الحزن أو الفقد أو التغني بالغياب أو الحبيب المغترب".

وتؤدّي الأغنية التعزية دوراً اجتماعياً محورياً، فهي تجمع الناس بمختلف خلفياتهم، وتحوّل المشاعر الفردية إلى شعور جماعي بالتضامن والتواصل. وإذا رجعنا إلى عبد العزيز المقالح في كتابه الوجه الضائع يقول: "الأغاني الشعبية تمتلك القدرة على رسم صورة المجتمع القديم، ومقوّماته الفكرية، وقيمه الاجتماعية والجمالية أكثر مما تمتلكه الأشعار الرسمية، فهي روح الشعب وصورة حيّة لحياته اليومية وأكثر صدقاً وتعبيراً".

ويظهر التنوّع الموسيقي للأغنية التعزية من الجمع بين الأداء الصوتي والإيقاعات التقليدية باستخدام الدفوف والطنبور، وأحياناً من مزجها مع آلات حديثة، ما يُضفي على الأغنية أبعاداً جمالية متعدّدة، بالإضافة إلى أنّ كلماتها تحمل دلالات الحبّ للوطن، والتغني بالأرض ومواسم الزراعة، والتعاون بين الناس، إضافة إلى التعبير عن الفرح والبهجة في المناسبات الاجتماعية والدينية.

على الصعيد الدولي، بدأت الأغنية التعزية تجد مكاناً لها في المحافل العربية والدولية من خلال المهرجانات والندوات الثقافية. ويقول الفنان الشعبي محمد عبد الملك: "أداء الأغنية التعزية في المهرجانات الدولية يتيح لنا إيصال رسالة للعالم بأنّ الفنّ قادر على جمع الناس وتقوية روابطها الإنسانية".

وقد حافظت الأغنية التعزية على حضورها في الأزمات، وهي مستمرة في توحيد الناس وتعزيز الهوية اليمنية. ويوضح الفنان عبد الملك: "حتى في أوقات الحرب والأزمات، حافظت الأغنية التعزية على حضورها وتأثيرها، وهي مستمرة في توحيد الناس ومواجهة أي عوامل تفرّق المجتمع. اهتمام الشباب بتعلّم هذا الفن وإحيائه يضمن استمرار دوره في ترسيخ الروابط الاجتماعية والثقافية، ويجعل من الأغنية التعزية عنصراً فعّالاً في نقل الهوية اليمنية وتعزيز الوحدة والتعايش بين الناس".

وبالإضافة إلى دورها الاجتماعي والوطني، تُتيح الأغنية التعزية فرصة للتعرف على الماضي الشعبي والتاريخي للمجتمع؛ إذ تحكي قصصاً عن الفلاحين والعمال والنساء والأحداث اليومية، وتُعيد للأحداث المحلية معناها الرمزي والاجتماعي، مع تعليم القيم الأساسية للأطفال منذ الصغر. وتظلّ كلمات الأغاني وسيلة لنقل تجارب المجتمع وتعاليمه الإنسانية، ما يجعلها أداة تعليمية وثقافية متجددة.

ورغم أهميتها، تواجه الأغنية التعزية تحديات كبيرة في العصر الحديث، أبرزها ضعف الإنتاج الموسيقي، وقلة الدراسات الأكاديمية، وغياب دعم مؤسسات الدولة، إضافة إلى محدودية استخدام التقنيات الحديثة. ويؤكد القباطي أنّ الحل يكمن في "توثيق الأغنية التراثية كما هي، مع الاحتفاظ بعيوبها ومميزاتها، ثم تقديمها بتوزيع موسيقي حديث، مع الحفاظ على جوهر الأغنية التراثية ومفرداتها، لضمان استمراريتها وتجاوز خطر الانقراض".

في النهاية، تظلّ الأغنية التعزية علامة فارقة في التراث اليمني، وشاهدًا على قدرة الفن الشعبي على توحيد الناس وتقديم العزاء والدفع النفسي في أصعب الظروف. ومع استمرار الاهتمام بالموروث الثقافي، يمكن لهذه الأغنية أن تؤدي دورًا أكبر في تعزيز التعايش والتقارب الاجتماعي، ليس داخل اليمن وحسب، بل على المستوى العربي والدولي، لتكون رمزًا حيًا لقدرة التراث والفن على جمع القلوب ومواجهة الصعاب الإنسانية.

واذي السواقي أغنية تجسد الارتباط بالأرض وتعزز التعايش اليمني



حمزة النهمي



إبداع الصمت: أناملُ تقطرُ فناً، وصرخةُ جمالٍ لا تحتاج إلى حنجرة

عبدالله فهد

في أحد أحياء الشيخ عثمان بمدينة عدن، نظر بعض الأشخاص إلى المبدع الأصمّ عبد الحكيم محمود، وهو يضبط زوايا كاميرته بنظرات تحمل استغراباً وسخرية، ظناً منهم أنه عاجز عن الإحساس بالمكان، بينما كان يقتنص انكسار الضوء على المسجد العثماني مستشعراً تاريخه القديم، بعينين عجزت عنها حواس السامعين. في هذا الواقع، تتشكّل مشاهد إبداعية صامتة، صاغتها أنامل اتّخذت من الريشة والعدسة لغة بديلة للتعبير عن الوجدان، حيث اختار هؤلاء المبدعون الصمّ تحويل السكون إلى فضاءات فنيّة واسعة بدلاً من انتظار الفرص. فمن هنا، تنقطع أوتار الصوت تماماً ليحلّ محلّها تدفق بصري مُذهّل، تصبح فيه حركة ورقة الشجر سيمفونية مرئية، ونظرة العين قصيدة وطنية، واهتزاز الضوء على صفحة الماء حواراً وجدانياً لا يحتاج إلى حنجرة. ومع ذلك، لا يزال الوعي المجتمعي القاصر يربط بين فقدان النطق وفقدان القدرة، على الرغم من أنّ الحقائق الحيّة تنقض هذا التصور من الأساس.

تستند القدرات الإبداعية للصمّ إلى حقائق علمية تفسّر براعتهم الاستثنائية في الفنون البصرية، وقدرتهم على تخيل الأبعاد والمساحات بشكل يفوق أحياناً أقرانهم الناطقين، ويؤكد الباحث الدكتور محمد سعود الزير، في دراسته المعنونة "الخصائص النفسية والاجتماعية للطلاب الصمّ"، أنّ 75% من معلومات الإنسان تمرّ عبر حاسة البصر، مقابل 13% فقط عبر حاسة السمع، ويدعم هذا الطرح نظرية المرونة العصبية بقدرة الدماغ على التكيف وتطوير الحواس؛ إذ يقوم الدماغ بإعادة توجيه الموارد العصبية لتعزيز مناطق الانتباه البصري، مانحاً الأصمّ دقّة فائقة في رصد التفاصيل، وهذا مؤشر قوي يرسّخ مركزية الإدراك البصري في التعلّم، ويثبت امتلاك الأصمّ أداة إدراك عالية التركيز بالفطرة، غير أنّ هذا الامتياز الفطري يصطدم بالعوائق المؤسسية والأنظمة التعليمية التي تركز فقط على الكلمة المنطوقة، مؤدياً إلى إقصاء الساحة الفنية من طاقات متنوعة قادرة على المشاركة في المشهد الثقافي العام. تزخر مدينة عدن بطاقات إبداعية هائلة من المبدعين ذوي الإعاقة السمعية بنسب

عالية وبقدرات متنوّعة، لكنها تُقصى بشكل واضح وصريح بحُجة الإعاقة، ولم تلقَ هذه الفئة حقّها المشروع في المشاركة ضمن الفضاءات الإبداعية بعدالة. فوفقاً لبيانات جمعية رعاية وتأهيل الصمّ في عدن، تضمّ الجمعية أكثر من 22 رساماً ورسامة و15 مصوراً ومصورة، وهو ما يعكس ثراءً بصرياً لافتاً داخل مدينة واحدة، لكن المفارقة تتجلّى في أنّ نسبة مشاركتهم في الفعاليات الفنية لا تتجاوز 5%، أما الدعوات الرسمية، فلا يصلهم منها سوى 40%، وغالباً ما تقتصر على أنشطة مدرسية محدودة لا تصل إلى فضاءات عامة، وهذا الإقصاء غير العادل يقضي على الطموح الفني لدى ذوي الإعاقة السمعية بشكل كبير، ويقوّض فرصة حضورهم في المحافل الفنية، ويُسقط استحقاقهم في المشاركة العامة، ويؤثّر على استمرايتهم ومستقبلهم، وهذا الإقصاء لا يمثل خسارة هؤلاء المبدعين وحدهم، بل يعني إفقاراً متعمّداً للساحة الفنية وحرماناً للمدينة من تنوّع بصري فريد صقلته الإرادة.

ومع ذلك، لا تكتمل الصورة من دون التوقف عند نماذج كسرت هذا الحاجز. ففي صنعاء، حولت فلة القُباطي تجربة التنمّر إلى مشروع وطني عبر تأسيس مركز "فتيات الصمّ التنموي"، الذي ساعد أكثر من 250 فتاة في مجالات فنية وتقنية. وفي حضرموت، نظّمت خريجات الفنون التشكيلية بجامعة حضرموت معرضاً فنياً بجهود ذاتية، قدمن فيه لوحاتٍ وأعمالاً يدوية عكست قُدرات إبداعية مذهلة. أما في عدن، فقد بدأت مبادرة "أنامل الصمّ للعطاء" طريقها بقيادة المخرج عبد الحكيم محمود، الذي أثبت موهبته في صناعة تسعة أفلام سينمائية بصمت أنامله، ونال جائزة ائتلاف الخير في مهرجان الأفلام القصيرة بمدينة المُكلا، إضافة إلى أنه مدرّب ينقل خبرته لشباب المدينة، ورغم انتقال المبادرة إلى الأستاذ أحمد ماهر، تمرّ اليوم بظروف صعبة بسبب الوضع الاقتصادي، وهنا يظهر حجم الإقصاء الذي يترك مثل هذه الشعلة تنطفئ وحيدة من دون دعم، ليظلّ المبدع الأصمّ في عدن يكافح وحيداً لصناعة مكانه وسط الجميع.

ولأنّ الإبداع يبدأ بالاعتماد على الذات، تبرز تجربة سميرة عبد اللاه التي شقّت طريقها بجهد شخصي منذ اكتشاف موهبتها في تدريب لغة الإشارة عام 2020، ثم انطلاقتها في عالم التصميم والطباعة بعدها بعام واحد، حيث تسعى سميرة لتطوير مهاراتها باستمرار، رغبةً منها في الاندماج مع المجتمع، وإثباتا لقدرتها على العطاء المستقل. وعلى الرغم من مشاركتها في فعاليات فنية عدّة في عدن، لم تكن تجاربها خالية من الألم؛ إذ واجهت نظرات تجعلها تشعر بأنها غريبة، وهو ما يدفعها أحياناً نحو الإحباط والعزلة، بسبب غياب المساحات التي تحتضن المبدعين الصمّ، وتوجه سميرة رسالة بسيطة ومؤثرة إلى صنّاع القرار والمجتمع، تُطالب فيها بفرص حقيقية وتطوير

للمواهب، بعيداً عن النظرات القاسية؛ لأنها تؤمن بأن المبدع الأصم يستحق مكاناً يحترمه في الساحة الفنية، ليس من باب المنحة أو التفضل، بل هو حق قانوني كفلته المواثيق الدولية؛ لتخرج قضيتهم من دائرة العاطفة إلى فضاء الاستحقاق.

وفي هذا السياق الحقوقي، تستند حماية الحقوق الثقافية للمبدعين الصم إلى مظلة تشريعية دولية متمثلة في المادة 30 من اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (CRPD)؛ إذ تلتزم الدول الموقعة، ومنها اليمن منذ عام 2009، باتخاذ التدابير اللازمة لضمان تنمية إمكانيات الصم، وقدراتهم الإبداعية، واستخدامها في إثراء التنوع الثقافي في المجتمعات. وعليه، يمثل غياب المبدعين، من ذوي الإعاقة السمعية و مترجمي لغة الإشارة في المحافل الثقافية، انتهاكاً للحقوق الدولية الموثقة، وهو الأمر الذي يجعل إشراكهم في الفضاءات الإبداعية استحقاقاً قانونياً ومساراً عادلاً يُعيد بناء الثقة والانتماء المشترك في مجتمع يحتاج بشدة إلى توظيف الفن لكسر عوائق العزلة الاجتماعية.

وفي الخلاصة، يمكن القول: إنّ المشهد الثقافي في عدن يقف أمام اختبار حقيقي يفرض علينا الانتقال من الحديث عن المعاناة وحسب إلى تقديم حلول عملية ملموسة. وبناء عليه، يبدأ التغيير الحقيقي بتمكين مترجم لغة الإشارة في الفعاليات كافة، وصياغة مناهج فنية تحتضن الجميع بلا استثناء. فالمشكلة لم تكن يوماً في إشاراتهم التي تنسج الجمال، بل في مدى إيماننا بصدق إبداعهم؛ إذ لا يبحث المبدع الأصم عن مجاملة، بل يتطلع إلى منصة عادلة تؤكد أنّ الفن لغة تتجاوز حدود النطق. ومن هنا، تبرز مسؤوليتنا في تحويل الدمج من شعار إلى واقع حيّ يُشرق فيه عطاؤهم. من أجل ذلك، ندعو وزارة الثقافة والمؤسسات الثقافية إلى إقرار نسبة عادلة في الفضاءات الإبداعية، واعتماد مترجمي لغة الإشارة شرطاً أساسياً لدعم الفعاليات العامة. فالاستثمار في هذه الطاقات هو استثمار في التنوع وقوة المجتمع، ولنتذكر دائماً أنّ الإبداع الحقيقي لا يعرف القيود، ولا يحتاج إلى حجرة ليصل إلى القلوب.

إبداع الصمت أناملُ تقطرُ فناً وصرخةُ جمالٍ لا تحتاجُ إلى حنجرة



شهد هادي



إرث علاجي قديم يفتح أبواباً جديدة للمستقبل

سميرة سالم

شكلت المياه الكبريتية في مدينة الحامي، منذ قرون طويلة، جزءاً أصيلاً من حياة سكانها، ومصدراً للعلاج والاسترخاء، وملأذاً للمرضى القادمين من داخل حضرموت وخارجها. ولم يكن هذا الإرث الطبيعي مجرد ظاهرة بيئية، بل أصبح عنصراً من عناصر الهوية الثقافية، للمدينة وذاكرة جمعية ارتبطت بالشفاء والزراعة وأنماط العيش الساحلي. واليوم، في ظل تنامي الاهتمام العالمي بالعلاج الطبيعي والبديل، تقف الحامي أمام سؤال مصيري: هل تبقى هذه الثروة الطبيعية حبيسة الاستخدام التقليدي، أم تتحول إلى مشروع تنموي يعيد الاعتبار للمدينة ويمنح شبابها فرصاً جديدة للحياة والعمل؟

تقع مدينة الحامي على الساحل الشرقي لمحافظة حضرموت، وتبعد عن مدينة المكلا نحو أكثر من 90 كيلومتراً، وتُعد من المدن الساحلية القديمة التي ارتبط اسمها بالمياه والشفاء منذ القدم، فالاسم التاريخي جاء نسبة إلى الحِمة الحامية، أي العين الحارة التي كانت مقصداً للمرضى للاستشفاء. وقد حفظت الذاكرة البحرية والشعر الشعبي هذا المعنى، إذ يرد في أحد الأهازيج الساحلية وصف الحامي بأنها «مرسى العافية ومورد السقيا»، في إشارة إلى دورها كمحطة للشفاء والتزود بالماء للبحارة والمسافرين.

يعرف ساحل الحامي تاريخياً باسم "الظاهرة"، وهي أرض زراعية خصبة منذ مئات السنين. وقد أشار المؤرخ بامخرمة في كتابه النسبة إلى المواضع والبلدان إلى هذه التسمية، نقلاً عن شيخه العلامة المؤرخ مسعود باشكيل . ومن هذا الاسم جاءت تسمية المزارع بـ"الظواهر"، مثل: ظاهرة باحميد، وظاهرة القنبح، وظاهرة بن قمري. كما أُطلق على ساحل البحر اسم "الظهار"، وهو القاع الساحلي، كما أشار الريان باطايع بقوله: خذ من خباره .. هَلِّب طرح في ظهاره

تعرف سعاره.. وإلا لقصد السقيه

ويرجع الاستخدام التاريخي لهذه المياه إلى عصور قديمة، حيث ارتبطت بحياة السكان اليومية وبحاجاتهم للعلاج والزراعة والاستقرار.

يشير الباحث مبارك باشحري إلى أن توارث استخدام المياه الكبريتية في الحامي تم عبر التجربة والمعرفة الشعبية المتراكمة، وأصبح جزءاً من الثقافة الصحية المحلية، باعتباره نمطاً من أنماط الحياة التي استمرت حتى فترات متأخرة من القرن العشرين.

وتعود القيمة العلاجية لهذه المياه إلى تركيبها الكيميائي الغني بعناصر معدنية متعددة، من بينها الكبريت والكالسيوم والصوديوم والفلور ومركبات السلفات واليود والبرومين. وتمنح هذه العناصر المياه خصائص تساعد على تخفيف الالتهابات الجلدية، وإرخاء الأعصاب، وتسريع التئام الجروح، وتخفيف آلام المفاصل والعضلات واضطرابات الجهاز الهضمي. كما يُستخدم الكبريت المصاحب للمياه في التدليك والعلاج العضلي، وهو ما يجعل هذه العيون أقرب إلى حمامات علاج طبيعي مفتوحة في الهواء الطلق، تجمع بين الفائدة الصحية والبيئة الطبيعية الساحلية. ومن أبرز العيون المائية لمدينة الحامي عين الروضة وهي الأكثر إقبالا وتستخدم لعلاج أمراض الروماتيزم والام الظهر، وعين باحميد وهي معروفة بعلاج أمراض اللثة والأسنان واضطرابات المعدة، أيضا جالية بو سالم متخصصة في علاج الأمراض الجلدية مثل الأ كزيما والحساسية، أما معيان علوي فيعمل على تخفيف التصلبات العصبية ومشكلات الدورة الدموية.

ومن هذا المنطلق، فإن تحويل هذا الإرث الطبيعي إلى مشروع تنموي ضرورة اجتماعية واقتصادية تفرضها أوضاع الشباب والحاجة إلى مصادر دخل محلية مستدامة. فالسياحة العلاجية تمثل فرصة واقعية لربط التراث الطبيعي بالتنمية الحديثة، بما يحفظ هوية المكان ويمنحه دوراً اقتصادياً جديداً في الحامي. وفي هذا السياق، يؤكد خالد مدرك، رئيس مؤسسة حضرموت للتراث والثقافة، أن نجاح هذا التحول مرهون بتوفر الإرادة لدى السلطات المحلية في مركز الحامي ومديرية الشحر، من خلال إنشاء مرافق منظمة للاستشفاء والعلاج الطبيعي، وتوفير بنية خدمية للزوار، وإطلاق برامج تدريبية للشباب في مجالات الإرشاد والعلاج والخدمات السياحية، بما يسهم في تنشيط الحركة الاقتصادية وتعزيز مكانة الحامي كمركز للسياحة العلاجية.

ولا تكتمل أي رؤية تنموية دون مراعاة السياق الاجتماعي والاقتصادي القائم، فالمطلوب ليس مشاريع ضخمة تفوق إمكانيات المدينة، بل خطوات تدريجية مدروسة تنطلق من الواقع المحلي وتبني عليه، وتحول هذا المورد الطبيعي إلى منظومة بسيطة لكنها فعّالة، تخلق فرص عمل، وتعزز ارتباط المجتمع بمكانه، وتعيد الثقة بإمكانية التنمية من الداخل.

وأخيرا يمكن القول إن المياه الكبريتية في الحامي تقف اليوم عند مفترق طرق تاريخي: إما أن تبقى إرثاً طبيعياً مهملاً يروى في الذاكرة فقط، أو تتحول إلى مشروع تنموي يعيد الاعتبار للمدينة ويمنح أبنائها أفقاً جديداً للحياة والعمل. إن استثمار هذه المياه هو استثمار في تاريخ طويل من التجارب الإنسانية، وفي ذاكرة جماعية، وفي فرصة حقيقية لبناء مستقبل مختلف في ظل الإمكانيات المتاحة والسياق الاجتماعي القائم.

إرث علاجي قديم يفتح أبواباً جديدة للمستقبل



علي العيدروس



اكسروا صورته النمطية: المقهى الشعبي حيث يلتقي الشاي بالمعرفة

دعاء عيين

"كوب شاي يا وليد"... هكذا يبدأ النهار عند كثير من الحضارم، حيث يرتادون المقاهي الشعبية كروتين يومي صباحاً ومساءً؛ لتبدأ عندها الحياة الاجتماعية وتنتهي فيها. فقد أصبحت هذه المقاهي جزءاً لا يتجزأ من تفاصيل الحياة اليومية، ومكاناً يلتقي فيه الأصدقاء والمعارف لتبادل الأحاديث وقضاء الوقت. لكن خلف هذا المشهد اليومي المعتاد، تكمن حقيقة مُرة؛ وهي أننا أهدرنا قيمة هذه المساحات وحصرناها في صورة نمطية ضيقة، فبدلاً من أن يكون المقهى فضاءً يغذي العقل، صار مجرد مكان لضياح أوقات الفراغ في نقاشات واهية لا تسمن ولا تغني من جوع، وأحاديث عابرة تمرّ كما يمرّ دخان الشاي في الهواء، دون أن تترك أثراً ملحوظاً في حياتنا أو وعينا. نحن اليوم نغفل عن الكنز الثقافي المدفون في زوايا هذه المقاهي، ونكتفي منها بضجيج الأفواه وصمت العقول.

إن المقهى في جوهره لم يكن يوماً مكاناً للهو العابر، والتاريخ يخبرنا ذلك بوضوح. فلو عدنا لما نشرته "اليونسكو" في مقالها "المقاهي.. غليان ثقافي"، لوجدنا أنها كانت منذ القرن السادس عشر المصنع الحقيقي للرأي العام في أوروبا والشرق الأوسط والمختبر الأول لأعظم الأفكار حيث كانت تتناوب الفناجين على الطاولات، حتى غدت المقاهي جسراً يربط بين عُزلة الفرد وحيوية الجماعة. لكن اليوم، تغيّر الحال كثيراً، وصارت المقاهي الشعبية في أغلبها مكاناً لضياح الوقت لا أكثر، وبدلاً من أن تكون جلسة الشاي فرصة لتبادل فكرة مفيدة أو حوار هادئ، تحولت في كثير من الأحيان إلى مجالس للصراعات والمشادات حول السياسة، أو مكاناً للقليل والقال والنميمة التي لا تنتهي، ونخرج منه بنفس العقول التي دخلناه بها، دون أن نقرأ صفحة أو نتعلم شيئاً جديداً يغير من واقعنا.

وفي قلب هذا الواقع، تبرز تجربة حيّة من مدينة المكلا تعيد للمقهى اعتباره، وتحديدًا في ذلك الركن الذي يقع تحت أحد جسور المدينة المطلة على الخور؛ هناك في مساحة كانت مهجورة ومنسية لسنوات، تحول المقهى الشعبي البسيط إلى مزار يومي لا

يُطلب فيه الشاي فحسب، بل تُطلب فيه المعرفة أيضاً. المكان متواضع بملامحه، لكنه غني برفوفه الخشبية التي تحمل كتباً متنوعة، شكلت مكتبة صغيرة تكسر روتين الجلوس الطويل كما رصده تقرير لقناة السعيدة؛ حيث تجد شباباً وكبار سن يطالعون الكتب بهدوء بعيداً عن ضجيج الشارع، في خطوة يصفها محمد بن شبراق صاحب المقهى بأنها جاءت استجابة لرغبة الرواد، خاصة المتقاعدين منهم في استغلال أوقاتهم بما يفيد. ويؤكد "عبدالله" أحد الرواد الدائمين، أن هذه المكتبة أصبحت مكاناً يجد فيه الناس إجابات لأسئلتهم من خلال روتينهم اليومي لشرب الشاي.

هذا التحول ليس محصوراً في المكلا، فالتجارب العربية لا سيما في المملكة العربية السعودية تقدم نماذج ملهمة كما ورد في مقال "المقاهي الثقافية.. محاولة استعادية"؛ ففي مكة المكرمة، أعاد مقهى "هافانا" الروح للأُمسيات الشعرية والفعاليات الأدبية، حيث يؤمن مؤسسه حامد القرشي بأن "الثقافة يجب أن تذهب إلى الناس في المقهى، بدلاً من أن يذهبوا هم إليها في الأندية الرسمية". وفي جدة يشير الإعلامي كمال عبدالقادر، مؤسس مقهى "أرومشي" إلى أن إقبال الرواد على القراءة يعكس استعداداً ثقافياً حقيقياً لدى المجتمع، وهو ما يراه الشاعر أحمد الزهراني إضافة إيجابية للحراك الثقافي، شريطة أن تتوفر لها الاستمرارية والتخطيط. ولكن، كيف نجعل من هذه التجارب واقعاً معمماً في كل مقاهينا؟

إن عجلة التغيير لن تدور فعلياً إلا حين يدرك صاحب المقهى أن دوره الحقيقي لا يقتصر على إعداد الشاي وتقديمه لمرتديه فحسب، بل يصل إلى خلق أثر واضح في عقولهم والمساهمة الفاعلة في صناعة وعيهم، والسبيل إلى ذلك ليس بالتعقيد الذي نتخلله بل في خطوات عملية تناسب مع طبيعة المقهى؛ فبدلاً من الأخبار المقلقة التي تبثها الشاشات يمكن عرض وثائقيات قصيرة أو برامج للمعلومات العامة تفتح باب الحوار البناء، بالإضافة إلى تخصيص ركن هادئ يحمل صحفاً ومجلات وكتباً خفيفة تغري الرواد بالاطلاع. كما يمكن للمبادرات الشبابية أن تقوم بدور فعال يعكس مدى ارتباط الثقافة بالمجتمع بعيداً عن القوالب الفكرية الجامدة والخطاب المتكلف الذي غالباً لا يفهمه إلا نخبة الناس، لتفتح نقاشات بسيطة وعفوية مع المرتادين حول قضايا تهم حياتهم مما يكسر الحاجز النفسي بين المواطن البسيط والكتاب، بالإضافة إلى تزويد المقاهي بحقائب كتب دورية تتغير باستمرار، مما يخلق حالة من الترقب المعرفي، ويحول الجلسة من مجرد انتظار عابر إلى رحلة استكشاف ممتعة.

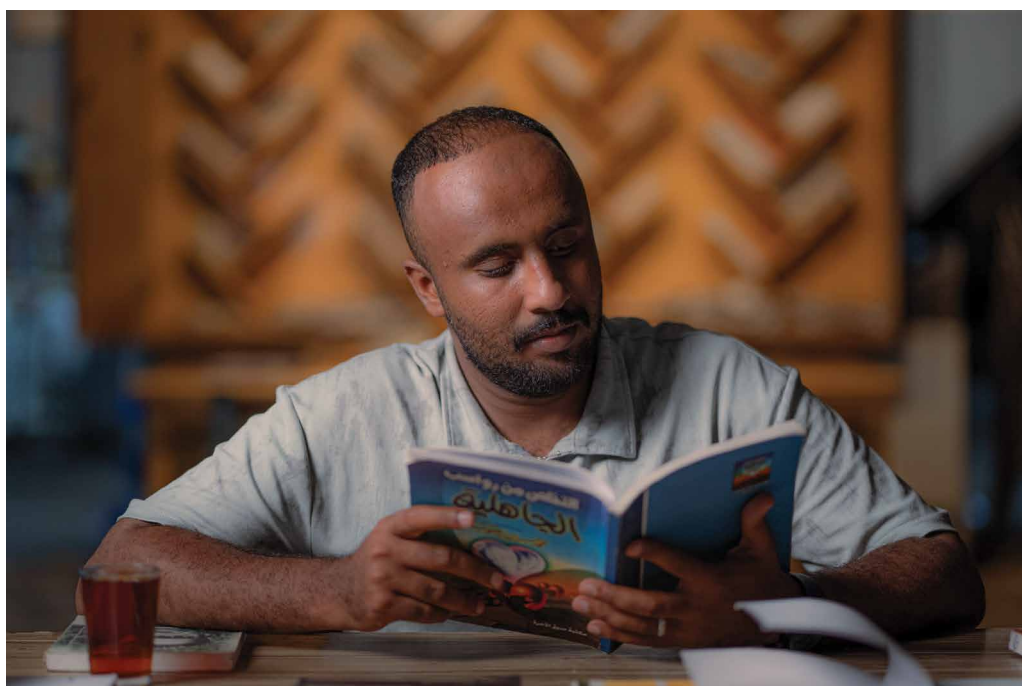
إن نتائج هذا الحراك لن تتوقف عند حدود المعرفة بل ستعكس على سلوكنا

اليومي، فعندما ينشغل العقل بفكرة ملهمة، يهدأ صخب المشادات الكلامية، ويحل الاحترام والإنصات محل الصراع والخصام. سننجح حينها في تحويل المقهى من بيئة لاستنزاف الطاقات إلى فضاء آمن للجيل الجديد، يتعلم فيه الشباب من كبار السن أدب الحوار ومعنى استثمار العمر، بدلاً من الفراغ الذي يجرحهم نحو سلوكيات لا تخدمهم ولا تخدم مجتمعهم.

وفي ضوء ما سبق، يمكن القول أن المقهى الشعبي هو المرأة الصديقة لوعينا؛ فبين رشفة شاي وحديث عابر، يمكن أن تولد فكرة تغير حياة، أو تُقرأ صفحة تفتح آفاقاً جديدة لم نكن نراها من قبل. إن الرهان اليوم ليس على "ديكور" المكان، بل على قيمته المضافة في تحويل هذا الروتين اليومي إلى فعل حضاري يليق بإرثنا؛ لأن مقاهينا ليست مجرد كراسي خشبية صماء، بل هي منصات قادرة على بناء مجتمع أكثر تماسكاً وفهماً، إذا ما قررنا بكل بساطة أن نجعل من "جلسة الشاي" لحظة تنوير حقيقية.

اكسروا صورته النمطية_ المقهى الشعبي حيث يلتقي الشاي بالمعرفة

أسامة باحفين



البرع في الحُجْرية: من رقصة احتفالية إلى جسر للتكافل الاجتماعي

حسن بوغانم 

تحت غبار الميادين في قلب قرى الحُجْرية، يرتفع صوت الطاسة ليُعلن عن بدء طقس لا يُشبه غيره، إنه البرع، الرقصة التي تختزل كبرياء الأرض وهويّتها. وفي هذه المنطقة الواقعة جنوب تعز، تذوب الفوارق الطبقيّة، ظاهرياً، في حلقة دائرية واحدة، حيث يتلاشى التراتب أمام سطوة الإيقاع. ومع ذلك، يطرح هذا المشهد المهيّب تساؤلاً جوهرياً حول حقيقة هذا التلاحم؛ إذ يمثّل البرع في الحُجْرية حالة من المساواة المؤقّتة التي تنتهي بانتهاء قرع الطبول، مما يجعل الاستهلاك الثقافي لفئة المهمّشين مجرد تقدير للفنّ مع استمرار إقصاء الفنان عن حقوقه الإنسانية والمدنية. تُعدّ رقصة البرع وسيلة فريدة لتعزيز الترابط الاجتماعي، ففي حلقة الرقص، تتشابه أيدي القبيلي والمهمّش بعيداً عن القيود التقليديّة، حيث يفرض الإيقاع لغة جسدية موحّدة. يظهر هذا الجذب بوضوح في المناسبات التي تجمع الطرفين في صف واحد وتلاحم بالأكتاف، مما يُشير إلى أنّ الفن الشعبي يمتلك قدرة مؤقتة على إذابة الحواجز التي تعجز السياسة عن كسرها، لكنها تظلّ إذابة مرتبطة بال لحظة الاحتفالية فقط، ولا تمتدّ لتشكّل وعياً اجتماعياً مستداماً.

يعيش المهمّش داخل هذه الحلقة حالة حادّة من التشويش بين زهو المبدع وانكسار الواقع. فبينما يرى نظرات الذهول تلاحق حركات قدميه، يدرك بمرارة أنّ هذا القبول مشروط بزمن الرقصة. يقول أحد مؤدي الإيقاع من فئة المهمّشين واصفاً هذا الشعور في الميدان: "أشعر أنني مَلِك، والجميع ينظر إليّ بإجلال، لكن ما إن أضع الطاسة جانباً، أعود في نظرهم ذلك الشخص الذي لا يُسمح له بمصاهرتهم أو الجلوس في صدر مجالسهم". هذا الربط السببي بين صمت الإيقاع وعودة التهميش يؤكّد أن المجتمع يمنح المهمّش لحظة عبور مؤقتة تنتهي صلاحيتها بمجرد صمت المرافع، مما يجعل الاندماج مجرد عرض مسرحي، لا واقعاً معاشاً.

يتحوّل هذا الوجد إلى استغلال حقيقي حين يقتصر التعامل مع هذه الفئة على الاستهلاك الثقافي من دون منحهم أبسط حقوق المواطنة. نحن نفخر بمنتجاتهم

من فخار ومنسوجات، ونُشيد بأصالة مهاراتهم، بينما يُحرم هؤلاء من العقود الرسمية أو التأمين الصحي. وتؤكد دراسات سوسيولوجية حول الرأس مال الثقافي أنّ المجتمعات التقليدية غالباً ما تستولي على القيمة الرمزية للفنون الشعبية مع تجريد صانعيها من القيمة المادية والاجتماعية. هذا التناقض يُثبت أنّ المجتمع يستهلك الإبداع سلعةً رخيصةً، بينما يترك المبدع في مواجهة مباشرة مع الفقر، مما يحوّل التراث إلى عبء على صانعيه، بدلاً من أن يكون رافعة لحياتهم.

إنّ الطريق نحو تغيير هذا الواقع يبدأ من تحويل الرموز الثقافية إلى التزامات أخلاقية ومؤسسية فاعلة. ويبرز هنا دور القدوة، مثل زيارة الفنان أيوب طارش لعازف الإيقاع غيلان، أو حضور الشخصيات الاجتماعية أعراس المهّمّشين، وهي رسائل قوية تكسر جدران العزلة، لكن هذه المبادرات تظلّ منقوصة ما لم تُترجم إلى ميثاق أخلاقي يتضمّن تمكيناً اقتصادياً ودمجاً حقيقياً، فالمشاركة الإنسانية الصادقة هي التي تبدأ بعد انتهاء الرقصة، لا في أثنائها فقط. وتشدّد تقارير المنظمات الدولية المعنية بحقوق الأقليات على أنّ الاعتراف بالحقوق الثقافية يجب أن يتوازى مع العدالة التوزيعية لضمان كرامة العمال الثقافيين.

البرع في الحُجْرية من رقصة احتفالية إلى جسر للتكافل الاجتماعي

صالح الشيباني



الشائعات تأكل الحقيقة في حضر موت

حسن بوغانم

ماذا يحدث عندما تتحول كلمة غير مؤكدة إلى شبه حقيقة متداولة في المجالس والمنصات الرقمية؟ وكيف يمكن لرسالة مجهولة المصدر أن تُربك مجتمعًا عُرف بحكمته وتماسكه؟ في حضر موت أصبحت الشائعة عاملاً مؤثرًا في تشكيل الرأي العام وزعزعة الثقة داخل المجتمع، لا سيما في مديرية القطن، حيث تتشابك العلاقات الأسرية والاجتماعية بشكل وثيق. وهنا تكمن خطورة الظاهرة؛ إذ تضرب في عمق القيم التي قام عليها المجتمع الحضرمي من سمعة طيبة، وحسن ظن، وترباط عائلي. وإذا تأملنا الواقع عن قرب، نجد أن الشائعة حين تنتشر في بيئة اجتماعية مترابطة، كبيئة القطن، تتحول إلى عنصر ضغط يؤثر في العلاقات اليومية، وفي نظرة الناس بعضهم إلى بعض. ويمكن إدراك خطورة ذلك من خلال أمثلة واقعية شهدناها المجتمع. فقد تناقل الناس في وقت سابق خبرًا عن وفاة أحد أبناء مديرية القطن، وهو المرحوم أحمد صلاح، حيث انتشرت رسالة تفيد بأنه توفي في مستشفى القطن العام بعد تعرضه لحادث. وصل الخبر سريعًا إلى أسرته وأقاربه، فدخلت العائلة في حالة من الصدمة والهلج، وبدأت الاتصالات والتعازي قبل التحقق من صحة الخبر. غير أن أفرادًا من أسرته توجهوا إلى المستشفى، ليتبين لهم أن الخبر غير صحيح، وأنه لا يزال على قيد الحياة في تلك اللحظة. ورغم أن الحقيقة ظهرت لاحقًا، فإن الأثر النفسي الذي خلفته الشائعة كان كبيرًا على العائلة وكل من سمع الخبر. إن مثل هذه الحوادث توضح كيف يمكن لكلمة غير دقيقة أن تخلق حالة من القلق والاضطراب داخل مجتمع صغير مترابط.

وفي القطن، يكفي أحيانًا تسجيل صوتي مجهول المصدر يتناول قضية اجتماعية أو إدارية حتى تبدأ دوائر الشك في الاتساع. وقبل فترة تناقل بعض الأهالي رسالة غير موثقة حول قرار إداري قيل إنه يمس مصالح فئة معينة، فاشتعلت التعليقات، وتبادل الناس الاتهامات، قبل أن يتبين لاحقًا أن الخبر غير دقيق، وأن مضمونه مجتزأ من سياقه. لكن الضرر كان قد وقع؛ فقد توترت علاقات، واهتزت ثقة، وانشغلت المجالس بحديث لم يكن موجودا في الأساس.

وفي مجتمع يعرف أفرادَه بعضهم بعضًا بالاسم والنسب، تكون الشائعة أكثر قسوة؛ لأنها لا تطال جهة مجهولة، بل تمس شخصًا حاضرًا في السوق أو المسجد أو المدرسة. فكلمة غير دقيقة قد تشوه سمعة تاجر، أو تثير الشك حول موظف، أو تضع أسرة كاملة في دائرة التساؤل. وهنا لا نتحدث عن أثر معنوي فحسب، بل عن نتائج ملموسة تتمثل في فتور العلاقات، والإحراج الاجتماعي، وربما قطيعة يصعب ترميمها.

وتتغذى الشائعات غالبًا على غياب المعلومة الواضحة أو تأخرها؛ فعندما لا يجد الناس تفسيرًا رسميًا لحدث ما، يملؤون الفراغ بالتخمين. غير أن الخطورة تكمن في تحويل الظن إلى يقين، ثم إعادة نشره على نطاق واسع دون تحقق. ومع تكرار هذا السلوك تتشكل بيئة يصبح فيها «الأكثر تداولًا» هو الأقرب إلى التصديق، لا «الأكثر دقة».

ومع ذلك فإن المجتمع يملك أدوات المواجهة. ففي القطن يؤدي بعض الأئمة والخطباء دورًا مهمًا في التذكير بحرمة نقل الأخبار دون تثبيت، مستندين إلى توجيهات دينية واضحة تدعو إلى صون الأعراض والتحقق من المعلومات، كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا). كما ينبه عدد من المعلمين والمثقفين طلابهم إلى أهمية التفكير النقدي وعدم الانسياق خلف كل ما يُنشر في المنصات الرقمية. وهذه الجهود، وإن لم تكن مؤطرة رسميًا، تمثل حاجزًا أخلاقيًا يحد من تفشي الشائعات.

أما الإعلام المحلي فمسؤوليته كبيرة في هذا السياق؛ فعندما تبادر المنصات الإخبارية الموثوقة إلى نشر معلومات دقيقة وسريعة وشفافة، فإنها تسهم في تضيق مساحة الشائعة. وفي مديرية القطن مثلاً يمكن أن يلعب الإعلام المرتبط بالمؤسسات الرسمية دورًا مهمًا في توضيح الحقائق، مثل الإعلام التابع لمستشفى القطن العام الذي قد يصدر توضيحات حول بعض الحالات أو الأخبار المتداولة، وكذلك المنصات الإعلامية التابعة للسلطة المحلية في المديرية، التي يمكنها نشر البيانات الرسمية وتوضيح القرارات الإدارية. وقد أثبتت التجارب أن صدور بيان واضح، وفي الوقت المناسب، من جهة موثوقة كفيل بإخماد كثير من التأويلات وإعادة النقاش إلى مساره الصحيح.

إن معالجة الشائعات تعني ممارسة الحرية بمسؤولية؛ فهناك فرق بين إبداء الرأي ونشر معلومة غير مؤكدة. والمجتمع الذي يدرك أفرادَه أن الكلمة مسؤولية، وأن سمعة الناس ليست مجالًا للتجريب، يكون أقدر على حماية تماسكه. وثقافة السلام تبدأ من تفاصيل صغيرة: الامتناع عن إعادة نشر خبر غير موثوق، والسؤال عن المصدر،

والتواصل المباشر مع المعنيين بدلاً من تداول الحديث عنهم في غيابهم. حضرموت، التي عُرفت بتاريخها العريق وتقاليدها القائمة على الحكمة، قادرة على تجاوز هذا التحدي، لكن ذلك يتطلب وعياً متجدداً يواكب العصر الرقمي. فلا بد من مهارة التحقق وإدراك أن الشائعة قد تكون أخطر من الخلاف نفسه. وفي المحصلة، الشائعات قضية تمس صميم التماسك الاجتماعي. وإذا كان المجتمع الحضرمي قد حافظ على استقراره عبر عقود بفضل حكمته وتلاحمه، فإن المرحلة الراهنة تفرض عليه مسؤولية إضافية: حماية الحقيقة من التآكل في فضاء رقمي مفتوح. فالحقيقة، إن لم تجد من يصونها، تتراجع، ومع تراجعها تتراجع الثقة. ومن هنا فإن الدفاع عن الحقيقة واجب جماعي يحفظ للمجتمع وحدته ويصون مستقبله.

الشائعات تآكل الحقيقة في حضرموت



إبراهيم باسالم



الشعر الشعبي في حضرموت لسان المجتمع وصوت السلام

بقلم:

في صباح أحد الأيام الجميلة عند أبناء منطقة تاربة بمديرية سيئون سيتم فيه افتتاح أحد المجمعات التنموية النموذجية الذي يحتوي على مدرسة ووحدة صحية ومسجد ومساحة آمنة للأطفال تخدم المئات من أبناء المنطقة، لكن الفرحة كانت منقوصة لدى القيادات المجتمعية ومسؤولي المنظمة المنفذة والطلاب لعدم قدرة الإدارة التربوية على توفير كادر تعليمي للمدرسة نتيجة ظروف الحرب وضعف الإمكانيات. كان للشاعر الشعبي خليل باسيف طريقته الخاصة عبر قريحته الشعرية، مستغلاً وجود قيادة السلطة المحلية، للتعبير عن هذه الحاجة، فقال في قصيدته:

مجمع الاندلس درّة بناءعشرة على عشرة

يزر كل من لحق زرّةكانه القمر شعبان

وأیضا مدرسة تعليم ...حلوّة رائعة تصميم

متى بیصدر التعمیم ؟ ... فیها یدرسون الان

نرید المدرسة تعمل وذا الإنجاز لا یهمل

عسى التدشين ذا یكمل... لیصبح به كل أبو فرحان

فبعد سماع قيادة السلطة المحلية للقصيدة استفسرت عن سبب المشكلة، ووجه خلال الحفل بمعالجتها وانطلاق العملية التعليمية مع انطلاق العام الجديد وسط فرحة كبيرة لدى الجميع. فهل يكون الشعر الشعبي لسان حال المجتمع ؟ وكيف يمكن أن ينقل همومه ويعبر عن تطلعاته ويشكل أداة ضغط للتأثير على صاحب القرار ؟

القصة أعلاه تجسيد للدور الوظيفي الإيجابي للشعر الشعبي الحضرمي حيث يتحول فيه الشاعر من فنان الى مصلح اجتماعي ومعبر عن صوت المجتمع واحتياجه.

فتاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي يمكن قراءته من خلال أبيات الشعر الشعبي التي ساهمت في تشكيل تحولاته ومعرفة قاداته السياسيين والاجتماعيين للواقع ، فقد استخدم الشعر أداة دبلوماسية فاعلة وقناة اتصال سياسي ابداعى، فكان له صوت يفوق صوت المدافع والرصاص في كثير من الأحيان، وفعل مؤثر لإرساء دعائم التسامح والتعايش والسلام. ولعل الشاعر السياسي حسين بن حامد المحضار (1865-1927) أحد أبرز الوجوه السياسية المؤثرة التي استخدمت الشعر الشعبي لتفكيك عقدة النزاعات المستعصية سواء تلك القبيلة أو التي تنشأ بين السلطنتين الكثيرة والقعيطية وهو الرجل الذي كان يشغل منصب وزير في الأخيرة حتى لقب بـ"بسمارك حضرموت". فمن أبياته في الجانب الدبلوماسي والسياسي ودعوته للتعايش والتقارب، قوله:

ياكثيري وياقعيطي كفى الفرقة كفاكم
يجمع الله شملكم والعدا ما تشفاكم

وسعى الشاعر من خلال عمله السياسي وقصائدته الشعرية التي استخدمها رسائل سياسية واجتماعية تحت على وحدة الصف ونبذ التعصب والفرقة، حتى توجت جهوده مع الخيرين إلى عقد ما سمي بحلف الإخاء والصدقة بين الدولتين القعيطية والكثيرة .

وفي النقد البناء برز الشاعر الحضرمي الكبير حسين أبو بكر المحضار الذي كان يمثل حزباً للمعارضة والتصحيح بكلمته الصادقة والقاءه الشعر بلسان حال المواطن والمجتمع ففي انتقاده للأوضاع الخدمية وضعف أداء أجهزة الدولة يقول في قصيدته الشهيرة (عودت نفسي على الجلد والصلابة):

منيحتك كانت تسوي حلابة
وتفت منها للسقل والشياطة

واليوم قد ضعفت وقد ظهرها الشيب
عافت مراعي الراك

كل من استأمن على زمانه يصلح له
ياصاحبي قل له خرب مبناك

مثلت هذه الأبيات والموقف جزءاً من استراتيجية ثقافية عميقة الجذور في الشخصية الحضرمية تعتمد على النقد من الداخل وبناء قيم التسامح عبر استدعاء الموروث الديني والأخلاقي فالشعر الشعبي كان دائماً هو الميزان الذي يزن الأخطاء

الاجتماعية ويقومها قبل أن تتحول إلى ظواهر مدمرة للنسيج الوطني. في الآونة الأخيرة تراجع دور الشعر الشعبي وخاصة مع في ظل الحرب حيث عزف الكثير من الشباب عن ممارسته أو استخدام فنونه في الافراح ، ويعزوا المختص في الشعر الشعبي الأستاذ والشاعر رياض باسلامة ذلك الى " ضعف التعاطي الإعلامي مع الشعر الشعبي وعدم رغبة شعراء المدارة الشباب في الظهور الإعلامي ناهيك عن التكاليف المتزايدة لإقامة مثل هذه الفعاليات والجلسات في ظل الأوضاع المعيشية الصعبة التي حدت بدورها من التعاطي العام مع هذا الفن الحضرمي الأصيل". حقيقة يمثل الشعر الشعبي في حضرموت أحدى أعمدة التراث الثقافي اللامادي باعتبار أداة تواصل شعبي حر بين القاعدة الشعبية وبين القيادة والنخبة، ويسعى المجتمع من خلاله إلى نقل وتعزيز القيم الحميدة التي تعزز الهوية والثقافة والانتماء، بالإضافة الى دوره الجوهرى في حل النزاعات وحقق الدماء وتعزيز التعايش المجتمعي. كل هذا تتطلبه المرحلة الراهنة التي نحتاج فيها إلى تكاتف الجهود الرسمية والشعبية لحماية هذا الفن من الاندثار أو التشويه. إن عزوف بعض الشباب عن التعاطي مع الشعر الشعبي بسبب الاستقطابات الحادة أو دخول لغة التجريح في بعض المساجلات يمثل جرس إنذار يجب الانتباه له لذا، يجب دعم المبادرات الثقافية التي تهدف إلى إعادة الاعتبار لـ "المدارة" كفضاء تربوي وتوعوي، وتكريم الشعراء الذين يحملون مشعل الحكمة والإصلاح.

الشعر الشعبي في حضرموت لسان المجتمع وصوت السلام

عبدالله السقاف



العادات كعادة ثقافية لمواجهة عزلة الأجيال وتعزيز التماسك في المجتمع الحضري

عبدالله مؤمن

في يوم عيد مزدحم بمدينة تريم في محافظة حضرموت، تمر ساعات ما بعد صلاة العيد دون أن تكتظ بعض المنازل بالمهنيين كما كان في الماضي القريب، إذ لم تعد بيوت الحارة تتداخل وكأنها بيت واحد في مناسبة عيدية كهذه. وغدت البيوت المفتوحة تستقبل كبار السن غالباً، وسط غياب نسبي ملحوظ للشباب، فبينما يكتفي "الجيل زد" بتهنئة عيدية رقمية عبر رسالة قصيرة بالهاتف أو أحد تطبيقات المراسلة. تتراجع نسبياً مشاهد الزيارات الجماعية التي شكلت لعقود ملامح العواد بطريقته الحضرمية، كتقليد اجتماعي كان يربط الأسر ببعضها والأجيال بجذورها، ما يستوجب بذل مزيد من الجهد لتستعيد "العادات" ألقها بين جيل الشباب، كأحد مظاهر العيد في حضرموت وكعادة ثقافية لمواجهة عزلة الأجيال وتعزيز التماسك الاجتماعي الحضري.

ولعل صورة العواد المعتادة باجتماع أبناء القبيلة الواحدة في بيت أسنهم أو ما يعرف بالعاقل لتقديم التهاني بالعيد، والذهاب إلى بيوت الأقارب والجيران والأرحام وبحضور أجيال مختلفة، كما يؤكد حماد بن شهاب الدين في كتابه (الدليل القويم في عادات تريم)، باتت تواجه تراجعاً ملحوظاً من فئة الشباب والأجيال الجديدة واقتصرت إلى حد كبير على أرباب الأسر والمسنين، بعد أن كانت تشهد حضوراً لافتاً لفئات عمرية مختلفة.

فما كان يمثل طقوس عيدية متوارثة يقدرها الباحثون التاريخيون في حضرموت لنحو ثلاثة قرون ويرجعها آخرون إلى حقبة دخول الإسلام للمدن الحضرمية، باتت تواجه اليوم تحدياً في شكلها المعتاد. وربما يرجع ذلك لأسباب متعددة تتعلق بتسارع نمط الحياة وهيمنة التواصل الرقمي ما انعكس على طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل القبائل والأسر الحضرمية ووسع من فجوة عزلة الأجيال.

وطالما مثلت جلسة العواد التي تختلط فيها روائح البخور، ويقدم فيها أصناف الشاي والحنظل ملتقى اجتماعي يعمل على رسم ملامح العلاقات المجتمعية بين الجيل

القديم والحديث. إلى جانب كونها محطة تصالح بين أبناء القبيلة الواحدة، تناقش فيها قضايا متعددة تتعلق بالشأن العائلي، مما يزيد من قوة الترابط ويخلق مساحات للحوار والتلاقي بين الأسر. إذ يرى الباحث في التاريخ الحضرمي الدكتور "صبري عفيف" أن العواد بطريقته الحضرمية يشكل نموذجاً واضحاً للحد من الخلافات والشحناء بين الناس، وينسج شبكة واسعة من العلاقات بين أبناء الحي أو القبيلة الواحدة ويعزز نقل العادات والتقاليد بين الأجيال، كما أنه ساهم في ترسيخ قيم المجتمع والتكافل والكرم والضيافة مما يؤدي إلى المزيد من التماسك الأسري والمجتمعي.

ومن منظور علم الاجتماع فغالباً ما تمثل الطقوس الجماعية أحد أهم أدوات بناء الهوية الجمعية للأجيال إذ تسهم في تعزيز الشعور بالانتماء وتقلل من مشاعر العزلة وهو ما يمكن للعوادات بطريقته الحضرمية والجماعية أن تحققه، وبالتالي تساهم إلى حد كبير في تعزيز التماسك المجتمعي وتحقيق قيم التعايش. وعليه فإن تراجع اهتمام الجيل الجديد بهذه العادة قد يشير إلى انخفاض في كثافة التفاعل الاجتماعي بين الأجيال القديمة والحديثة، بما قد ينعكس ربما على مستويات الثقة والتماسك الأسري على المدى الطويل. ومن ثم يمكن اعتبار إحياء العواد ممارسة داعمة لإعادة بناء الروابط البينية داخل الأسرة، وتعزيز رأس المال الاجتماعي في مواجهة أنماط العزلة الحديثة.

وبين الماضي الذي كانت فيه العوادات مساحة للحوار بين الأجيال، والحاضر الذي تتقلص فيه اللقاءات والتهاني بالعيد إلى إشعارات رقمية ورسائل في قروبات العائلة، يبرز سؤال جوهري: هل يمكن إحياء هذا التقليد بما يتناسب مع إيقاع العصر دون فقدان روحه وجوهره؟ إن الإجابة عن هذا السؤال لا ترتبط بإعادة إنتاج الماضي كما كان بشكل حرفي، إنما بإعادة تعريف مفهوم العوادات في سياق معاصر، ويمكن النظر إلى العواد باعتباره قيمة اجتماعية قبل أن تكون عادة شكلية. بمعنى أنها قيمة تقوم على تخصيص وقت مقصود للتواصل وتقديم التهاني والزيارات العيدية، وتوفير مساحة لتبادل الخبرات بين الأجيال في إطار العائلة أو الحي الواحد، وعندما تتحول جلسات العواد إلى قيمة لا مجرد عادة موسمية، فإن إمكانية استمراره تصبح أكثر واقعية ويبدو أكثر جاذبية للأجيال الجديدة.

ولعل جهود مختلفة برزت مؤخراً تبذلها الأسر من أجل تحويل العواد إلى ملتقى يحمل أبعاداً تتجاوز كونه لقاء لتبادل التهاني إلى أن يكون ملتقى ثقافي واجتماعي

من خلال إضافة فقرات غير معتادة عليه كالبرامج الثقافية والمسابقات وأجواء الفن وغيرها من التفاصيل. وهي محاولة لاتزال محدودة لجعله أكثر جاذبية أمام الجيل الزد، إلى جانب محاولة لتغيير مواعيده في أوقات تسمح لفئة الشباب بالمشاركة ولا تتعارض مع نمط حياتهم المليئ بالانشغالات المهنية.

كما برزت مؤخراً أشكال مختلفة من العوادات، لكنها بعيداً عن الإطار العائلي الذي يتراجع حضور الشباب فيها على حساب هذه الأشكال من العوادات والتي تقام على أساس الزمالة المهنية أو المكونات الرياضية أو السياسية والثقافية وغالباً ما يتخذ هذا الشكل من العواد مساحات مفتوحة لمناقشة جوانب تتعلق بالمكونات واتجاهاتها، وعلى قدر ما هي إيجابية إلا أنها لا تحل محل العوادات العائلية التي تبرز كعادات أصيلة تربط الأجيال ببعضها وتحقق نسبة مرتفعة من التماسك الأسري.

لذلك ربما تشكل العوادات العائلية دوراً محورياً في الحد من عزلة الأجيال عبر توفير مساحة مشتركة تلتقي فيها أجيال متعددة، فاللقاء المباشر يعيد بناء جسور الحوار التي قد تتآكل بفعل الانشغال والتواصل الرقمي السريع، ويتيح انتقال القيم بصورة تطبيقية لا تلقينية، كما أنه يعزز الشعور بالانتماء داخل الأسرة الممتدة، ويقلل من الفجوة الإدراكية بين جيل نشأ على المجالس المختطلة بالأجيال، وجيل يتشكل وعيه عبر الشاشات والتكنولوجيا، فلعل الحفاظ على هذه العادة يعد استثماراً في التماسك الأسري طويل المدى.

العوادات كعادة ثقافية لمواجهة عزلة الأجيال وتعزيز التماسك في المجتمع الحضري

إبراهيم صادق



العيد من عزلة الشاشات إلى دفء اللقاء

ريا شيخ

في ذاكرة الأرياف والمُدن اللحية القديمة، كان العيد يحلّ كخيوط من نور يغزل من خصومة الجيران ثوبًا من الألفة، ليس بجديد الثياب، بل بالتجمّعات التي تجعل من الحيّ الواحد أسرة كبيرة، ومن مائدة العيد جسرًا للعبور فوق جراح الماضي. كان الموعد الذي يرمّم تصدّعات الروح، ويغسل حوافّ الذاكرة بماء التسامح، تضع الأحقاد بين نقوش الكعك وسُمرة القهوة الدافئة، فتذوب رواسب الأمس كجليد بكلمة "عساكم من عواده"، لتتصافح الأيدي وتتشابك معها القلوب في ميثاق غفران يطوي صفحات الشقاق وينبذ لوعات الخصام.

أنا كنت يوما هناك، في ذلك الزمن، حاضرة تلك الطقوس، طفلة ربّما تجاوزت ربيعها السابع، لم أدرك حينها أنّ تلك الطقوس الجماعية، التي توارثتها الأجيال كتميمة مقدّسة، كانت تُخفي خلف اعتيادها كنزًا لم نُبصره. كنا ننظّرها لحظات مؤقّتة، ولربما تجمّعات مستعرضة، من دون أن نعلم أنّها الخيط الخفيّ الذي يربط تماسكنا بجذور ضاربة في عمق الزمن، ويغدو التماسك الأسري والاجتماعي هو الغاية الأسمى، والدرس الأبقى الذي نحمله في صدورنا طويلا بعد رحيل الزينة.

لطالما كان العيد في ذاكرة أمّهاتنا أكثر من مجرد مناسبة، فقبل بضعة أيام، استعرضتُ لأمي صورا قديمة، تظهر فيها امرأة تنحنيّ بانهماك لتضع الحناء على كفّي والدتي. سألتها بفضول عمن تكون، ابتسمت أُمّي وقالت: "هذه امرأة من أطراف الحيّ، لكنها قبل العيد بيومين تمرّ على البيوت بيتًا بيتًا لتضع الحناء على أيدي فتيات الحي كمبادرة منها تُعلن بها أنّ العيد قد أشرق في القلوب قبل المآذن". وتابعت أُمّي حديثها: "حتى تلك البيوت التي كانت بينها وبينهم قطيعة أو جفاء، كانت تطرق أبوابها، تمسح الحناء على أيدي فتياتهم، وتعيد وصل ما انقطع".

أكثر من ٤٠ عامًا من الماضي، تستذكرها أُمّي بحضور الصورة نفسها "كنا نحضّر الأكل من مختلف الأطباق ونجمعه في أحد البيوت، ويأتي الرجال والنساء ليتناولونه بفرح، وقبل تناول الطعام يلزم من دخل البيت أن يسلم على الجميع بعبارة: من العايدين السالمين".

وفي الأمس القريب، كان يرافق أجواء العيد فرح وضحك يترك بصمة جميلة، تبقى في الذاكرة تنتقل من الأجداد إلى الأحفاد، ومن هذا المكان إلى ذلك الزمان، وهو ما قالته رزان، طالبة في طب الأسنان، مسترجعة ذكريات الماضي، كُنّا في العيد نزور بيوت الحي منذ الصباح من بيت إلى بيت ونجد تجمعات الأهل والجيران في البيوت بشكل يُثير الدهشة الممزوجة بالفرح، يشعرك أنّ الجميع أسرة واحدة.

ولنا الآن أن نتخيّل حال ذلك الترميم الاجتماعي الناتج عن تلك العادات، حيث يصبح طرق الباب بمنزلة إعلان هُدنة غير مشروطة، وأنّ المجتمعات لا تتماسك بالقوانين، بل بتفاصيل صغيرة تُشعرك بأن الجميع أسرة واحدة، من دون أي تكلف. وعلى النقيض من تلك الثقافات القديمة والمبادرات الدافئة التي كانت تُلملم القلوب بطريقة باب أو مسحة حناء، نعيش اليوم واقع الأبواب المؤصدة، ليس لأنّ العيد اختلف، بل لأن طقوس العيد أصبحت لا تتجاوز زجاج الشاشات الرقمية، ومطبات الرقمنة التي أصبحت المعادة فيها تُقاس بجودة الصورة أو طول الرسالة، لا بعمق الصلة والتقارب. إننا نعيش تراجعاً في ثقافات حضرت فيها الأعياد الدينية كواحدة من أهم ركائز التماسك المجتمعي، نقف أمام واقع لا يختلف عليه اثنان، واقع يهدّد السلام والتماسك والتعايش، أصبحت به بيوت الجيران جُزراً معزولة خلف أسوار الخصومة واللامبالاة، وأحدثت شروخاً لا تنجبر.

شروخ طويلة خلف الشاشات

"ما العيد إلا لقاء الأهل في ود.. وطيب نفس تجلي الهم والكدرا
فإن نأوا صار طول الدهر مغترباً.. وإن دنوا صار كل العام لي عيد"
أتفقّ تماماً مع نبض هذه الأبيات الاجتماعية التي صوّرت واقعنا الحاضر، فالعيدُ هو حدث اجتماعي لجبر القلوب والتّئام الجروح، يُعيد ترميم الماضي، أو هدم الحاضر. لكن في واقع العلاقات الاجتماعية اليوم، نجد أنّ أخطر ما يواجهنا هو شروخ العلاقات الاجتماعية بقطيعة مثلما وصفتها الأبيات تماماً، لتتحوّل بهجة العيد من وطن آمن إلى اغترابٍ قسري يهدّد السلام والتماسك المجتمعي، وقد شهد المجتمع قصصاً كثيرة أثبتت ذلك.

وهناك كتلة كبيرة من البشر تعيش نفس وجع الشطر الأول من البيت الثاني، فما يحدث اليوم ليس تغييراً في طقوس المعايدة بين الأهل ليوم أو ليومين وحسب، بل هو تصدّع حقيقي في جدار التماسك الأسري قد يمتدّ شرخه لأكثر من عام. في العمق نفسه، يزداد التنافر المجتمعي عندما يستثقل الفرد منا طرق باب جاره، أو تقبيل يد قريب أو كبير في الحي؛ لأنّه وجد بديلاً أخفّ وهو ضغطة زر الإرسال. إذن هذا

التراجع في ثقافة "المعاودة" اليمينية الأصيلة، وقطع حبال الودّ التي كانت تُنسج في جلسات المقييل وصلاة العيد وزيارات البيوت هو بسبب الرقمنة العصرية وعدم الاهتمام بالثقافات القديمة. في هذا الإطار تقول مسؤولة بيت التراث اللحي أنجيلا الحاج: إنّ سبب هذا التراجع في المقام الأوّل هو عدم تشجيع الجيل بالتمسّك بالعادات القديمة من الأسرة، وتعليمهم أنّ التراث القديم كنز وثقافة لا يمكن للمجتمعات مسحها أو نسخها. وفي المقام الثاني، دخول الثقافات الخارجية التي قُدّمت لمجتمعاتنا بأسلوب التحضر العصري، حتى عملت على اندثار موروثنا الأصيل، وتصف "الحاج" التراث بأنه حلقة متداولة تنتقل من الأجداد إلى الآباء، ومنهم إلى الأبناء يعيش بالفعل لا بالقول.

وفي الموضوع نفسه، يقول الناشط المجتمعي ناظم الشبحي: "إنّ من أسباب القطيعة في الأعياد كموروث اجتماعي هجرة الإنسان من دفاء الريف وبساطته إلى صخب المدينة وعزلتها، تُعزّزه بيئة إلكترونية باردة استلبت منا حرارة اللقاء، حتى غدا المجتمع غريبا عن موروثه الأصيل في صلة الأهل والجيران".

عودة لرحاب الوصل القديم

لستُ هنا في مقام الواعظ ومن يُلزم برمي هواتفكم، وضرورة الرجوع إلى الوراء، أو قاضيا يأمر بالعودة إلى طقوس الماضي، فالحياة بلا شك نهرٌ لا يجري للخلف، بل سأضع سؤالاً على سبيل البحث عن جمال لمة العيد، ودفاء الزيارات الأولى: تخيلوا ماذا لو هجرنا ضيق الرسائل هذا العام، وشددنا الرحال نحو فسحة اللقاء؟ قد يكون السؤال هادفا لاستعادة الإنسان فينا، إنسان اشتاق أن يرى بريق الفرح في عيون أحبّته من دون وسيط من زجاج، وأن يسمع معاودتهم وهي ترنّ في فضاء الواقع، لا في صدى الرموز الجامدة.

في الحقيقة، لا مساحة لنا ليوم لتقديس التراث بقدر ما نحتاج لتخميره وممارسته في التمسّك بالزيارات الحيّة، وأن العيد هو فرصة للسعي ضد التفكّك والاغتراب المجتمعي، وعلينا أن ندرك أن رسالة نصية، مهما كانت منمّقة، لن تعوض دفاء مصافحة أو صدق "عساكم من عواده" تُقال وجهًا لوجه.

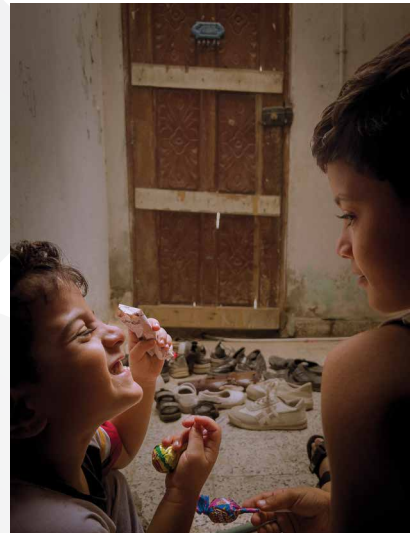
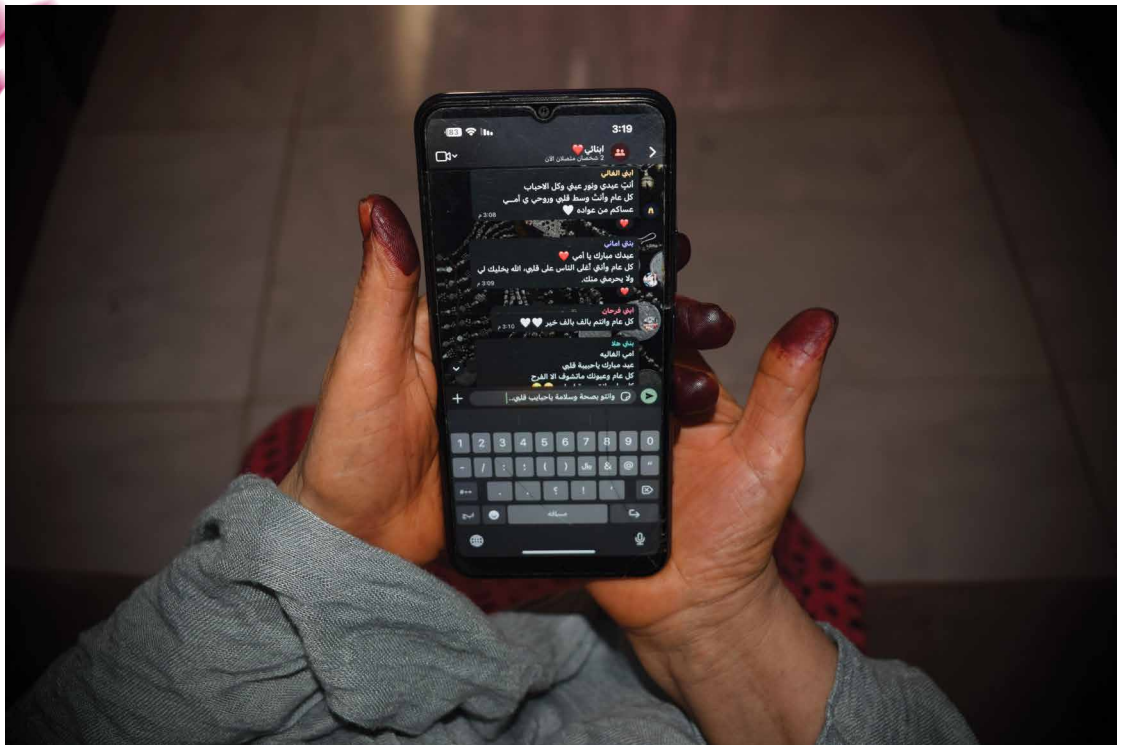
ولا يغيبُ عن أذهاننا، نحن الذين عاصرنا هذه الحقبة، أن العيد موسم للتسامح الحقيقي، ودفن الأحقاد، وأن إعادة صخب الأرياف، وروح المدينة المفقودة من واجبنا بلا جدل. وإذا لملمنا شتات هذه القراءة، نجد أنفسنا أمام معادلة وجودية، وهي أنّ العيد نسيج روحي يُلملم شقوق المجتمع، لمّات وكلمات تذيب الأحقاد بطقوس كنا نظنّها عابرة مع انقضاء الزمن، فإذا هي الإنسان والزمن معا.

وعلى مرفأ الختام لمقالي هذا، ومن خلف ستائر هذه التكنولوجيا، وبعيداً عن إملاءات العصر، فليس عدلاً أن يفرض علينا العصر من يجب أن نكون، وإنها المأساة أن يسرق العصر الرقمي حقاً اجتماعياً مقدساً، يحول "شروخ العمر" إلى واقع يُعاش في لحظة تناءٍ، ويجعل من الزمان اغتراباً ممتداً، ونحن كائنات خُلقت للتلاقى لا للتناهي، وإن كان العصر قد سلبنا دفء الحضور، فمتى نستعيد ملامحنا من شتات الغربة والبرمجيات؟! ونُثبت أن العيد لقاء يرمم انكسارات العمر؛ ليكون العيد هو الإنسان واللقاء. اللقاء فحسب.

العيد من عزلة الشاشات إلى دفء اللقاء



فراح أحمد محمد سالم



المنتديات والأنشطة الثقافية في تعز ترمم فوضى الحرب

ربيع صبري

عُرِفَت اليمن على مرّ العصور معقلًا حضاريًا وثقافيًا، ومنذ ثمانينيات القرن الماضي حتى نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، عاشت هذه البلاد أفضل مراحلها الثقافية وأنشطتها في العصر الحديث. تصدرّ فيها أدباء وكُتّاب وشعراء كُثُر، أصدرُوا أبرز الأعمال اليمنية، كما أنّها شهدت نشاطًا ثقافيًا واسعًا، وتعدّدت المؤسسات والمنتديات الثقافية والجلسات الحوارية، وافتُتحت مكتبات عدّة، ما أتاح الوصول إلى إصداراتٍ عربيةٍ ودوليةٍ متنوعة. وكانت مدينة تعز تحديدًا تتصدّر المشهد بصفتها العاصمة الثقافية لليمن، واعتمدت بتلك الصفة رسميًا بقرار جمهوريٍّ في عام 2013، لأهمّيتها الثقافية وتراثها الحضاري والثقافي الزاخر. فقد كانت هذه المدينة موجودةً منذ زمن بعيد، وكانت تُتخذ مركز حكمٍ لدول وممالكٍ قديمة، أبرزها الدولة الرسولية، التي جعلت من تعز عاصمتها آنذاك.

لكن، مع اندلاع الحرب في أواخر عام 2014، ووصولها إلى محافظة تعز في بداية عام 2015، غابت هذه الأنشطة بشكلٍ شبه كامل. حربٌ حصدت الأرواح، هدمت المنازل والمباني، قطعت الطرق أمام الغذاء والدواء، لم تدع شيئًا سليمًا، حتى الأحلام. حصارٌ فرض على المدينة ولا يزال مستمرًا حتى الآن. حمل الناس همًّا لم يفارقهم: كيف سيصمدون؟ هل ستشرق شمسُ الغدِ عليهم أو ستهدم قذيفة سقف البيت وتحرق آمال الحياة؟

في ظلّ الحرب، وتحت وطأة الحصار، انصرف اهتمام الناس نحو أولويات البقاء وتدبير شؤون حياتهم اليومية. انشغلوا بسباق يومي مضنٍّ لتأمين لقمة العيش. وكذلك ضعف الدولة والانقلاب الذي أسقط مؤسساتها المختصة بتعزيز ودعم الثقافة وأنشطتها، كل ذلك جعل مدينة تعز تُعلن عن معركةٍ من نوع آخر؛ معركة الوعي. كما ذكرنا سابقًا لم يدع الحرب والحصار شيئًا سليمًا، والمجال الثقافي غير مستثنى من ذلك. مع قساوة الظروف، أُجبر المواطن على كثير من الأشياء التي لا يُريدها، ومنها ابتعاده عن القراءة وباقي الأنشطة الثقافية والفكرية. ترك إطعام عقله، باذلاً جهده

لتوفير قوتٍ يسدّ به جوع معدته ومَن معه من أفراد عائلته، مما أثر سلبيًا على سلوك الأفراد ووعيهم. ولا ننسى أنّ البطالة والتسرّب من التعليم، هما العاملان الرئيسيان لخلق الفوضى داخل أيّ مجتمع، والسبب الرئيسي الذي يهدّد السلم والتماسك المجتمعي. وهذا ما أنتجته الحرب في تعز. وأتاح غياب المنتديات والأنشطة الثقافية المجال للشوارع لتكون حاضنةً للناس وللتجمعات و"التخازين"، لتصبح مدرسةً للشللية والبلطجة و"الثقافة الشوارعية" بكلّ أنواعها، يقوم بنقلها الفرد المختلّ بها إلى منزله والحي الذي يقطن فيه. فتُحدث مشكلاتٍ وتوتراتٍ داخل الأسر، وتفكّكها في بعض الأحيان. ولولا أنّ هذه المحافظة قد اكتسبت ما اكتسبته قبل ذلك، ورفعت الوعي العام مُسبقًا، لكان الوضع أكثر مأساوية وسوءًا.

وفي ظلّ هذه الفوضى العنيفة، ظهرت مساحاتٌ مغايرة يقودها شباب محلّيون، اختاروا استعادة دور المدينة عاصمةً للثقافة اليمنية بجهود ذاتية، رافضين أن تبتلعهم ثقافة الحرب. برزت عدد من الصالونات والمؤسسات الثقافية، منها: "سطور"، "أرنيادا"، "إرم"، "صروح"، "ميون"، "معد يكر"، "أصدقاء الكتاب والقهوة" وغيرها، كبيئة آمنة لنشر الثقافة ورفع مستوى الوعي العام، بجلسات وفعاليات ثقافية مختلفة.

هذا الحراك لا يكتفي بتقديم القراءة أو الندوات نشاطًا ذهنيًا فقط، بل يعمل كأداة لترميم الوعي المجتمعي وتهذيب السلوك الإنساني الذي خدشه الحصار، وإعادة ما سلبته الحرب من الشخصية التعزية. الشارع بالخارج قد يعجّ بالفوضى، لكن هذه المنتديات والمؤسسات الثقافية تحاول بأنشطتها تكريس قيم الحوار والمنطق وترسيخها في التعامل اليومي للأفراد، ليكونوا حواريين لا صداميين، مبتعدين عن الانفعال العنيف لصالح المنطق والعقلانية، في اختبارٍ حقيقي لقدرة الوعي على الصمود أمام قسوة الحصار.

ضمن أنشطتها، تعمل مؤسسة "أرنيادا" للتنمية الثقافية على إتاحة مساحات إبداعية تنطلق من نشر المعرفة وفتح نوافذ للحوار. ومن أبرز هذه المساحات منتدى "هيمن" المختصّ بفنون الغناء، و"سينما الأربعاء" التي تُقام عبر عروض أسبوعية تتبعها حلقات نقاش، إضافةً إلى صالون "أرنيادا" المفتوح للقراءة والإبداعات الأدبية والفنية. تُسهم هذه الأنشطة في تقوية الروابط والعلاقات الاجتماعية وتعزيز السلم المجتمعي؛ إذ أتاح، وفق ما يوضّحه رئيس المؤسسة آدم الحسامي، لقاءاتٍ بين رواد الفنون والآداب بعد "عزلةٍ فرضتها ظروف الحرب"، ما أتاح تلاقياً بين "الأجيال، والخبراء والهواة، والمنتجين والشباب المبدع".

كما تؤكّد هذه التجارب، بحسب الحسامي، دور الثقافة في ترسيخ قيم التعايش

والسلم لدى المجتمع، وهو ما عبّر عنه بقوله: "أكّدت هذه الأنشطة على دور الثقافة في تعزيز قيم التعايش والسلام ونبذ مفردات الموت والعنف". ومن بين أبرز المخرجات التي يُشير إليها الحسامي، ارتفاع مستوى الإنتاجية لدى الشباب المبدع، مؤكداً أنّ "أرنياداً" تطمح للمساهمة في خلق منظومة لـ"صناعة ثقافية بأدوات معاصرة ووعي بأهمية التراث، حفاظاً عليه واستلهاماً منه".

الآثار الإيجابية للثقافة والقراءة على الذات والمجتمع
الإنسان مُتأثرٌ بمحيطة وبمن حوله إيجاباً أو سلباً. ينعكس ذلك على سلوكه وتعامله. كذلك يبدأ بمحاولة نقل ما اكتسبه لمن حوله، أي يتحوّل من مُتأثرٍ فقط، إلى مُتأثرٍ ومؤثرٍ في الوقت نفسه. ولما كان من غير المُمكن تبديل الواقع المحيط بالأفراد، وجب علينا البدء بتحسينه تدريجياً كمراحل علاجية، والثقافة هي الدواء. وفي هذا الإطار تعتبر حنين الإغواني، مديرة مؤسسة "سطور" للتنمية الثقافية، أنّ المنتديات والصالونات الثقافية تمثّل فعلاً مضاداً لـ"ثقافة العشوائية" التي خلّفتها الحرب، مؤكّدة أنّ "المنتديات فعل لزراعة الوعي وإلغاء ثقافة العشوائية، مثل الجهل وحمل السلاح والعنف"، وأنّ "القراءة هي الفكرة التي يستطيع أيّ إنسان أن يقاوم بها كل ذلك"، كما تساعده على تجنب "الوقوع في اليأس أو الاستسلام للأفكار السلبية". ووفقاً للمؤشرات، يُتوقع ازدهار مستقبل النشاط الثقافي في تعز، ففي العامين الماضيين افتتحت كثير من المؤسسات والمنتديات والمشاريع الثقافية. وذلك ينعكس إيجاباً على المشهد الثقافي في المدينة. كما لاحظنا أيضاً أنّ أغلبية أعمال الدراما اليمينية هذا الموسم صوّرت وأنتجت في تعز، لتصبح محطة يقصدها الجميع للإنتاج الدرامي. ولضمان مستقبل الثقافة تقول الإغواني في مقابلة خاصّة أجريتها معها: "يجب على الجهات المعنية توفير الدعم والاهتمام بهذا المجال، وعلى الأفراد العمل باحترافية لأجل ذلك".

فيما يخص احتياجات المؤسسات الثقافية لاستمرار عملها، تؤكّد الإغواني أنّ "المؤسسات تحتاج إلى ثلاثة عناصر مهمة، هي: البناء المؤسسي، والدعم المالي، والفني"، إلى جانب العمل الإبداعي ووجود لوائح تنظّم العمل وتضمن استمراره، "حتى لا تكون مجرد مبادرة فردية تنتهي برحيل أصحابها أو بانتهاء شغفهم".

للثقافة والقراءة أثرٌ عميق في الإنسان، فهي لا تُغيّر ما يعرفه فقط، بل تُغيّر الطريقة التي يرى بها العالم، والطريقة التي يتعامل بها مع نفسه ومع الآخرين. يرى صابر الجراي، أحد الشباب المنخرطين في الأنشطة الثقافية، أنّ الشخص حين يقرأ ويحتكّ بالأفكار المختلفة في الكتب أو المنتديات والأمسيات الثقافية، يبدأ تدريجياً في

"إعادة ترتيب مفاهيمه ووعيه"، مشبّهًا الأمر بـ"غرفة قديمة يدخلها الضوء لأول مرّة، فيكتشف الإنسان ما فيها من فوضى وما يمكن إصلاحه".

ويُضيف الجرادي: "لاحظت أنّ القراءة تجعل الإنسان أكثر هدوءًا في الحكم على الناس، وأكثر قدرة على الإصغاء، فبدلاً من أن يكون ذا ردّة فعل سريعة وانفعالية نحو بعض الأشياء، يصبح في التفكير أعمق، وفي النقاش أكثر اتزانًا، كما أنّ الاطلاع على ما يكتبه وما يقوله الآخرون من تجاربهم وأفكارهم يوسّع أفق الإنسان، فيدرك أنّ الحقيقة ليست دائماً في زاوية واحدة، وأنّ لكل قضية وجوهاً متعددة".

وترى ياسمين المعمري إحدى الصحفيات المشاركات في الأنشطة الثقافية وصالونات القراءة، أنّ الإنسان قد يمرّ في بداية مراهقته بمرحلة يكون فيها "سريع الغضب في النقاش مع أسرته أو أصدقائه، خصوصاً عندما يختلفون معه في الرأي، لكنّه بعد سنوات من القراءة والاحتكاك بالنقاشات الفكرية، يتغير أسلوبه وسلوكه". وتوضح: "يبدأ في الاستماع وفهم وجهة نظر الآخر. ويدرك أنّ الحوار الهادئ أقرب إلى الحقيقة والحلّ من الجدل الحاد". وتؤكد أنّه يصبح أكثر "حساسيةً تجاه القضايا العامّة"، فيبدأ بالنظر إلى مشكلات المجتمع بـ"عين تحليلية لا بعين عاطفية فقط"، وأنّه بالثقافة يتحوّل الإنسان من "شخص يكتفي بالشكوى من الأوضاع"، إلى "شخص يحاول فهم أسبابها، والبحث عن حلول أو المساهمة في نشر الوعي حولها".

تؤدّي الثقافة دوراً أساسياً في مساعدة الإنسان على فهم الأزمات التي يمرّ بها والتعامل مع آثارها النفسية، خصوصاً في المجتمعات التي عانت من الحروب. وفي هذا السياق، يرى الباحث في علم الاجتماع السياسي عيبان السامعي أنّ "الإنسان كائنٌ ثقافيّ في جوهره"، ويتميّز عن غيره من المخلوقات بقدرته على صناعة المعنى وبناء نظام خاص من "اللغة والرموز والقيم والمبادئ والرؤى" التي يفسّر بها "وجوده وعلاقته بالعالم المحيط به". ومن هذا المنطلق، تصبح الثقافة "وسيلة أساسية لإدراك الإنسان للكون ولمواجهة التحديات التي تعترض حياته، بما في ذلك آثار الحروب وما تُخلّفه من أزمات نفسية عميقة"، فالثقافة إذن لا تقتصر على كونها تعبيراً عن الهوية أو التراث، بل تُمثل أيضاً مورداً رمزياً يساعد الأفراد والمجتمعات على استيعاب الصدمات الجماعية وإعادة بناء توازنهم النفسي والاجتماعي بعد فترات النزاع.

ويشير السامعي إلى أنّ الثقافة تزود الأفراد والجماعات بـ"معنى لوجودهم"، أي بهويتهم، وتمنحهم الشعور بالتماسك والتضامن والانتماء إلى "كيان أكبر يجمعهم مصير مشترك". كما أنّها، وفقاً له، "تمنح المجتمع وعياً ومناعةً فكريةً تمكّن أفرادها من مواجهة التضليل والتزييف الذي تمارسه جماعات ميليشياوية تسعى إلى

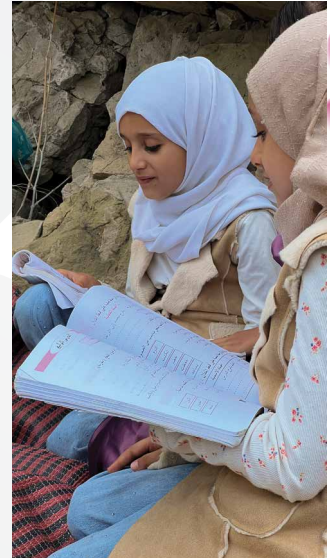
السيطرة على عقولهم وإلى توظيفها في معاركها الخاصة". الثقافة وأنشطتها هي الوسيلة الأكثر فاعلية لمواجهة آثار الحرب العقلية والنفسية في المجتمع، وعن أهمية المنتديات والأنشطة الثقافية في تهذيب وأنسنة سلوك المجتمع، يؤكد السامعي أنّ "هذه الفضاءات تمثل ملتقى اجتماعياً وثقافياً يلتقي فيه الأفراد من مختلف التوجهات الفكرية والاجتماعية والسياسية، الأمر الذي يجعلها تُسهم بدور فاعل في ترسيخ قيم الحوار العقلاني والتنوع والتعدد، والتسامح والتعايش والقبول بالآخر". ويرى أن مثل هذه الأنشطة "تؤدي دوراً مهماً في استنهاض الروح الوطنية، وتحفيز الأفراد نحو قيم الحرية والخير والجمال، وتعمل على تنمية الرأس مال الاجتماعي والفكر النقدي الحر، ومواجهة التعصب والتطرف والغلو".

التعافي الثقافي مرتبط بوجود دعم حقيقي اليوم، ومع عودة هذه المنتديات والأنشطة الثقافية إلى الظهور في تعز وتعافيها ثقافياً، يبقى استمرار التعافي مرتبطاً بتوسّع المشاركة المجتمعية فيها، وبوجود دعم حقيقي من الجهات المعنية. فالمساهمة في هذه المساحات، حضوراً وتنظيماً ودعمًا، تعني الاستثمار في الوعي والسلم المجتمعي، وضمان أن تظلّ الثقافة حاضرة كقوة توازن في مدينة أنهكتها سنوات الحرب وضاق بها الحصار. فهي لم تعد أنشطة ترفيهية وحسب، بل تحولت إلى مساحات لحماية الوعي وإعادة ترميم النسيج الاجتماعي.

المنتديات والأنشطة الثقافية في تعز ترّم فوضى الحرب



علاء خالد



دمج النازحين ثقافياً: خطوة ضرورية نحو التماسك المجتمعي

محمد بن فضل

في أحد مخيمات النزوح بمدينة الشحر شرقي حضرموت حيث تختصر الحياة في خيام متقاربة واحتياجاتٍ طارئة، لم يكن الصوت الذي شد إنتباهي عند زيارتي للمخيم صوت مولّد كهربائي أو نداء توزيع مساعدات، بل نغمة صافية خرجت من حنجرة طفل كان اسمه عمر...صوته الجميل ينساب بعفوية كأنه يستعيد فضاء سُلِب منه مبكراً.... توقفت متعجباً ذلك الصوت الجميل الذي يحمل رسالة تقول إن في هذا المكان القاسي طاقات إنسانية لا تزال حية وتبحث عن نافذة تُرى من خلالها... عمر لا يملك منصة ولا يعرف جمهوراً لكنه يملك ما يكفي ليذكرنا بأن الثقافة قد تولد في أكثر الأماكن قسوة.

غير بعيد عن خيمة عمر تقف فاطمة، نازحة تحمل أقلاماً وأوراقاً أكثر مما تحمل من متاع... تتقن الرسم وتبدأ لوحاتها بخطوط حذرة ثم تترك للألوان أن تحكي ما لا يقال غير أن موهبتها مثل كثير من مواهب النازحين... بلا احتضان ولا اكتشاف ولا جهة تبحث عنها ولا برنامج يفتح لها باب العرض أو التعلم.

هاتان القستان تكشفان جوهر الإشكالية، إذ يُختزل النازح في الخطاب العام بوصفه متلقي مساعدات فقط وينظر إلى احتياجاته من زاوية الغذاء والمأوى والدواء بينما يغفل بعد أساسي من إنسانيته...حقه في التعبير وفي الثقافة وفي أن يكون فاعلاً لا مجرد حالة إنسانية فحين تقصى الثقافة من برامج الاستجابة تهمش معها فرص التعافي النفسي وإعادة بناء الثقة وخلق جسور التعايش بين النازحين والمجتمع المضيف.

ولأن الاستجابة الإنسانية تركّز غالباً على الغذاء والمأوى والصحة وهي أولويات لا خلاف عليها، فإن الاكتفاء بها يترك فراغاً نفسياً واجتماعياً يتسع مع الوقت يتمثل في العزلة وفقدان المعنى وتآكل الروابط داخل المخيمات، وهنا تبرز الثقافة كأداة عملية فمن خلال أنشطة بسيطة كالغناء والرسم والكتابة تخلق مساحات آمنة للتعبير، وتُستعاد الثقة بالنفس وبالأخر وتبنى جسور تواصل بين النازحين والمجتمع المضيف خصوصاً لدى الشباب والنساء الأكثر تأثراً بتجربة النزوح.

يحدثني أحمد باحب مسؤول أحد مخيمات النزوح قائلاً: (للأسف لم يأت أحد ليسأل عن الإبداعات أو المواهب الموجودة في المخيم وأغلب الزيارات تقتصر على حصر الاحتياجات الإنسانية فقط بينما تترك طاقات الأطفال والشباب دون أي اهتمام). ويضيف باحب: (لدينا أطفال يمتلكون أصواتاً جميلة وشباب يجيدون الرسم والكتابة ونساء لديهن مهارات فنية واضحة لكن لا توجد جهة أتت إلينا تبحث عن هذه المواهب أو تحاول تنميتها).

الثقافة كجسر للتماسك الاجتماعي... والتجارب الدولية دليل فعال إن دمج النازحين في الفعاليات والبرامج الثقافية من مهرجانات محلية وورش فنية وعروض موسيقية ومعارض يسهم في تفكيك الصور النمطية ... فحين يقف النازح على المسرح أو تعلق لوحته في معرض أو ينشر نصه في صحيفة يتحول من (حالة إنسانية) إلى فاعل ثقافي له صوت وقصة وإسهام.

إن تجارب دول عانت من النزوح والصراعات تشير إلى أن الاستثمار في الثقافة يوازي في أثره بعيد المدى الاستثمار في البنية التحتية فالثقافة ترمم ما لا يرممه الإسمنت ، وتتجلى أهمية الدمج الثقافي بوضوح لدى الشباب والنساء من النازحين فهؤلاء غالباً ما يتحملون أعباء مضاعفة ويحرمون من فرص التعبير والمشاركة والثقافة تمنحهم لغة بديلة للتعبير وتفتح أمامهم مسارات للتعلم وبناء المهارات وربما فرصاً اقتصادية لاحقاً.

وي دعم هذا الطرح تجارب دول عانت من النزوح والصراعات، ففي كولومبيا جرى توظيف الموسيقى والمسرح المجتمعي ضمن برامج دمج النازحين والمتأثرين بالنزاع، وأسهمت هذه الأنشطة في إعادة بناء الثقة داخل المجتمعات المحلية والحد من العنف الاجتماعي. وتنفذ بعض المنظمات العربية مثل منظمة العمل للأمل قوافل إغاثة ثقافية في مخيمات اللاجئين والنازحين في لبنان والأردن حيث تشمل هذه القوافل ورشاً فنية وعروضاً ومراكز ثقافية تُقدم للفنانين والمجتمعات المحيطة بالقرب من المخيمات وتهدف إلى التدريب على الفنون وحضور أنشطة ثقافية مع السكان المحليين ما يساهم في خلق تفاعل ثقافي واجتماعي بين اللاجئين والنازحين والمجتمعات المضيفة بدل الاقتصار على مساعدات الإغاثة فقط.

كما تُعد أوغندا واحدة من الدول الأفريقية التي سبقت غيرها في التعامل مع قضايا النزوح الداخلي عبر سياسات وطنية وإجراءات عملية هدفت إلى حماية حقوق النازحين وتسهيل اندماجهم داخل المجتمع لا الاكتفاء بالنظر إليهم كعبء إنساني

مؤقت... ومن بين النماذج اللافتة في هذا السياق مشروع Paper to Pearls وهو مبادرة إنتاجية نُفذت داخل مخيمات النازحين وتحديداً في شمال البلاد برز نموذج ثقافي لافت استهدف النساء النازحات عبر إحياء الحرف اليدوية بوصفها شكلاً من أشكال التعبير الثقافي..فقد جرى تدريب النساء على تصميم خُلي يدوية من ورق معاد تدويره كعمل فني يعكس الذائقة المحلية ويعيد الاعتبار للمهارات الحرفية كجزء من الهوية الثقافية حيث اقترن التدريب الفني ببرامج داعمة مكّنت النساء من عرض أعمالهن والتعريف بها داخل المعارض والفعاليات المجتمعية، ويظهر هذا النموذج كيف يمكن لتدخل ثقافي بسيط أن يحول النازحات من متلقيات للمساعدات إلى فاعلات ثقافياً واجتماعياً يساهمن في إثراء المشهد المحلي وتعزيز التماسك المجتمعي.

سياسات ثقافية شاملة

لتحقيق هذا التحول لا بد من سياسات ثقافية شاملة تتبنّاها الدولة والمؤسسات الثقافية والجهات المحلية بالشراكة مع المنظمات الإنسانية...سياسات تعترف بحق النازحين في الوصول إلى الثقافة وتدرجهم ضمن خطط الفعاليات والبرامج على سبيل المثال فتح الفعاليات العامة أمام مشاركة النازحين وتقديم تسهيلات لوجستية أو تصميم برامج اكتشاف مواهب داخل المخيمات والمجتمعات المضيفة كذلك دعم المبادرات المشتركة التي تجمع فنانيين من النازحين والمجتمع المحلي وتوثيق القصص الإنسانية والإبداعية وإيصالها إلى الإعلام وغيرها من البرامج والأنشطة. غياب البرامج الثقافية عن مخيمات النزوح يعود إلى غياب الرؤية التي ترى في النازح شريكاً في الحياة العامة لا عبئاً عليها...فالثقافة حين تُقصى تختزل إنسانية الإنسان وحين تدمج تفتح مسارات جديدة للتعافي الفردي والجماعي.

الثقافة أداة لإعادة التعريف بالإنسان

في اليمن البلد الذي أنهكته الحرب تبرز الثقافة كأحد مداخل بناء السلام فهي من المساحات القليلة التي لا تزال قادرة على جمع المختلفين خارج منطق الاصطفاف..ويكفي تأمل كيفية تفاعل اليمنيين على اختلاف مواقعهم وانتماءاتهم مع خبر فوز كروي أو هدف في مباراة دولية أو مع أغنية لفنان محبوب لندرك أن الثقافة تملك قدرة فريدة على تعليق الخلاف مؤقتاً وإعادة تعريف الناس لأنفسهم بوصفهم جمهوراً واحداً ففي تلك اللحظات يتراجع خطاب الانقسام ويعلو الشعور بالمشاركة والانتماء ويستعاد الإنسان ككائن يتفاعل ويشترك في الفرح والذاكرة والذائقة العامة.

كما أن الرهان على الثقافة في سياق النزوح يعد استثمارا واعيا في مستقبل المجتمع نفسه فالتجارب والمشاهد اليومية من أصوات الأطفال في المخيمات إلى أعمال النساء الفنية ونصوص الشباب تكشف أن النزوح لم يلغِ القدرة على الإبداع وحين نمح هذه الطاقات منصات للتعبير نعيد إدماجهم في الفضاء العام بوصفهم فاعلين ثقافيين قادرين على تحويل تجربة الفقد إلى معنى والعزلة إلى مشاركة ونظهر إبداعات النازحين ونوصل رسالة أن الإبداع والمواهب موجودة أيضا في مخيمات النزوح.

دمج النازحين ثقافياً خطوة ضرورية نحو التماسك المجتمعي



ميساء بلفقيه



زفة أيوب... أغنية تعزز التعايش والسلام في تعز

عميد عارف

تُشكّل الموسيقى والأغاني لغة إنسانية تتجاوز اختلاف الثقافات واللهجات، وتؤدي دوراً مؤثراً في تعزيز القيم الاجتماعية وترسيخ روح الوحدة والسلام داخل المجتمعات. وفي اليمن، أدّت سنوات الحرب، التي اشتعلت في عام 2015، إلى تمزيق النسيج الاجتماعي وإضعاف الحياة الثقافية، وهو ما جعل الناس تتجه نحو الفنون الشعبية المتوارثة بوصفها مساحات جامعة تُعيد وصل ما انقطع بين الناس. ومن بين هذه الفنون تتقدّم أغنية الزفة التعزية، ولا سيما الزفات التي قدّمها الفنان أيوب طارش، بوصفها تقليداً غنائياً يجمع أبناء المجتمع في لحظات الفرح، متجاوزاً الفوارق الاجتماعية والمناطقية، وقد غنّى أيوب عدداً من الزفات الشهيرة مثل "رُشوا عطور الكاذبة" و"واصبايا واملاح" و"هنّوا لقلبي عند قلبي ضيوف"، وهي أعمال استندت إلى نصوص شعرية قريبة من وجدان الناس وألحان مستمدّة من الإيقاع الشعبي.

هذا اللون الفني جاء امتداداً لممارسة اجتماعية متجذرة في البيئة الريفية، ارتبطت بطقوس الزواج وتحوّلت مع الزمن إلى عنصر أساسي في الأعراس، محافظةً على حضورها كجزء من الذاكرة الثقافية باعتبارها أبرز المظاهر الفنية القادرة على استدعاء الذاكرة الجمعية وتعزيز الشعور المشترك بالانتماء. ويعبّر المواطن التعزي عبد الله أحمد عن هذا الأثر بقوله: "عندما أستمع إلى زفة أيوب، أسترجع كلّ اللحظات الجميلة في حياتي، وأتذكّر أيام العرس، وأتمنّى أن يعود بي الزمن للخلف لأعرس من جديد، وأجد الناس كلّهم مجتمعين بمختلف انتماءاتهم وتوجهاتهم". ويكشف هذا التفاعل العاطفي عن قدرة هذا الفن على استحضار لحظات التلاقي الإنساني وتجاوز الانقسامات، بما يعزز حضورها كطقس اجتماعي جامع.

انتقلت هذه الزفة من اعتبارها رمزاً فنياً ملازماً للأعراس، إلى مساحة وجدانية مشتركة توحد مشاعر الناس في مناسبات الزفاف. ويرى الكاتب عارف محمد أنّ اعتمادها على لغة محلية وألحان مستمدّة من الإيقاع التعزي يمنحها قدرة على خلق تفاعل جماعي بين الحاضرين، بما يعكس دورها في إعادة إنتاج روح الجماعة وتحويل لحظة الغناء إلى ممارسة اجتماعية تعزز الانسجام، خصوصاً في ظل ظروف الحرب.

وتمثل الزفة فضاءً اجتماعيًا يُعزّز التفاعل الجماعي، ويعيد إنتاج العلاقات الاجتماعية. ويوضّح الصحفي جمال حسن أنّ زفات أيوب طارش نشأت في سياق ثقافي ريفي، وانتشرت في مناطق متعدّدة من اليمن، مستفيدة من بساطة إيقاعها وقربها من الذائقة الشعبية. ويبيّن أن الأعراس تمثل بطبيعتها مساحة التقاء للعائلات، حيث تؤديّ الزفة دورًا في خلق حالة من المشاركة الجماعية في الفرح. ويكشف هذا الامتداد عن وظيفة اجتماعية أعمق، تجعل من الزفة أداة لتعزيز التلاحم وتقليص الفوارق بين الأفراد. وتجسّد منظومة من القيم الاجتماعية المرتبطة بالهوية المحلية والتكافل والفرح الجماعي.

ويشير جمال حسن إلى أنّ كلماتها تُعبّر عن رؤية ثقافية تعتبر الزواج حدثًا يخصّ المجتمع بأكمله، كما أنّ استمرار تداولها رغم تغيّر الأذواق يعود إلى ارتباطها بالذاكرة الجمعية. ويؤكد ذلك أنّ الزفة تمثل إحدى أدوات حفظ الهوية الثقافية واستمرارها، بما يعزّز الشعور بالانتماء المشترك. ومن منظور اجتماعي، تؤديّ دورًا فاعلاً في خلق مساحات آمنة للتلاقي الاجتماعي في زمن الأزمات. ويرى الدكتور محمد الشميري أنّ هذه الزفة تُسهم في تعزيز التماسك المجتمعي بجمع الناس في لحظة فرح مشتركة، تعيد تنشيط العلاقات التي تضرّرت بفعل الحرب. ويشير إلى أنّها تستحضر ذاكرة جماعية تعزّز قيم التعايش والسلام. ويبرز ذلك قدرتها على أداء وظيفة اجتماعية تتجاوز الغناء لتصبح وسيلة لإعادة بناء الروابط الإنسانية. وتستمدّ الزفة قوّتها من ارتباطها العميق بالذاكرة الشعبية الممتدة عبر الزمن.

ويؤكد الشميري أن حضور أيوب طارش في وجدان اليمنيين عبر مختلف مراحل حياتهم أسهم في ترسيخ هذا اللون الغنائي، حتى أصبح جزءًا من طقوس الزواج. ويوضّح ذلك كيف تتحول الممارسة الفنية إلى عنصر راسخ في الوعي الجمعي، يواكب تحولات المجتمع ويحافظ على استمراريته. وتُعدّ المشاركة الجماعية في الزفة أحد أهم عناصر تأثيرها. ويشير الشميري إلى أن التحضير للأعراس وما يصاحبه من تعاون بين الأفراد يعزّز القرب الإنساني ويُقلّل الحواجز الاجتماعية، ما يمنح الزفة قيمة تتجاوز الغناء إلى كونها تجربة اجتماعية مشتركة. ويؤكد ذلك دورها في بناء شبكات العلاقات الاجتماعية وتعزيز روح التضامن، إلّا أنّ انتقالها من الفضاءات المفتوحة إلى القاعات المغلقة صنع تحديًا ثقافيًا يهدّد أحد أهم أدوارها الاجتماعية. ويحدّر الشميري من أنّ هذه التحولات تُضعف الطابع الجماعي للزفة وتقلّص مشاركة المجتمع فيها. ويكشف هذا التحول عن تغيّر في طبيعة الفضاء الثقافي، حيث تفقد الزفة جزءًا من وظيفتها كممارسة اجتماعية جامعة حين تُنقل إلى فضاء مغلق، ما يستدعي إعادة التفكير في الحفاظ على هذا الإرث ضمن سياقاته الأصلية.

تعتبر الزفة اليمنية جزءاً أساسياً من الأغنية اليمنية العريقة وهوية ثقافية تمسكت بها تعز في ظلّ التجريف الحاصل للفن وظهور الفرق الدخيلة على الفنّ اليمني واستبدال الأغاني بالزوامل ومحاولات تطييف الهوية. تمسك الناس بالفن الشعبي؛ لأنه جامع لكلّ اليمنيين وهوية متجددة عبر الأجيال، وفي سنوات الحرب مع موجات النزوح من المدن للأرياف، تجددت ثقافة الفن الشعبي الذي نشأ في الريف، ومن هذه الثقافة زفة أيوب التي تعود إلى جذور ريفية كُتبت بعض كلماتها لمناسبات خاصة، وتحولت إلى أغنية رسمية كما حدث في زفتي أيوب "وصبايا وملاح"، "هنوا لقلبي" التي كتبها الفضول لعمره خاصة، وغناها له أيوب في زفافه، غير أنها انتشرت وأصبحت رمزاً للزفاف في كثير من المدن والأرياف اليمنية، ولا سيما تعز، وذلك بفضل نصوصها وألحانها القريبة من الذائقة الشعبية اليمنية.

إنّ الامتداد التاريخي لزفة أيوب، وما تحمله من حضور راسخ في الوجدان الشعبي، يؤكّد أنها ممارسة ثقافية تؤدي دوراً حيويّاً في ترميم العلاقات الاجتماعية وتعزيز قيم التعايش والسلام، لا سيما في مجتمع أنهكته الحرب والانقسام. وبعد ما عرضه المقال من شواهد على قدرتها في جمع الناس، وحفظ الهوية المحلية، وإحياء روح الجماعة، يصبح الحفاظ على هذا الإرث مسؤولية ثقافية مشتركة تتطلب دعماً واعياً من المؤسسات الثقافية والإعلامية والمجتمع نفسه، عبر إعادة الاعتبار للفضاءات الشعبية المفتوحة التي نشأت فيها هذه الزفات، وتشجيع حضورها في المناسبات بوصفها رمزاً جامعاً لكلّ الناس، فصوص هذا الفن الشعبي ليس للحفاظ على ذاكرة تعز وحدها، بل حماية لقيمة إنسانية تذكّر اليمنيين بأن الفن ما يزال قادراً على جمع ما فرقته الحرب.

زفة أيوب أغنية تعزّز التعايش والسلام في تعز



عبد الله عبد الخالق الحميري



شاشة عدن... حين كانت السينما تجمع المدينة

سعيدة الوصابي

هل يمكن لقاعة سينما أن تتحوّل إلى مساحة تجمع مدينة كاملة رغم اختلافاتها؟ في مدينة عدن، كانت السينما تجربة اجتماعية وثقافية عكست روح الانفتاح والتنوّع التي عُرفت بها المدينة عبر عقود. وبين ذاكرة الماضي التي ما تزال حاضرة في وجدان سكّانها، والتحديات التي تواجه هذا الفنّ اليوم، يبرز سؤال مهم حول قدرة السينما على استعادة دورها الثقافي والاجتماعي. وتتمثل الفكرة الأساسية في أنّ السينما في عدن يمكن أن تكون أداة فاعلة لتعزيز التعايش والحوار المجتمعي إذا توفرت لها البيئة والدعم المناسبان.

شكّلت السينما في عدن جزءاً مهماً من الحياة الثقافية والاجتماعية للمدينة، وأسهمت في ترسيخ صورتها مدينةً منفتحةً على العالم. فقد عرفت المدينة ذُور العرض السينمائي منذ وقت مبكر مقارنة بعدد من مدن المنطقة، وكانت صالات، مثل: سينما ريجيل وسينما هريكن وسينما أروى من أبرز المعالم الثقافية التي يقصدها الجمهور. يوضح المخرج مروان مفرق أنّ الذهاب إلى السينما كان في الماضي نشاطاً اجتماعياً يجمع العائلات والأصدقاء، حيث كانت صالات العرض تستقطب أفراد المجتمع على اختلاف خلفياتهم في تجربة ثقافية مشتركة. وهذا يُظهر جانباً من الحياة المدنية في عدن، حيث تحوّلت قاعات السينما إلى فضاء اجتماعي مفتوح يلتقي فيه سكان المدينة رغم تنوّعهم الثقافي والاجتماعي، وهو ما عزّز الإحساس بالانتماء المشترك داخل المجتمع العدني.

ولا تقتصر أهمية السينما على الترفيه فحسب، بل تمتدّ لتشمل دوراً ثقافياً واجتماعياً يمكن أن يُسهم في بناء جسور التفاهم بين أفراد المجتمع. وفي المدن التي تشهد تنوّعاً ثقافياً أو تمرّ بظروف اجتماعية معقّدة، يمكن للفنّ السينمائي أن يفتح مساحات للحوار والتقارب. وفي هذا السياق يرى مختصّ علم الاجتماع عبد الكريم غانم أنّ السينما تساعد على تعزيز التعايش بتقديم تجارب إنسانية متنوعة تُتيح للمشاهد التعرف على الآخر المختلف ثقافياً أو اجتماعياً. ويُشير إلى أن هذا النوع من السرد السينمائي يُسهم في إبراز القيم المشتركة بين الناس، ويُقلّل من الصور النمطية التي

قد تتشكّل في فترات النزاع أو التوتر. وهذا يُبرز أهمية السينما في مجتمعات مثل عدن، حيث يمكن للأفلام أن تُسهم في تعزيز فهم أعمق بين أفراد المجتمع وإعادة بناء جسور الثقة بينهم.

ويمتلك الفنّ عمومًا، والسينما خصوصًا، قدرة كبيرة على التأثير في نظرة المجتمع إلى القضايا الإنسانية والاجتماعية. فالأفلام تُتيح للمشاهد تجربة عوالم مختلفة وفهم تجارب إنسانية قد لا يلتقي بها في حياته اليومية. يؤكّد شعيب العفيف، مدير مشاريع ثقافية، أنّ الأفلام مرآة تعكس واقع المجتمع، وتطرح أسئلته وقضاياها. ويُضيف أنّ وضع المتلقي داخل قصة إنسانية يجعله أكثر قدرة على التعاطف مع الشخصيات وفهم تجاربها المختلفة، حتى لو كانت تنتمي إلى خلفيات ثقافية مُغايرة. وعلى الرغم من هذا التاريخ الثقافي، تواجه السينما في عدن عددًا من التحديات التي حدّت من نشاطها في السنوات الأخيرة. ويتمثّل أبرز هذه التحديات في تراجع دور العرض السينمائي وضعف البنية التحتية للإنتاج الفني، إضافة إلى محدودية الإمكانيات التقنية ونقص الكوادر المتخصصة. وحول هذا الأمر، يُشير شعيب العفيف إلى أنّ القطاع يعاني أيضًا من غياب الدعم المادي وقلة المؤسسات التعليمية المتخصصة في تدريب صناع الأفلام، فضلًا عن بعض القيود الاجتماعية أو السياسية التي قد تحدّ من حرية الطرح الفنّي. وتوضح هذه التحديات أنّ تطوير السينما في المدينة لا يتطلّب الحماس الفردي وحسب، بل يحتاج إلى بيئة مؤسسية تدعم الإنتاج الفني وتوفّر فرص التدريب والتأهيل لصناع الأفلام الشباب.

وعلى الرغم من التحديات القائمة، ما تزال هناك محاولات لإعادة إحياء النشاط السينمائي في عدن من مبادرات ثقافية وفنية مختلفة تسعى إلى إعادة الجمهور إلى قاعات العرض وإحياء هذا الإرث الثقافي. فقد بدأت بعض الجهات بتنظيم فعاليات سينمائية محدودة تعتمد على عرض أفلام عربية وعالمية، في محاولة لإعادة إحياء العلاقة بين الجمهور والسينما. وحول هذا الموضوع يؤكّد مدير فرقة خليج عدن فهد شريح أنّ الفنّ قادر على فتح نقاشات مجتمعية مهمّة حول القضايا الإنسانية والاجتماعية. ويعمل شريح حاليًا على مشروع ترميم سينما أروى تمهيدًا لإعادة افتتاحها، وهي خطوة يأمل القائمون عليها أن تُسهم في إعادة الحياة إلى أحد الفضاءات الثقافية التي شكلت جزءًا من ذاكرة المدينة.

ويمثّل دعم الشباب أحد المفاتيح الأساسية لتطوير صناعة السينما في عدن واستعادة حضورها الثقافي. فتمكين الجيل الجديد من اكتساب المهارات الفنية يمكن أن يفتح آفاقًا جديدة أمام صناعة سينمائية محلية تعكس واقع المجتمع وقضاياها. ويمكن تحقيق ذلك بتنظيم ورش تدريبية في مجالات الإخراج والكتابة السينمائية والتصوير،

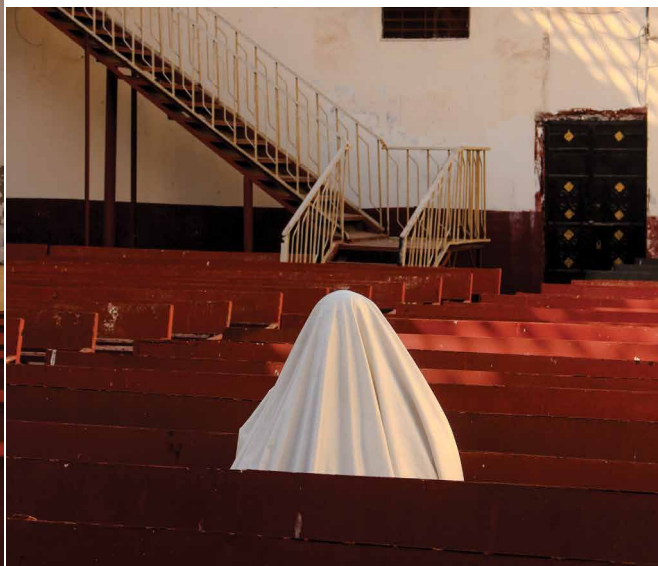
إضافة إلى تشجيع إنتاج الأفلام القصيرة والمستقلة. ويرى مهتمون بالشأن الثقافي أن إقامة مهرجانات وعروض سينمائية مجتمعية قد تُسهم في نشر ثقافة الحوار، خاصة إذا رافقتها جلسات نقاش مع الجمهور حول القضايا التي تطرحها الأفلام. كما تبرز فكرة "السينما المتنقلة" كأحدى المبادرات الممكنة للوصول إلى الأحياء الشعبية والمناطق البعيدة، بما يُتيح عرض أفلام هادفة تلامس واقع المجتمع وتفتح مساحات جديدة للنقاش الثقافي.

وختاماً، يمكن القول إن تجربة السينما في عدن تُظهر كيف يمكن للفن أن يتجاوز حدود الترفيه ليصبح مساحة للحوار والتفاعل بين أفراد المجتمع. فقد أسهمت دور العرض السينمائي في الماضي في خلق فضاء اجتماعي يجمع الناس على اختلاف خلفياتهم، بينما تُشير آراء المختصين والمبادرات الثقافية الحالية إلى أنّ هذا الدور ما يزال ممكناً رغم التحديات. ومع توفير بيئة ثقافية داعمة وتمكين الشباب من تطوير مهاراتهم الفنية، يمكن للسينما أن تستعيد مكانتها أداة ثقافية تُسهم في تعزيز التفاهم والتعايش داخل المجتمع. وهكذا تبقى السينما في عدن حكاية مدينة تحمل في ذاكرتها تاريخاً ثقافياً غنياً، وفي مستقبلها فرصة لإحياء هذا الإرث وبناء جسور جديدة للحوار الإنساني.

شاشة عدن حين كانت السينما تجمع المدينة



سعيدة الوصابي



على إيقاع واحد في أبين: ثقافتنا طريقنا للتماسك والسلام

سعيدة محمد مهدي الشيبه

على ساحل أبين، ومع انكسار ضوء القمر على صفحة البحر، يقف الرجال والنساء في صفوف متقابلة، أكتافهم متلاصقة، تتعالى أصواتهم بأهازيج الدان والدحيف، وتتداخل الخطوات بإيقاع منسجم، وكأنهم يعلنون بصوت واحد: نحن معاً رغم كل شيء. ترتفع الأكف، تهتز الأجساد على نغمة متوارثة كأنهم يجذفون القوارب، ويتحول المكان إلى لوحة من الانسجام الجمعي الذي لا يحتاج إلى شرح. في لوحة فنية تمثل هوية شقراطية بحرية خالصة، تعكس حياة الصياد وكفاحه، وتبرز دور المرأة في دورة الحياة الاقتصادية والاجتماعية، والشعر المصاحب للدحيف يرسم موقف الجماعة من الوجود، ويُعبّر عن رؤيتها للحياة ضمن ثنائية الخير والشر، مما يمنحه بعداً فلسفياً وهوياتياً، وإنّ الغناء والرقص والشعر في الدحيف تعبير عن مستوى حضاري وثقافي بلغة هذه الجماعة في بيئتها الجغرافية الخاصة.

لكن خلف هذا المشهد المضيء، تعيش محافظة أبين منذ عام 2020م تحديات اجتماعية معقدة؛ إذ تصاعدت خطابات الانقسام، وضعف التماسك الاجتماعي، وهنا زادت الحاجة إلى أدوات ناعمة تُعيد بناء الثقة بين الناس بعيداً عن الاستقطابات الحادة. في ظلّ هذه التحوّلات، يطرح السؤال نفسه بإلحاح: هل يمكن للتراث الشعبي أن يكون أداة حقيقية لمواجهة الانقسام؟

أسهمت الحروب والصراعات في محافظة أبين في إضعاف التماسك الاجتماعي وتعميق التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما ساعدت على انتشار خطاب الكراهية بين مكونات المجتمع. وفي هذا السياق، تُشير الناشطة المجتمعية أ. نور قائد إلى أن "ضعف التماسك الاجتماعي يعود إلى الحروب والنزاعات، وضعف الوازع الديني، واختلاف السياسات، وضعف الاقتصاد والبنية التحتية وانعدام الخدمات الأساسية"، مؤكّدة في الوقت نفسه أن الثقافة، ولا سيما ثقافة الحوار والمساواة، يمكن أن تؤدي دوراً محورياً في تعزيز السلام والاستقرار، وأنّ المساحات الآمنة تساعد على تهدئة التوتر وبناء التعاون بين الأطراف.

وفي السياق نفسه، تُشير الناشطة المجتمعية أ. أنجي النوبي إلى تعدّد العوامل التي

تُسهم في إضعاف التماسك الاجتماعي، وما يقابله من مبادرات مجتمعية تسعى إلى معالجتها. وتوضّح أن "أسباب ضعف التماسك الاجتماعي تتعدّد بين الفقر والبطالة والحروب، وتراجع دور الأسرة ومنظمات المجتمع المدني والإعلام، إضافة إلى انتشار الأمية وتأثير وسائل التواصل من دون وعي كافٍ". وفي المقابل، ترى أنّ المساحات الآمنة تمثّل إحدى الآليات المهمة لمعالجة هذه التحديات، ببرامج التوعية والتأهيل وتمكين النساء، وتوفير الدعم الصحي والقانوني والمالي للناجيات من العنف. يمكن إذن للفعاليات التراثية والفنون أن تتحوّل إلى منصات للحوار تجمع الناس حول هويتهم المشتركة؛ إذ يعمل الفنّ جسراً يربط القلوب قبل الكلمات، ويعزّز الانتماء، ويفتح باب التفاهم بين الأجيال. ودعم هذه المبادرات ثقافياً وإعلامياً يُسهم في ترسيخ قيم العدالة والسلام ونبذ خطاب الكراهية، ويُعيد بناء الثقة بين أفراد المجتمع. وتُبرز هذه الرؤية أهمية الثقافة أساساً لحلّ النزاعات وبناء السلام، خصوصاً في المجتمعات المتأثّرة بالحرب، مثل المجتمع الألباني، حيث تؤدّي دوراً جوهرياً في تعزيز وعي المجتمع وتماسكه الاجتماعي.

الدحيف... أكثر من رقصة

يمثل الدحيف طقساً من أهم الطقوس الاجتماعية المتجذرة في الذاكرة الجمعية؛ إذ يُؤدّي في الأعراس والمناسبات الوطنية والاستقبالات القبلية في مناطق مثل شُقرة وزنجبار والكود والطرية، ويجمع الناس بمختلف انتماءاتهم السياسية والقبلية؛ ليجسّدوا روح الفرح والانتماء والتقارب السلمي. ويقول الباحث والأكاديمي ورئيس جمعية شُقرة للثقافة د. سعيد بايونس: "الدحيف هو الهوية الشقرية والمكوّن الروحي الذي يصبغ الجماعة البشرية، ويُعدّ قوة ناعمة مؤثّرة، تُسهم في ضبط السلوك الجمعي وتوجيهه نحو قيم التآلف والتعاون". ويظهر ذلك عملياً في اصطفاك المشاركين في صفوف مستقيمة، يتحرّكون بخطوات متناسقة ويردّدون أهازيج جماعية تحمل معاني الفخر والشهامة، فالصوت الواحد والاصطفاك الجماعي ليسا شكليين، بل يرمزان إلى وحدة الصف والمشاركة، حيث لا يتقدم فرد على آخر، بل يتقدم الجميع معاً.

ويضيف الأكاديمي بايونس أنّ جذور الدحيف التاريخية تكشف عن أصله الفنّي الذي ينبع من المجتمع نفسه، حيث تُشير بعض الروايات إلى ارتباطه بطقوس جماعية قديمة على شاطئ البحر، كانت تؤدّي في سياقات ذات بعد روحي يتعلّق بطلب الرزق والعطاء. ومع تطوّر المجتمع، تحوّلت موضوعات الدحيف من الطقوس الدينية إلى التعبير عن قضايا الحياة اليومية، حاملاً مضامين الحبّ والإصلاح الاجتماعي وتعزيز

القيم الأخلاقية، بل لأمس الشأن السياسي أحياناً. ويبرز هذا الامتداد التاريخي والتعلّق الوجداني بالفنّ قدرته على توجيه المجتمع نحو التماسك والمحبة والتعاون، مما يجعله أداة ثقافية حيوية لإعادة تأكيد القيم الجماعية وربط الأجيال بعضها ببعض عبر موروّثهم الشعبي.

بعد استعراض جذور الدحيف وأبعاده التاريخية والاجتماعية، يتّضح أن هذا الطقّس الشعبي لا يقتصر على كونه فعالية احتفالية وحسب، بل يمثّل إطاراً عملياً لترسيخ قيم الانتماء والتعاون والتماسك الاجتماعي. ويختتم الأكاديمي بايونس بالقول: "الاصطفاف في الدحيف يمثل حالة من الانضباط المجتمعي والأخلاقي، فهو يُشير إلى تماسك البنية الاجتماعية وانضباطها في قانون حياتي صارم يمنع الفوضى وفقدان التوازن، ويؤكدّ تلاحم كل فئات المجتمع ضمن هذه الفعالية". وببساطة هذا الترتيب الرمزي، يختصر فلسفة هذا التراث وعلاقته بالتماسك الاجتماعي وبناء السلام، فالشجاعة ليست فقط في المواجهة، بل في الوقوف صفّاً واحداً، والكرم لا يقتصر على الضيافة، بل يمتدّ إلى تقاسم الفرح والحضور.

حين يجمع الإيقاع ما فرّقته السياسة والخلافات الشخصية والطبقية. في أوقات التوتر والانقسام التي يعيشها المجتمع الأبيني، يشكل الدحيف مساحة مشتركة نادرة، حيث يتساوى الجميع على الصفوف ويُصبح الانتماء السياسي أو القبلي غير ذي صلة، ويكفي معرفة الإيقاع وترديد الكلمات. في هذا السياق، يتحوّل الاصطفاف في الدحيف إلى رمز للوحدة، ليس التفافاً ضدّ طرف، بل الالتفاف حول قيمة مشتركة، وهي الألفة، كما يظهر على شاطئ البحر وساحة المدارة، حيث لا توجد حواجز أو جدران، فيصبح المكان نفسه رسالة مفتوحة تُفيد أن هذه المساحة تتّسع للجميع. ويؤكدّ الأكاديمي بايونس أنّ الدحيف يمثّل "وسيلة بناء للجمال وبناء للسلام دون إراقة نقطة دم واحدة بسبب تأثيرها على القلب والعقل ومخاطبته لتعديل أفكاره وسلوكه"، مضيفاً أنّ "شعر الدحيف أبطل محاولات أرادت للمجتمع أن يستباح ومحاولات لتدميره، لكنه وقف لها بالمرصاد بوصفه وسيلة توعوية لنهضة المجتمع". وهنا تظهر قوّة الثقافة، فهي لا تتحدّث عن خطاب الكراهية بشكل مباشر، بل تُضعف تأثيره عندما تُقدّم بدائل أجمل وأكثر إنسانية، ويمكن تحويل الدحيف من حدث احتفالي وحسب إلى منصّة حوار مجتمعي. تخيّلوا أن تُقام فعالية ثقافية يُدعى إليها مختلف أطياف المجتمع، يقفون في صفّ واحد، يتشاركون الإيقاع نفسه، ثم يفتحون مساحة للنقاش حول قضاياهم المشتركة من المساجلات الحيّة. هنا يصبح هذا التراث وسيلة مناصرة سلمية تُعيد تعريف العلاقة بين الناس.

وللشباب دور فعّال في إحياء هذا التراث بروح معاصرة، عبر تنظيم مهرجانات شعبية حيّة وافتراضية تُنشر على تواصل الاجتماعي، وتوثيق الأهازيج، وربطها برسائل توعوية حول السلام والتعايش. فالاصطفاف الذي قد يُفهم أحياناً سياسياً، يمكن إعادة تعريفه كاصطفاف للقيم، وهي قيم الاحترام والحب والتكاتف والانتماء للمكان.

الناس تستعيد توازن قلوبهم

يتحقّق إذن التماسك الاجتماعي في أبين بالأنشطة المشتركة التي يمارسها الناس معاً، حيث يقف المشاركون في صفّ واحد، يردّدون الأغاني نفسها، ويضربون الأرض بالإيقاع نفسه، ليعيدوا بذلك بناء الروابط بينهم. ويقول شاعر الدان منصور كندي أبو ناصر: "الدحيف في أبين مساحة اجتماعية تجمع نساءً ورجالاً مختلفين سياسياً، وحتى من كانت بينهم خلافات، على إيقاع واحد وكلمة واحدة. المساجلات الشعرية بين: منصور كندي وأحمد إبراهيم بوغزل وعدنان جعم تُظهر كيف يمكن للفنّ التراثي أن يعبر عن الحب والاعتاب والانتماء، ويقوّي الروابط بين الناس". ويختم الشاعر الشاب منصور كندي قائلاً:

عهود الهوى والحبّ ما صنتها وأسرارنا بحتها كلن بها صار داري
أما عدنان جعم فيقول:

خُنتني خُنت حبي والثقة خنتها خليتني نوح طول الليل والدمع جاري
وتوضح هذه المساجلات أن الدحيف منصة للتقارب الاجتماعي، تُعيد للمجتمع روح الجماعة والانتماء، وتصبح أداة فعّالة لبناء السلام وتعزيز التماسك بين الأجيال والفئات المختلفة.

من أجل تحويل هذا الموروث إلى عادة دائمة تعزّز التماسك الاجتماعي وبناء السلام في أبين، يصبح دعم الفعاليات الثقافية التي تحتفي بالفنون الشعبية مثل الدحيف ضرورة؛ إذ تخلق هذه الفعاليات مساحات آمنة للحوار والتفاهم بين أفراد المجتمع. وينبغي تشجيع الشباب على إحياء التراث بروح معاصرة، بتنظيم مهرجانات وورش عمل تُعزّز القيم الإنسانية، مع تعزيز مشاركة النساء؛ إذ تعكس مساهمتهن قوة المجتمع وتنوّعه. كما يمكن لوسائل الإعلام أن تؤدي دوراً محورياً في نشر الوعي بأهمية التراث في بناء السلام والاستقرار.

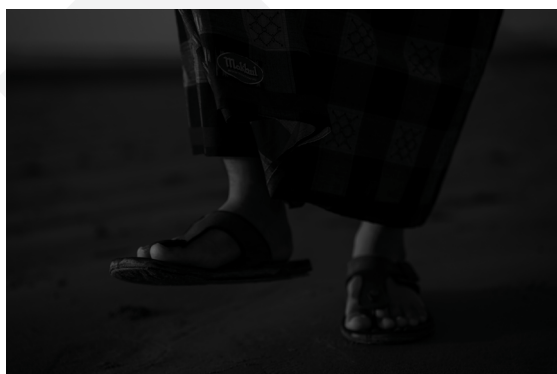
في ختام القول، رقصة الدحيف تعبير حيّ عن الثقافة والهوية في محافظة أبين، ورسالة واضحة بأنّ ما يجمع الناس عندما يقفون معاً أقوى من أيّ خلاف. هذا التعبير الثقافي يُعيد الألفة بين الناس، يقوّي الروابط الاجتماعية، ويزرع بذور التماسك والانتماء، كما يبرز أنّ الحلّ لنبذ خطابات الكراهية يكمن في العودة إلى المساحات

الآمنة التي صنعها الأجداد، حيث ينحسر الإقصاء ويصبح الاستثمار في هذه المنابر الثقافية استثمارًا حقيقيًا في السلام الدائم، ليظلّ الدحيف الحصن الذي يُعيد التوازن إلى القلوب ويجعل التماسك الاجتماعي وبناء السلام ممارسة حيّة يوميًا على إيقاع واحد: إيقاع التعايش.

على إيقاع واحد في أيين ثقافتنا طريقنا للتماسك والسلام



عبد الله جميل عبد الله



عندما أدرك المواطنون أن حيّهم جزءٌ منهم

دعاء عيينين

متى كانت آخر مرة شعرت فيها أن الشارع الذي تمشي فيه هو امتداد لبيتك؟ هذا الشعور تحديداً هو ما جعل مدينة غيل باوزير بساحل حضرموت تحظى بمكانة مرموقة في النظافة، فالأمر هنا يقاس بمدى شعور الناس بملكية المكان العام، ولعل هذا ما يفسر تكرار اسم المدينة كلما طُرِح سؤال بسيط: ما أنظف مدينة في ساحل حضرموت؟

هذه السمعة الطيبة كانت ثمرة سنوات من الوعي المجتمعي والعمل المشترك بين السكان (بحسب تقرير "غيل باوزير نموذج رائد للمدينة الحضرية النظيفة" للصحفي أحمد باحمادي). وقد توجّ هذا الوعي مؤخراً بمبادرة رائدة حوّلت النظافة من واجب ثقيّل إلى منافسة ممتعة تُعرف بمسابقة "أنظف حي".

وينطلق هذا التميز من مقارنة بسيطة، ففي كثير من المدن، تمرّ الشوارع يومياً تحت أقدام المارة دون أن يلتفت أحد لمن يعتني بها، تُرمى القمامة أحياناً على عجل، ويُترك أمر النظافة بالكامل للجهات الرسمية، وكأن المكان العام لا يخصّ أحداً، بينما تظهر الصورة في غيل باوزير مغايرة تماماً. فكيف تحول هذا الوعي من مجرد ثقافة مجتمعية إلى هذا التحدي المنظم على الأرض؟

الحكاية بدأت في عام 2025، حين قرر مشروع النظافة والتحسين، بالتعاون مع منتدى الجيلاني التطوعي التابع لمؤسسة داؤود الجيلاني التنموية، أن ينقلوا هذا الشغف إلى مستوى أعلى، حيث أطلقوا مسابقة بفكرة بسيطة لكنها عبقرية في أبعادها النفسية والاجتماعية: إشعال روح المنافسة الإيجابية بين الجيران ليصبح كل حي مسؤولاً عن رسم لوحته الخاصة.

ومع هذا النجاح الملهم الذي تحقق في العام الأول، عادت المبادرة في نسختها الثانية لعام 2026 ضمن فعاليات أسبوع النظافة والبيئة، لتثبت للجميع أن النظافة في الغيل أسلوب حياة يومي ومستدام.

وخلال الحفل الختامي لهذه النسخة، أوضح الأستاذ غسان محمد بن دحمان، مدير مشروع النظافة والتحسين بمديرية غيل باوزير، أن الهدف الحقيقي يسعى بالدرجة

الأولى إلى تعزيز ثقافة المشاركة المجتمعية، وتشجيع السكان على التعاون في إظهار أحيائهم بصورة جميلة، خصوصاً مع اقتراب شهر رمضان المبارك. شهدت المسابقة مشاركة ثلاثة أحياء سكنية هي: حي الصالحية، وحي معيان الشيخ، وحي حباير، حيث قدمت الفرق المشاركة نماذج متعددة من العمل التطوعي، فقد بادر السكان إلى تنظيف الشوارع وإزالة المخلفات، وردم بعض الحفر، ودهان الأرصفة وأعمدة الإنارة، إضافة إلى زراعة الأشجار وتزيين الأحياء وتحسين الإنارة في بعض الشوارع.

وعمل المشاركون على توزيع براميل لرمي القمامة في عدد من المواقع، وتعليق ملصقات توعوية تشجع السكان على الحفاظ على النظافة، في صورة تعكس روح التعاون بين الأهالي وحرصهم على إبقاء مدينتهم نظيفة وجميلة. وفي نهاية المسابقة، تمكن حي معيان الشيخ من حصد المركز الأول للعام الثاني على التوالي، بعد حصوله على أعلى تقييم من لجنة التحكيم، في إنجاز يعكس مستوى عالي من التعاون بين أبناء الحي وتكاتفهم.

ولم يكن هذا الفوز مجرد نتيجة لحملة مؤقتة، بل ثمرة جهود متواصلة من سكان الحي الذين حرصوا على تحويل فكرة النظافة إلى ممارسة يومية يشارك فيها الجميع. معتز، وهو أحد أبناء غيل باوزير المتابعين عن قرب لهذه المبادرة، يرى أن ما حققه هذا الحي هو ثمرة واضحة لروح التعاون. ويوضح قائلاً: "استطاع سكان الحي الفوز بلقب أنظف حي بفضل جهودهم الجماعية والتزامهم بالنظافة، حيث نظم الأهالي حملات تنظيف جماعية، كما شجعوا الجميع على المشاركة في الحفاظ على نظافة الحي، وعملوا على توعية الأطفال بأهمية النظافة".

وبالفعل، حين تتأمل تفاصيل الحياة اليومية داخل الحي، تتبدى ملامح التغيير بوضوح، شوارع نظيفة خالية من المخلفات، أرصفة أُعيد ترتيبها بعناية، حاويات قمامة موزعة بشكل منتظم، ولمسات تزيين بسيطة تضيء على المكان روحاً مختلفة، إنها تفاصيل صغيرة، لكنها تكشف حجم الجهد الذي بذله السكان، وتعكس إحساساً حقيقياً بالمسؤولية تجاه المكان.

هذا المظهر النظيف والمنظم في الحي يفسره لنا حمزة بن شيخان، منسق فريق حي معيان الشيخ في المسابقة، ويقول إن البداية كانت مع إعلان المسابقة، حيث بادر بالتواصل مع اللجنة المنظمة، ثم العمل على تحفيز شباب الحي وتنظيم جهودهم. ويوضح أن الفريق اعتمد على تقسيم الأدوار بين المشاركين، فكان هناك فريق للنظافة، وآخر للتزيين، وفريق للصيانة تولى إصلاح بعض المرافق مثل إنارة الشوارع، إلى جانب التنسيق مع عدد من الداعمين من أبناء الحي لتوفير الاحتياجات الأساسية.

ويشير بن شيخان إلى أن العمل لم يقتصر على تنظيف الشوارع فقط، بل شمل تحسين بعض الجوانب الخدمية داخل الحي، مؤكداً أن التجربة أسهمت في تعزيز روح التعاون بين الأهالي. ويختتم حديثه قائلاً: "لم نخرج من هذه المسابقة بشوارع نظيفة فحسب، بل بمكاسب معنوية فاقت التوقعات."

في الحقيقة، مسابقة "أنظف حي" في غيل باوزير دليل بسيط وواضح يثبت أن التغيير الحقيقي يبدأ دائماً من وعي الناس أنفسهم قبل أي شيء آخر. إن الممتع في هذه التجربة هو قدرتها على كسر الحواجز بين الجيران في هذا الزمن الذي تراجعت فيه الكثير من العلاقات الاجتماعية، فالقيمة الحقيقية هنا لا تكمن فقط في كمية المخلفات التي رُفعت من الشوارع، بل في روح الألفة والتعاون التي عادت لترتبط بين أهالي الحي الواحد. هذه التجربة تفتح الباب أمام تساؤل مهم: هل يمكن أن تتكرر في أحياء أخرى؟

ربما لا يحتاج الأمر إلى إمكانيات كبيرة بقدر ما يحتاج إلى وعي مجتمعي وإحساس حقيقي بالمسؤولية، فالحفاظ على نظافة الأحياء يبدأ بخطوات بسيطة، مثل الالتزام بعدم رمي القمامة في الشوارع، وتشجيع المبادرات التطوعية، وتعزيز التعاون بين السكان والجهات المختصة. كما يمكن للمدارس والمؤسسات المجتمعية أن تلعب دوراً مهماً في نشر ثقافة النظافة بين الأطفال والشباب، بوصفهم الجيل القادر على ترسيخ هذه القيم في المستقبل.

وفي النهاية، تبقى النظافة أكثر من مجرد خدمة تقدمها جهة ما، بل ثقافة تبدأ من الفرد وتمتد إلى المجتمع بأكمله، حين يرى الإنسان في محيطه امتداداً لذاته، لا شيئاً منفصلاً عنها.

عندما أدرك المواطنون أن حيّهم جزءٌ منهم

محمد الجريري



مبادرة شبابية تعير المعدات الطبية مجاناً للمرضى والمقعدين

حداد مسيعد

قبل سنوات، لفت انتباهي إعلان متداول عبر تطبيق واتساب. كان الإعلان رسالة بسيطة تحمل مضموناً إنسانياً كبيراً، جاء فيها أن مجموعة شبابية تطوعية أطلقت مبادرة إجتماعية تقوم على إعارة الأجهزة والمعدات الطبية مجاناً للمرضى وكبار السن والمقعدين في المنازل. حينها تواصلت مع أحد المعارف، وكان والده رجلاً كبيراً في السن أقعده المرض، ويحتاج إلى سرير طبي يخفف عنه مشقة النوم والحركة. لم تمض ساعات حتى تم توفير السرير له، واستفادت الأسرة منه فترة طويلة، حتى انتقل الوالد إلى رحمة ربه، فأعيد السرير كما أخذ، بعد تنظيفه وتجهيزه، لينتقل إلى بيت آخر يحتاجه، ومن يومها أدركت أن بعض المبادرات لا تُقاس بحجمها، بل بأثرها.

وعلى رأس هذا الحراك الإنساني، يبرز اسم محمد كرامة مسيعد، فهو رئيس مجموعة شباب الحاوي التطوعية القائمة على هذه المبادرة، الذي يرى في هذا المشروع واجباً أخلاقياً تفرضه روح الأخوة. يوضح محمد أن "المستودع" بات يضم اليوم عدداً من المعدات التي يحتاجها المرضى والمقعدون في بيوتهم؛ من أسرة طبية وفرش هوائية، وعربات متحركة، وعكازات بأنواعها المختلفة، وصولاً إلى الأجهزة التخصصية مثل أجهزة التنفس وشفط البلغم.

وما يبعث على الفخر في تريم هو رد فعل المجتمع؛ فبمجرد أن انتشر صدى المبادرة، تسابق ميسورو الحال وأهل الإحسان لشراء معدات طبية هامة وتقديمها للمستودع، إيماناً منهم بأن خدمة الناس في ظل هذه الظروف الصعبة هي أسمى مراتب العطاء. ورغم النجاح الكبير والأثر الملموس، إلا أن محمد لا يخفي التحديات التي تواجه المبادرة، فمع تدهور الأوضاع الصحية وزيادة أعداد المرضى، أصبح الإقبال على استعارة الأدوات يفوق الكميات المتوفرة في كثير من الأحيان. ويؤكد أن السعي لا يتوقف للوصول إلى كل يد ممدودة بالخير لتعزيز هذا المستودع، خاصة وأن تكلفة شراء سرير طبي باهضة، وهو ما يجعل المبادرة صمام أمان حقيقي يحمي كرامة المحتاجين. وتبرز شهادات المستفيدين لتؤكد هذا المعنى؛ حيث يروي أحدهم كيف استعار سريراً لمريض من أسرته لمدة عام كامل، وحين استغنى عنه أعاده نظيفاً

وجاهزاً للاستخدام، مشيداً بهذه اللفتة التي أنقذته من هم مادي كان سيعجز عن تدبيره .

في حضرموت، كما في كثير من المجتمعات الأصيلة، ما زالت قيم "الفرعة" ونجدة المحتاج حاضرة في النفوس. والناس هنا، كما يقول أهل البلد، "ما يقصّروا إذا دعيتهم للخير". وهذه المبادرة صورة حديثة لتلك القيم القديمة، لكنها جاءت بلغة العصر وتنظيمه، عبر مستودع وسجلات ومتابعة وتنسيق، ما جعلها أكثر أثراً واستدامة. تسهم مثل هذه المشاريع في تخفيف الضغط عن الأسر الفقيرة، وتمنح المرضى فرصة أفضل للعلاج والرعاية المنزلية. فكثير من الحالات لا تحتاج إلى بقاء طويل في المستشفى بقدر حاجتها إلى أدوات مساعدة داخل البيت. وعندما تتوفر هذه الأدوات، تتحسن جودة حياة المريض، وتخف معاناة ذويه، وتقل التكاليف الباهظة عليهم. ولعل الرسالة الأهم التي تحملها هذه التجربة، أن الخير لا يحتاج إلى ثراء كبير، بل إلى فكرة صادقة ومن ينهض بها. قد يبدأ المشروع بسرير واحد، ثم يصبح مستودعاً كاملاً وقد يبدأ بمجموعة شباب في حارة، ثم يتحول إلى نموذج يُحتذى في مناطق أخرى. ما أحوجنا اليوم إلى تكرار مثل هذه النماذج، ودعمها، والحديث عنها، حتى تنتقل العدوى الجميلة من حي إلى حي ومن مدينة إلى أخرى. فالمرض لا يختار بيتاً دون بيت، والحاجة قد تطرق أي باب، ومن يزرع المعروف اليوم قد يجده غداً أمامه حين تضيق السبل.

ما يميز هذه المبادرة في تريم ليس فقط توفير القطعة الطبية، بل في قدرتها على تعميق التماسك الاجتماعي وإحياء مفهوم الجسد الواحد، فعندما يشعر المريض المقعد بأن هناك من يسنده دون مقابل، تذوب مشاعر العجز وتتحلل الأزمات النفسية قبل الجسدية.

إنها دعوة صريحة لإعادة الاعتبار لقيم التعاون الفطري الذي نشأ عليه الأجداد في حضرموت، حيث كان الجار يسند جاره في الشدائد. واليوم، يأتي شباب الحاي ليعيدوا صياغة هذا الإرث بأسلوب مؤسسي بسيط وشفاف، يثبت للعالم أن "تريم الغناء" تظل منارةً ليس فقط في العلم، بل في الرحمة والإنسانية التي تشرق من أركانها لتقول لكل متألم: لست وحدك.

مبادرة شبابية تعير المعدات الطبية مجاناً للمرضى والمقعدين

سالم حسان



من طريق الرجوعية إلى الأزمة الإنسانية.. عندما يصنع الترابط المجتمعي الفارق

أحمد عبدالمنعم

في كلّ وقتٍ يمرّ فيه فارس أحمد بسيارته على الطريق المؤدية إلى قريته "الشرف" بعزلة الرجوعية، يشعر بالفخر والتقدير لقيام الأهالي برصف وبناء هذه الطريق، فقبل ثلاث سنوات من الآن، لم يكن فارس أو أيّ أحد من سكان عزلة "الرجوعية" يستطيع المرور بالسيارة من هذا المكان بسبب وعورته، لكن هذا الطريق أضى سالكاً الآن بفضل ترابط الأهالي وتكاتفهم.

شكّلت هذه الطريق الوعة أزمة حقيقية لأهالي الرجوعية، قبل أن يتمكنوا من حلّها بتكاتفهم. وبعيداً عن هذه المشكلة، لا يزال كثيرٌ من اليمنيين يعانون من أزمات وصعوبات اقتصادية ومعيشية متعدّدة، فضلاً عن تداعيات الحرب، مثل النزوح والأزمة الإنسانية. في مقابل ذلك، أسهمت صور الترابط المجتمعي، التي أظهرها الناس في اليمن ووقوف بعضهم إلى جانب بعض أثناء الأزمات، بشكل كبير في التخفيف من حدّتها، والتغلب على كثير منها في أوقات كثيرة.

يتوارث اليمنيون قيم الترابط المجتمعي عبر الأجيال، بوصفها امتداداً لثقافة راسخة وتقاليد متجذّرة في الأعراف الاجتماعية والدينية منذ زمن طويل. توضّح أستاذة علم الاجتماع في جامعة تعز، الدكتورة ألطاف الأهدل، أنّ هذا الترابط يُعدّ جزءاً من المنظومة القيمية لليمنيين، مضيفاً أنّ أفراد المجتمع لا يلجؤون إليه في أوقات الأزمات فحسب، بل يُمارسونه عادةً أصيلةً في مختلف شؤون حياتهم، حتى غدا موروثاً ثقافياً يميز المجتمع اليمني عن غيره.

وتقول الأهدل: "إنّه، على الرغم من التنوّع الثقافي والجغرافي وتباين العادات والتقاليد بين كل منطقة وأخرى من مناطق البلاد، فإنّ المعايير الاجتماعية في مسألة الترابط والتكاتف والمساعدة وتقديم العون تظلّ واحدة ومرتبطة بالكيان العام للشخص اليمني، وأنّ الترابط ومدّ يد العون للآخرين هي قيم سامية لا يستطيع أفراد المجتمع الاستغناء عنها تحت أيّ ظرفٍ كان".

ويمتلك اليمنيون تاريخاً طويلاً في إظهار الترابط المجتمعي، وقد عبّروا عن ذلك منذ

القدّم بنماذج عدّة، أبرزها التشارك الجماعي ببناء المدرجات الزراعية والسدود، وكذلك المشاركة في مشروع التعاونيات، وأخيراً التكايف ووقوف بعضهم مع بعض في الأزمات التي أفرزتها الحرب.

الترابط أثناء الأزمة الإنسانية والنزوح

يُمكن بالترابط المجتمعي التخفيف من حدة الأزمات الإنسانية والمعيشية في فترات الحرب، فقد تسببت تلك الحرب التي اندلعت في البلاد عام 2015 في تدهور الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للسكان. وقد صنّفت منظمة الأمم المتحدة اليمن بأنّه يعاني من واحدة من أسوأ الأزمات الإنسانية في العالم، لكن ترابط أفراد المجتمع ووقوف بعضهم إلى جانب بعض أسهم بشكل كبير في التخفيف من حدة هذه الأزمة؛ إذ ضرب اليمنيون أمثلة كثيرة في التكافل الاجتماعي والتآلف والتآزر فيما بينهم لتخفيف وطأة الأزمة الإنسانية.

وأظهرت دراسة نشرها مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا) عبر موقع "ريليف ويب" عام 2022 أنّ التضامن الاجتماعي الاستثنائي التي أظهرته الأسر اليمنية كان عاملاً أساسياً في منع تدهور أكبر للأوضاع الإنسانية والظروف المعيشية للسكان.

وإضافة إلى الأزمة الإنسانية، أدّت الحرب أيضاً إلى حدوث أزمة نزوح للسكان في مناطق عدّة، وهنا تظهر صور الترابط المجتمعي في هذه الأزمة باستقبال النازحين في المدن والأرياف ومدّ يد العون لهم من قبل سكان المناطق التي نزحوا إليها. يقول الباحث الاجتماعي وضاح فرحان: "إنّ ترابط المجتمع في فترة الحرب أسهم في مجابهة الأزمات والحفاظ على النسيج الاجتماعي في المجتمع، فضلا عن مساهمته في تحقيق المشاركة المجتمعية، وتشكيل لجان مجتمعية، وتأسيس مبادرات عملت على تحسين الوضع المعيشي للمواطنين". وقد عززت صور الترابط التماسك والمودة فيما بينهم، كما أسهمت في منع تدهور الأوضاع المعيشية وتعزيز ثقافة التآلف والتراحم بين الناس في معظم مناطق البلاد.

برزت نماذج متعدّدة للترابط المجتمعي في اليمن، تمثّلت بإطلاق مبادرات محليّة، مثل بناء خزانات لمياه الشرب ورصف الطرق، خصوصاً في المناطق الريفية. ومن أبرز هذه النماذج مبادرة رصف طريق "الرجاعية" في محافظة تعز، ففي منتصف عام 2023، بدأ أهالي العُزلة، التي تبعد مسافة 68 كليومترا عن مركز مدينة تعز، بتشكيل مبادرة مجتمعية من أجل رصف وبناء الطريق المؤدّية إلى عزلتهم وربطها بالطرق المجاورة. بعد فترة وجيزة من إعلان المبادرة، نجح الأهالي بجمع أكثر من نصف مليار

ريال. خُصّص هذا المبلغ لرصف وبناء الطريق وربط عزلتهم بالمناطق المجاورة. يقول فارس عبده أحمد شمسان وهو أحد القائمين على المبادرة: "كُنّا نعاني من وعورة الطريق وعدم القدرة على الوصول إلى قرى عزلة "الرجاعية" بالسيارات والمركبات، لكننا نجحنا، بالترابط الذي أظهره الأهالي والتفاعل مع المبادرة، في رصف وبناء الطريق وإنهاء هذه الأزمة". يضيف فارس: "بدأنا العمل في أغسطس من عام 2023، وانتهينا منه في أواخر عام 2024. في نهاية الأمر، نجحنا في رصف وبناء 1300 متر، هي جُلّ مسافة الطريق الوعرة".

وتُعَدّ مبادرة أهالي "الرجاعية" أكبر مبادرة مجتمعية في محافظة تعز؛ إذ جمعت أكثر من نصف مليار ريال من الأهالي أنفسهم. وأضحى أهالي المنطقة الذين يزيد عددهم على تسعة آلاف نسمة، يستفيدون من هذه الطريق ويتنقلون من منطقتهم إلى المناطق المجاورة بسهولة ويُسر.

تؤكد هذه المبادرات قدرة المجتمع اليمني على إبراز صورة متجدّرة من الترابط والتكاتف في مختلف الظروف، لا سيما في السنوات الأخيرة من مواجهة الأزمة الإنسانية وأزمة النزوح، وصولاً إلى مبادرات محلية مثل رصف طريق الرجاعية. وقد أسهم هذا الترابط في التخفيف من آثار تلك الأزمات والحدّ من تداعياتها، كما مكّن المجتمعات المحليّة من إيجاد حلول عملية لتحدياتها. وفي المحصلة، يعكس ذلك حقيقة راسخة مفادها أنّ الترابط المجتمعي يشكّل جزءاً أصيلاً من هوية المجتمع اليمني وثقافته.

من طريق الرجوعية إلى الأزمة الإنسانية عندما يصنع الترابط المجتمعي الفارق



أحمد باشا



من عدن إلى جبال الحُجْرية.. حين صنعت الحرب ما عجز عنه السلم من تمازج

محمد عبد القادر

في أواخر مارس من عام 2015، كانت علياء سعد تجلس في منزل عائلتها بعدن تُتابع نشرة الأخبار، حين رأت وجوهاً تشبه وجهها، وصناديق مُحمّلة على سيارات تُشبه صناديق جيرانها، تتّجه نحو مناطق لم تكن قد سمعت بها من قبل، تقع في جبال تعز بعيداً عن البحر الذي نشأت فيه، ولم تكن تعرف وقتها أنّ تلك الصور ستكون مقدّمة لأكثر من مجرد نزوح، بل تجربة حياة كاملة في مجتمع مختلف ستعود بشيء منه. اشتدّت المواجهات بمدينة عدن في ربيع 2015 بين جماعة الحوثي والقوات الحكومية، فأفرغت الشوارع من الحياة تحت وطأة القصف المتواصل، وبحسب تقارير الأمم المتحدة، أجبر العنف المتصاعد في تلك المرحلة أكثر من نصف مليون يمني على النزوح من مناطقهم، وقد شكّلت محافظة تعز، إلى جانب مأرب وحجة والحديدة، وجهةً رئيسية لأكثر من نصف هؤلاء النازحين، وفق ما رصدته التقارير الصحافية. في هذا السياق المضطرب، اتجهت عائلات عدنية بأعداد كبيرة نحو المناطق الجبلية في الحجرية جنوب تعز، ومنها مديرية الشّمائيتين التي احتضنت موجات متعاقبة من القادمين، وما جرى بعد ذلك لم يكن مجرد إيواء إنساني مؤقت، بل بداية تمازج ثقافي حقيقي لا تزال آثاره ماثلة حتى اليوم. المجتمع المستقبل ليس دائماً في موضع القادر الموسر، وهذه حقيقة غالباً ما تُهمَل في قصص النزوح، فقد أشارت دراسة أعدتها منظمة أوكسفام اليمن، ونشرتها في مجلة Forced Migration Review، إلى أنّ ما يقارب من 65% من النازحين في اليمن يلجؤون إلى شيوخ المناطق للحماية وفصّ النزاعات، مستندين إلى بنية اجتماعية قائمة على التضامن القبلي والروابط الجماعية. وفي الحجرية تحديداً، يرصد الباحثون خصوصية لافتة، فهذا المجتمع يُعدّ من أكثر مجتمعات اليمن انفتاحاً وتسامحاً، وقد وصفه الباحث الاجتماعي اليمني عادل الأحمد، بأن أبنائه يستطيعون "التغلغل والانصهار في مناطق اليمن المختلفة بكل سهولة ويسر"، مشيراً إلى غياب أي صراعات قبلية داخلية أو ثارات بين مناطقهم.

وحين وصلت عائلة علياء إلى قرية الشرف في مديرية الشّمائتين، لم يواجهها المجتمع بالريبة، بل بادر أحد أبناء القرية إلى منحهم منزلاً قيد الإنشاء للسكن فيه، وهذا السلوك تعبير عن بنية اجتماعية سابقة الوجود، تحكمها ثقافة الكرم والتكافل التي تُشكل الهوية الجوهرية لمجتمعات الحجرية.

أن يفتح أبناء قرية نائية منازلهم لغرباء من مدينة بعيدة البيئة والنمط الحياتي، يعني أن التضامن هنا كان أقوى من الحسابات، وأن البيئة الاجتماعية الحُجرية كانت مُهيأة بطبيعتها لاستيعاب التنوع والتكيف معه.

العصریات جسراً اجتماعياً

يبدأ التمازج الثقافي في تلك التفاصيل الصغيرة التي تصنعها النساء بأيديهن بلا ضجيج. ما يُعرف في عدن بـ"العصریات"، وهي الجلسات الاجتماعية التي تعقدها نساء المدينة بعد منتصف النهار لتبادل الحديث وتناول الشاي، سرعان ما تحولت في القرى المُضيغة إلى ممارسة مشتركة. تقول علياء سعد إن جاراتها من أبناء المنطقة بدأت بالمشاركة في هذه الجلسات تدريجياً، حتى غدت مساحة يومية تلتقي فيها امرأتان من بيئتين متباعدين. وتدعم هذه الملاحظة ما أشارت إليه أبحاث التماسك الاجتماعي من أن "زيادة التفاعلات المباشرة بين المجموعات المختلفة ترتبط ارتباطاً إيجابياً بتحسّن التصورات المتبادلة"، وهو ما يعني بلُغة أكثر مباشرة أن الجلوس معاً وتشارك الشاي يصنعان ما لا تصنعه الخطب ولا البرامج الرسمية.

الأمر لا يتوقّف عند تبادل الأحاديث، ففي هذه المجالس تتداخل اللهجات وتتشابك المفردات، وتُروى القصص الشخصية بنكهتين مختلفتين، والمجالس النسائية في الأوساط العربية لم تكن يوماً "قهوة وكلام" وحسب، بل هي المختبر الفعلي الذي تنتقل فيه العادات وتُختبر فيه القيم وتُولد فيه الألفة التي لا تصنعها المناسبات الرسمية.

التبادل الثقافي بالأزياء

يعتبر التغيير في اللباس، بالنسبة لعلماء الأنثروبولوجيا الثقافية، من أوضح علامات الاستيعاب الثقافي، ففي قرى الشّمائتين، بدأت نساء من بنات المنطقة بتجربة ارتداء "الدرع" العدني (الذي النسائي التقليدي القادم من ثقافة المدينة الساحلية). وفي الاتجاه المقابل احتفظت علياء بعد عودتها بالزي الصبري، أحد أبرز الأزياء التقليدية في ريف تعز، لترتديه في مناسباتها الاجتماعية في عدن.

ثمة دلالة في هذا الاتجاه المزدوج، فالتبادل لم يكن في اتجاه واحد، كما يحدث عادةً

حين يفرض الوافد نفسه على المضيف، أو حين يذوب المضيف بالوافد، هنا كان التبادل ندّيًا ومتبادلًا، مما يعكس علاقة قائمة على الاحترام لا على التبعية أو الإقصاء.

المطبخ الذي جمع البحر بالجبل
الطعام هو أكثر العناصر الثقافية اختراقًا للحواجز، وأسرعها في ترسيخ الألفة بين مجتمعات متباينة، حيث حرصت والدّة علياء على إعداد الأطباق العدنية التقليدية كالزربيان والعُشّار لجيرانها، فتحوّلت هذه الأطباق تدريجيًا من "طعام الغرباء" إلى طلب ثابت في الولائم والمناسبات. فقد تعرّفت العائلات العدنية على العصيد والفطير التعزيين، حتى أصبحت جزءًا من طاولة المنزل في عدن بعد العودة.
هذه الظاهرة في الحجرية تتسق مع بقية الأماكن في سياق النزوح، فقد رصدت دراسات عدّة، معنية بأثر النزوح، أنّ تبادل الطعام يُشكّل نقطة انطلاق حقيقية لبناء التواصل الإنساني بين الجماعات المتباينة؛ لأنه يتجاوز الحواجز اللغوية والقيمية ويخاطب شيئًا أكثر أصالة في الإنسان، والجدير بالملاحظة هنا أنّ وجبتَي الزربيان والعصيد لم تنتقلا كوصفة طعام بحتة، بل انتقلت معهما طقوس التحضير والتقديم، مما جعل الأمر تبادلًا ثقافيًا بالمعنى العميق للكلمة، لا مجرد استعارة غذائية.

اللغة المختلطة.. حين تقترب الكلمات من الجار
أما اللغة فهي الحاضنة الأعمق للهوية، ومن هنا تبدو دلالتها بالغة حين تبدأ في الاختلاط. فقد رصدت علياء ظاهرة لافتة: فبعض المفردات العدنية باتت تُتداول على ألسنة شباب القرى في الشمايتين، في حين تبنت هي وعائلتها تعابير محلية من ريف تعز تجدها أكثر دقّة في وصف بعض الحالات. هذا التداخل اللغوي مؤشّر موضوعي على مستوى التكامل الثقافي بين جماعتين، فافتراض الكلمات هو الخطوة التي تلي الاعتراف بالآخر؛ لأنّ الإنسان لا يستعير من لغة من لا يقبله. وقد أسهم هذا التداخل بحسب علياء، في تخفيف وطأة الخطاب المناطقي الذي سعت الحرب إلى تعميقه؛ لأنّ من يشارك الآخر لهجّة لن يجد في قلبه بعدها مساحة كافية لعدائه.
الاختبار الحقيقي لأيّ تبادل ثقافي يكون في ما يبقى بعد الافتراق، فمع تحسّن الأوضاع الأمنية، عادت أعداد كبيرة من العائلات النازحة إلى عدن، وقد أشارت الوحدة التنفيذية لإدارة مخيمات النازحين إلى عودة أكثر من 755 ألف شخص إلى عدن وحدها منذ عام 2015، لكن ما الذي حملته هذه العائدات في حقائبها؟
عادت والدّة علياء بـ"المشقر" التعزي ذي الرائحة العطرة مداومة على استخدامه، وعادت علياء بالزي الصبري تضعه في خزانة جنبًا إلى جنب مع درعها العدني، وعادت

المطابخ بوصفات لم تكن موجودة قبل النزوح. وهذا يعتبر أثراً ملموساً لتجربة تقاطعت فيها ثقافتان وخرجتا منها معاً أثري مما دخلتها. ومع ذلك، ما جرى في قرى الشمايتين لا يعني أنّ الحرب "مفيدة" أو أنّ النزوح "فرصة"، فهذا القول تبسيط مُخلٍ لمعاناة حقيقية، لكنه يعني شيئاً آخر لا يقل أهمية، وهي أنّ المجتمع اليمني يحمل في بنيته الثقافية سعةً للتقبل والانفتاح تفوق ما يُظهره الخطاب السياسي العادي. وفي الوقت الذي كانت فيه أعداد النازحين في محافظة تعزّ وحدها تُعدّ بعشرات الآلاف، لم تُسجل صدمات ثقافية حادة أو رفض مجتمعي منظم، وهو أمر يستحقّ الإشارة والتوقف.

إنّ المجتمعات المضيفة في الحجرية لم تكن في موضع الغنى، فهي ذاتها كانت تعاني من آثار الحرب والحصار، غير أنّها قدّمت ما تيسّر من مساحة ومن طعام ومن قبول إنساني، والعائلات العدنية من جهتها لم تأتِ بوصفها "ضيعة" تنتظر العودة إلى ما كان، بل أسهمت بثقافتها وأدخلتها في النسيج المحلي من دون أن تفقد هويتها. وما يبقى من هذه القصة سؤال يستحقّ أن يُطرح: إذا كانت أصعب الظروف وأقساها كفيلة بصنع هذا المستوى من التلاقي الإنساني، فلماذا يبقى التنوع الثقافي اليمني في زمن السلم عبئاً تتجاذبه الخطابات المناطقية، بدلاً من أن يكون رصيلاً تُبنى عليه هوية وطنية جامعة؟

من عدن إلى جبال الحُجْرية حين صنعت الحرب ما عجز عنه السلم من تمازج



آمال محمد أمين



موسم الجماعة... ما خلده الحصاد من سلام القرى

ريا شيخ

بعد مرور ستة وعشرين ربيعاً، تمضي الأيام وتتسع رقعة الحداثة، وبين صخب المدينة وهروباً إلى هدوء الذاكرة، حملني قلبي اليوم إلى مشارف قريتي الصغيرة ردفان. هناك عند تخوم الريف رأيت الحداثة تتوغل في كل مفاصل الحياة. بقي المكان وتبدل وجه الزمان القديم دون أن يبقى له أثر إلا ما تحفظه الذاكرة، ومع ذلك ما زال الريفيون يتفننون في موسم الحصاد الجماعي كعهد قديم لا يشيخ، مشقة مشتركة وفضاء يحتفظ بسرّه القديم.

عُدّت بقلبي ممتلئ الحبر الى ذكريات الموسم؛ لأنه أجمل ما قيل لي عن موسم الحصاد في ريف قريتي. إنه إذا حمل المنجل في كف الحصاد، محيت الفوارق وذابت المسافات، لتتسع الأرض لملحمة إنسانية كبرى تجعل منها مائدة للجميع؛ فهو موسم "الجماعة" الذي لا يفرق بين يد تعطي ويد تأخذ. فيه تفتح أبواب الرزق للفقراء والمساكين ليكونوا شركاء في الغنيمة كما كانوا رفقاء في الكدح، فتتحول السنابل الى جسور من التكافل، تضمن أن يفيض خير التراب على كل جائع، ويغدو العمل المشترك طقساً مقدساً يرمم شروخ المجتمع.

لوحة الجهد المشترك ريف مشترك في قلب الأدب

يسمى موسم الحصاد في الريف بـ"موسم الجماعة"، وذلك لأنه وقت يتحد فيه الأهالي وتتآلف قلوبهم وتتوحد جهودهم تحت شمس واحدة وعلى رغيف واحد. في مشهد الحصاد الأول يمضي الرجال إلى الحقول مع أول خيط للفجر، يحملون أدواتهم، وتتناثر ضحكاتهم بين ضربات التعب فرحاً، وكأنهم يرقصون على إيقاع المنجل الحصاد. وعندما تميل الشمس قليلاً، وكأنها تفسح للراحة طريقاً بين أكتاف النهار، يترك الحصادون مناجلهم تستريح على أطراف الحقول، وتمضي خطاهم، متعبة لكنها مطمئنة، نحو ظل شجرة السدر العتيقة.

تجتمع الأيدي، كل يحمل ما تيسر من زاد، ثم ترص الأطعمة على الأرض مباشرة فتفوح

منها رائحة الخبز الطازج والشاي الأحمر... عندما عادت بي الذاكرة إلى المشهد تذكرت رواية "زينب" للأديب "محمد حسين هيكل". قرأت اقتباساً جميلاً يقول: "كانت الشمس قد أخذت تتوسط كبد السماء، واشتد الحر، فمال الفلاحون إلى الظلال القريبة من الحقول، وجلسوا يتناولون طعامهم البسيط، يتجاذبون أطراف الحديث في هدوء، وقد بدت عليهم أمارات التعب، ولكنهم لم يفقدوا روح الرضا التي تعودوها في حياتهم". هيكل رسم بقلمه لوحة للجماعة التي تتماسك ببعضها رغم التعب في مشهد حي وجميل، ظل عالماً في تاريخ الأدب الريفي.

وفي الجهة الأخرى من المشهد، هناك، نساء جئن يحملن الطعام، يضعنه بحنو ثم يجلسن قليلاً، يراقبن الوجوه وهي تستعيد عافيتها مع كل لقمة. وأخريات ما زلن في الحقل، تنحني ظهورهن للأرض حتى ينتهي الرجال من تناول الطعام. ويكتمل جمال المشهد عندما يمتلئ المكان بضحكات الأطفال تراهم يركضون خلف فراشات الوادي المختلفة الألوان يوقظون بضجيجهم باقي الحشرات التي كانت تغفو فوق السنابل.

الجميل في الموسم التراثي هذا بأنه ليس مجرد طقس قروي نمر عليه مع مرور السنين عابرين، بل هو وثيقة وقانون فطري صاغه التراب لكل ريف على هذه الأرض؛ فعندما أنظر إلى موسم الحصاد في ريف قريتي ثم أقرأ في الأدب العربي والإنجليزي أجد قاسماً مشتركاً بيننا. في الحقيقة إن موسم الحصاد لغة عالمية يجيد الجميع التحدث بها، وإن هذا التلاحم الفطري بين الإنسان والأرض، وهذا الانصهار الفردي في روح الجماعة بأجمل صورة، فلسفة بقاء صاغها الأدباء في أنصع صورها. ففي رواية "الحرام" الشهيرة يختزل الأديب المصري "يوسف إدريس" فلسفة الريف المصري، بل ولعله يخط ببراعته جوهر الأرياف قاطبة قائلاً: "كانوا يخرجون إلى الحقول جماعات، يعملون معاً، ويتقاسمون التعب كما يتقاسمون الرغيف". وفي رواية "تيس من آل دوربرويل: امرأة طاهرة" يقدم الكاتب الكبير "توماس هاردي" في وصفه لموسم الحصاد لوحة ريفية يتداخل فيها العمل بالحياة اليومية، حيث يتشارك أهل القرية الجهد في مشهد واحد يعكس روح الجماعة أكثر من الفرد.

وقد ظهر الحصاد عند هاردي كطقس جماعي ريفي يعتمد على التعاون الكامل بين سكان القرية، ويعكس وحدة اجتماعية طبيعية ناتجة عن الحاجة والعمل المشترك. ولا يختلف الأديب الروسي "ليو تولستوي" في روايته الشهيرة "انا كارنينا" عن سابقه من الأدباء فقد اعتبر أنه "كلما طال عمل ليفين في الحصاد، ازداد شعوره ببهجة العمل"، في إشارة إلى أنّ الانخراط في الجهد الجماعي في الحقول لا يخلق الإنتاج فقط، بل يعيد تشكيل علاقة الإنسان بذاته وبالأخرين.

نواة الحب الأولى وأبجدية العهد القديم

لا يقتصر موسم الحصاد في أريافنا على كونه صراعًا شريفًا مع الأرض لاسترداد خيراتها، فهناك وجه آخر للموسم أكثر رقة وعاطفة، إذ يتحول الوادي إلى ساحة لتعارف الأرواح وتآلفها. قيل لي إنّ سعادة الأسرة وتماسكها كنواة أولى للمجتمع انبثقت هناك في نفس الموسم، وكانت أكثر رقيًا والتزامًا بالوعد والعهد وقواعد الأخلاق والأدب. شخصيًا قررت أن أتأكد بنفسني، لم أعتمد على أمي هذه المرة، بل مضيت أفتش عن الحقيقة في وجوه الذين عبروا النهر إلى ضفته الأخرى، والذين لم تزد السنين قلوبهم إلاّ نوصوعًا، فوجدت ضالتي في ملامح اختصرت حكاية جيل كامل.

جمعني اللقاء في ممرات العمر الضيقة، حيث تتكئ تسعون عامًا من الذكريات على عصا التجربة، أخبرتني سيدة تسعينية تخطط وجهها تجاعيد الزمن المنسي، وعينان غائرتان لكنهما تشعان ببريق من رأى الدنيا على حقيقتها. تقول لي وهي تستعيد نبض قلب قديم: "تزوجت عن حب في موسم الحصاد، يوم أقبلت لجمع سنابل الدخن مع أم زوجي". وأخبرتني عائدة إلى الماضي أنّ أكثر قصص الحب قديمًا نبتت من طين الأرض وأكدت السيدة أنّ كثيرًا من قصص الارتباط كانت تحدث في موسم الحصاد وعلى مورد الماء والوديان؛ وذلك لأن المرأة تكون في هذه الأماكن على طبيعتها ودون تكلف.

وحتى الكتاب المقدس في العهد القديم يروي لنا أشهر قصص الحب في موسم الحصاد، وهي قصة "سفر راعوث"، تلك التي ولد حبها في موسم الحصاد، وتحول إلى أسرة أنجبت تاريخًا، القصة حدثت في ريف "بيت لحم" في موسم حصاد القمح، بين المؤابية "راعوث" والسيد "بو عز". يخبرنا التوثيق أنّ هذه العلاقة أسست أسرة ملكية امتد أثرها عبر أجيال. ويظهر لنا التراث الديني اليهودي أنّ زواجهما الذي بدأ في سياق العمل في الحقول، أثمر ابنًا هو عوبيد، الذي أنجب يسى، والد الملك داود. وبهذا المعنى، فإنّ هذه الأسرة لم تنتج استقرارًا اجتماعيًا فحسب، بل ساهمت في تشكيل واحدة من أبرز السلالات في التاريخ الديني، حيث ينتمي إليها لاحقًا الملك سليمان.

عن الحداثة والحصاد

على مقعد هذا الجيل الذي يركض خلف الحداثة، أجلس أنا وأمامي قلبي وقد انتصف ماؤه، بصفتي ابنًا لهذا الزمن المثقل بالأسئلة. يُفتش عن ذاته بين الركام وسط زحام المتغيرات، وجدتني انحاز بفطرتي إلى موسم الحصاد كمرايا من التماسك والألفة. أراه

بعين التقدير ذاتها التي أبصر بها الأجداد قيمة الأرض؛ فهو عقيدة الجماعة، ومحراب الأسرة، والمنصة التي يعلن فيها المجتمع عن تلاحمه الصادق. وكأنّ لسان حالنا يردد مع الشاعر نبض تلك اللحظة: "إذا اجتمعنا على الزرع استقامت خطانا.. وصار الحصاد أغنية في الحقول". فالحقيقة التي لا تقبل التأويل هي أنّ السنابل لا تنحني أمام المناجل إلّا لتستقيم أخلاق البشر في التعاون.

غير أنّ هذا التصور لا يحظى بإجماع كامل، خصوصاً أولئك الذين تأثروا بحداثة ما بعد العقد الثاني من الألفية، فثمة أصوات ترى في الطقوس الاجتماعية القديمة عبئاً يمكن تجاوزه، يمكن لأنّ رؤيتهم تشكّلت تحت ظل حادثة سريعة، قطعت ما بين الإنسان وذاكرته بخيط رفيع من الاستغناء. هؤلاء ينظرون إلى موسم الحصاد كأنّه أثرٌ من زمن مضى، لا ضرورة له في إيقاع العالم الجديد.

لكن الواقع، حين ينصت إلى نفسه ببطء، يهمس بعكس ذلك؛ فالتخلي عن الجذور لا يصنع دائماً طريقاً إلى الأمام، بل قد يفتح أبواباً لتكرار الأخطاء ذاتها، وإن ارتدت ثوبا أكثر حداثة وبريقاً. كأن التاريخ لا يمحي، بل يعيد كتابة نفسه بصيغ مختلفة، حين لا يجد من يقرأه جيداً.

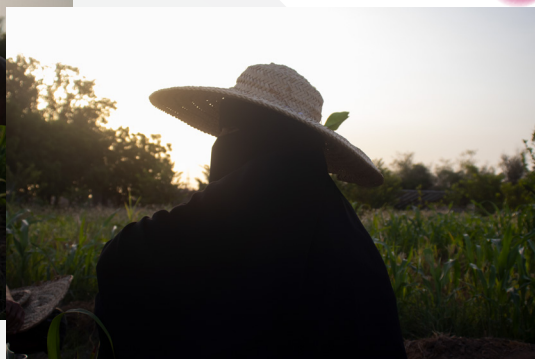
وفي قلب هذا الجدل الممتد بين القديم والجديد، يطل صوت الباحثة في التعاون المجتمعي وإدارة الموارد المشتركة ايلينور اوستروم، الحائزة على جائزة نوبل في الاقتصاد عام 2009. فقد خلصت في دراساتها إلى أنّ المجتمعات المحلية، وخصوصاً الريفية منها، تقوم على شبكة كثيفة من الأعراف والتقاليد التي تنظم الفعل الجماعي وتدير الموارد المشتركة. وتشير نتائجها إلى أنّ هذه القواعد بنية حية تنتج الثقة بين الناس، وتعيد تشكيل معنى التعاون اليومي، بما يضمن استقرار المجتمع ويعزز تماسكه الداخلي، كأنما الجماعة لا تعيش بالقانون وحده، بل بما يتوارثه الناس من اتفاق غير مكتوب على أن يبقوا معاً.

وخلاصة يمكن القول إنّ الأمملا تموت حين تتعب في الحقول وتحيا تراثها بل حين تقنع نفسها أنّ التراث القديم لم يعد ضرورة لتماسك المجتمع، فما تزال الحقيقة الأولى ثابتة رغم تغير الأزمنة، ولا نجاة ليد تحاول أن تحصد وحدها، ولو امتلكت كل آلات العصر.

موسم الجماعة ما خلده الحصاد من سلام القرى



آيات أحمد طه



عقال الحارات وجهودهم التطوعية في إصلاح ذات البين وحل المشكلات في المجتمع

محمد رمضان مبارك مسلم 

يبدل عقال الحارات جهدهم ومالهم وأوقاتهم لخدمة مجتمعاتهم. يقدمون جهود تطوعية كبيرة بدون مقابل، يسعون إلى جعل حاراتهم أشبه "بخلايا نحل". يعملون مع من حولهم بشكل منظم ومرتب، على الرغم من وجود بعض العراقيل والأخطار التي تهددهم بالتمزق والتفكك، إلا أن تعاونهم وتكاتفهم يجعلهم أكثر قوة وتماسكاً. في ظل التحديات التي تواجه المجتمع الحضري بسبب الحرب والأزمات والوضع الاقتصادي المتدهور الذي تمر به البلاد، وانعكاس ذلك على حياة أفراد المجتمع؛ مما أدى إلى تزايد المشكلات والقضايا الاجتماعية والمشكلات الناتجة عن حدوث الكوارث الطبيعية كهطول الأمطار وتدفق السيول، والتي ينتج عنها بعض العوائق والأضرار كقطع الطرق، وجلب الأوساخ، وانتشار الأوبئة والأمراض والتي بسببها تنشأ بعض المشكلات والنزاعات التي تهدد النسيج الاجتماعي، وتندرج بتفكك المجتمع، إذا لم يتم حلها ومعالجتها، فالجهود التي يبذلها عقال الحارات في إصلاح ذات البين وحل المشكلات في المجتمع غير كافية لحل ولمعالجة المشكلات من الجذور.

في هذا المقال سنسلط الضوء عن الدور المجتمعي الذي يلعبه عقال الحارات وندعو أفراد المجتمع إلى الالتفاف حولهم من خلال تفعيل المشاركة المجتمعية، والتخطيط لتنفيذ مبادرات تطوعية للمساهمة في حل المشكلات ورأب الصدع وتضميد الجراح التي يعاني منها المجتمع، لتقوية النسيج الاجتماعي وتعزيز التماسك المجتمعي، وتهيئة أرضية مشتركة للتعايش والسلام. اليمن كبلد يشهد حرباً لسنوات تهدد التراث الثقافي اليمني، وتعتبر مدينة تريم أحد المدن التي تأثرت من الحرب. أدى ذلك الوضع إلى تفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والتي ألقت بظلالها على حياة الناس، مما تسبب في تهديد المجتمع بالتفكك، إلا أن التعاون والتكافل المجتمعي والمشاركة المجتمعية، خفف شدة تلك الأزمات، من خلال الممارسات الاجتماعية والعادات والتقاليد، التي يدعمها إطار الاتفاقيات الدولية مثل

اتفاقية اليونيسكو 2003م، لحماية التراث الثقافي غير المادي، وأهداف التنمية المستدامة .

ويعد عقال الحارات من الشخصيات المؤثرة، لما يقومون به من خدمات مثل تنظيم شؤون حياة الناس في المجتمع. ويُعين عاقل الحارة من خلال التكليف المباشر من قبل السلطة المحلية بالمديرية، أو عن طريق التزكية من قبل عقال وأعيان ووجهاء الحارة فيقومون بتزكية الشخص الذي يروونه مناسباً لتولي منصب عاقل الحارة. والتشاور مع السلطة المحلية. بعد ذلك يصدر قرار التكليف، ويجب أن يكون عاقل الحارة رجلاً كفؤاً قادراً على إدارة وتنظيم شؤون الحارة. ويشترط أن يتمتع بشخصية قيادية قوية ومرنة يتحلى بالحنكة والأمانة والصدق بين أبناء الحارة. وأن يكون لديه القوة والقدرة على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، وأن يكون على دراية ومعرفة كافية بحدود الحارة وسكانها وبكل تفاصيلها الصغيرة والكبيرة. ويحظى باحترام ومحبة وقبول أبناء المجتمع؛ حتى يتمكن من احتواء مشكلاتهم التي قد تنشأ بشكل سريع وفعال، وهو ما يسهل تدخله لحل الخلافات والمشكلات بشكل ودي قبل تفاقمها. من ناحية أخرى هناك مهام تطوعية يحق لعاقل الحارة ممارستها في نطاق الحدود المعروف في الحي السكني المحدد لحارته، وهي؛ الإسهام في إصلاح ذات البين وحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية وغيرها. والتواصل مع الجهات الرسمية والخدمية والاجتماعية ورجال الخير لتذليل الصعاب والعوائق التي تعترض المواطنين، إضافة إلى التصديق والتزكية على وثائق المواطنين، وتأكيد مواظنتهم في الحارة .

يرى الأستاذ زين عمر العامري عاقل حارة السعيد بعيديد بمدينة تريم أن الحارة تعد بمثابة الأسرة الواحدة، فكلما كان أفرادها أكثر قرباً وتماسكاً مع بعض، كان النجاح حليف ذلك المجتمع، فيسهل احتواء بعض القضايا والمشكلات ومعالجتها بطرق حضارية راقية . لذا يجب على أبناء الحارة أن يكونوا كالأُسرة في تعاونهم وتكاتفهم، لتسود بينهم الألفة والمحبة. حتى يتمكنوا معاً لمواجهة الصعوبات والمشكلات التي تهدد حارتهم .

يتمنى الأستاذ زين العامري من جميع أبناء الحارة، خصوصاً العلماء، والشخصيات الاجتماعية المرموقة ورجال الخير والإحسان في المجتمع، أن يتلمسوا أوضاع وشؤون الحارة ويشاركوا في تسهيل بعض القضايا والصعوبات، التي تواجهنا حتى يتم حلها ومعالجتها بطرق سلسلة تقوي الروابط الاجتماعية بين الناس، وتقلل من التوترات التي تؤدي إلى زيادة الفجوات بين المواطنين وتفكك المجتمع .

من خلال ذلك تبين أن مدى نجاح جهود عاقل الحارة في إدارة وتنظيم شؤون حارته

مرتبطة بتكاتف وتعاون وتفاني أبناء الحارة وتلبيتهم لدعوته والمبادرة لتقديم الخدمات المطلوبة منهم -إذا دعت الحاجة- كمساعدة المحتاجين، وعلاج المرضى، وتنظيف الشوارع، وقطع الأشجار الضارة، وبناء المصالح العامة، والتنادي أثناء حدوث الكوارث كإطفاء الحرائق، وإنقاذ الغرقى، وإجابة الملهوف، وتجهيز الجنائز وحملها، وحفر القبور، ومساعدة الغريب، وتقديم الطعام والشراب في المناسبات العامة أو الخاصة كالأعياد أو الأفراح أو الأتراح وغيرها من الخدمات الأخرى، فضلا عن المشاركة في الألعاب والرقصات الشعبية والفعاليات الخاصة بالحارة؛ كالشبواني، والزربادي والرزيح، والخابة، وعادات الهجن والقنيص، والمنافسات الرياضية والمسابقات الثقافية وغيرها. فتميز الحارة في هذه العادات والتقاليد والألعاب يقوي الترابط و التماسك المجتمعي، فالمتأمل في أنشطة حارات مدينة تريم سيلاحظ أنه يوجد نوع من التنافس الشريف بين أبناء الحارات مع بعضهم البعض، فكل حارة تسعى إلى أن تكون حارتهم هي الأفضل، من خلال تفانيهم في أداء واجباتهم على أكمل وجه، ويجب على عاقل الحارة أن يلعب دورا رئيسيا في ذلك، ويتربح الفرص المناسبة حتى يتمكن من تفعيل وتحفيز المجتمع وشحن هممهم، وتوفير ما يلزمهم لتقديم أفضل ما لديهم من أفكار أو مقترحات لتطوير خدماتهم التطوعية والمجتمعية .

بناءً على ما سبق، فإن الجهود التطوعية في إصلاح ذات البين وحل المشكلات التي يبذلها عقال الحارات تلعب دوراً كبيراً في رص الصفوف، وتسهم في تقوية الروابط والتماسك الاجتماعي، خصوصاً أثناء الحروب والأزمات، إلا أن جهودهم غير كافية لمعالجة وحل بعض القضايا والمشكلات، ولن يستطيعوا معالجتها وحلها من جذورها، إلا بتعاون وتكاتف ومشاركة الجميع، عقال وأعيان ووجهاء وشباب والتفافهم حول عقال الحارات ومساندتهم والتخطيط لتنفيذ مبادرات تطوعية سينتج عنها تطور المجتمع، فضلا عن خلق نوع من الشعور بالألفة والمحبة بين أبناء المجتمع وتهيئة أرضية مشتركة للتعايش والسلام

عَقَال الحارات وجهودهم التطوعية في إصلاح ذات البين

أسامة باحفين





کومیکس

صحة ضمير. مبادرة أعادت لسيئون سمعتها

موسى الشاحدي

"غاب القط... العب يا فأر" ..

مثل يضرب لاستغلال غياب السلطة، ففي اللحظات التي تتعثر فيها سيادة القانون، وتغيب هيبة الدولة، تتحول المدن إلى ساحة مفتوحة تُنهب فيها الكرامة قبل الممتلكات. مدينة سيئون في محافظة حضرموت شرق اليمن، واحدة من هذه المدن التي عانت هذه الحقيقة المأساوية وعاشت لفترة انهيار مؤسسات الدولة، فمع أحداث أواخر ديسمبر من العام 2025م شهدت المدينة موجة من الاعتداءات على الممتلكات العامة والخاصة، في مشهد أظهر حالة من الانفلات الأمني وغياب السلطة على أرض الواقع.

مشاهد وصور وثقتها جوانات المواطنين للمدينة وهي تنهب لأيام متتالية، في مشهد عصيب، وفي قلب هذه الفوضى العارمة، والانفلات غير المسبوق، تجمع مجموعة من الشباب لوقف هذا الانهيار، فقرروا إطلاق مبادرة مجتمعية تطوعية نادرة، مبادرة ولدت من رحم المجتمع السيئوني الذي شعر بالخزي والحياء دون توجه رسمي، مقدمةً نموذجاً حياً لما يسميه خبراء بناء السلام "المقاومة المدنية السلمية"، هدفت هذه المبادرة إلى استرجاع المنهوبات والمسروقات العامة والخاصة، محولة حالة الضياع والتيه إلى إحياء للضماير، وإعادة بناء جسور الثقة، وإثبات الالتزام الأخلاقي، وقدرة المجتمعات على النهوض والتعافي والتعايش وتحقيق السلام المستدام. السؤال الذي يفرض نفسه هنا: كيف يمكن لفعل النهب، الذي هو نتاج لغياب الدولة، أن يخلق استجابة مجتمعية كهذه؟ وكيف تتحول لحظة الانهيار الكامل إلى بذرة لأمل جديد؟

ولكي نجيب عن هذا التساؤل، لا بد أولاً من الوقوف على الظاهرة وطبيعتها، واستقراء الأسباب التي تجعل النهب والسلب من أخطر أعراض انهيار الدولة. يُعرف النهب بأنه الاستيلاء على ممتلكات عامة أو خاصة من قبل مدنيين أو أفراد القوات المسلحة، أو المليشيات المشابهة، ويُعد انتهاكاً جسيماً للقانون ويحظر في النزاعات المسلحة، وتتنوع دوافعه في سياق النزاعات المسلحة بين الفراغ الأمني والانهيار

المؤسسي، والدوافع الاقتصادية والاجتماعية.

في سيئون، وثّقت مقاطع فيديو وصور مشاهد صادمة لمنازل ومحال تجارية تعرضت للسرقة والنهب والتخريب، في تصرف دخیل وغير مألوف على المجتمع الحضرمي الذي عُرف عبر تاريخه بالأمانة والنزاهة وحبه للخير، هذه المشاهد القاسية لم تمر مرور الكرام على الجميع، فمن يتابع تفاصيل المبادرة عن قرب، يدرك أن الدافع الأولي للنهب كان - كما يوضح المهندس عبد الله بارمادة، مدير الوحدة الاجتماعية باتحاد الملتقيات الشبابية التطوعية بمحافظة حضرموت ومسؤول المبادرة - نابغاً من فهم مشوّه لـ "غنائم الحرب"، حيث اعتقد بعض الشباب أنّ ما يأخذونه هو "حقّ للمواطن" أو مكاسب مشروعة في ظل تغيير السلطة، كانوا لا يعلمون ما هي الغنائم ومتى تكون، كانوا في غفلة على أساس أنّ ما يأخذونه هو من حق المواطن، فبعض الأطفال الصغار عندما كانوا يشاهدون الكبار يعتدون على تلك الممتلكات فعلوا مثلهم، من منطلق أنّ هذا حقّي" هذه العقلية تكشف كيف يمكن للأزمات السياسية أن تتحول إلى فوضى أخلاقية تجعل من السرقة فعلاً مبرراً ذاتياً في أعين مرتكبيه.

لكن المهم هنا أنّ ردّ فعل المجتمع في سيئون لم يكن انتقامياً أو سلبياً، بل تحوّل إلى صحوّة ضمير جمعي، فشعر أبناء المدينة بـ "الخزي" من الحالة غير المألوفة التي وُصفت بأنها "شيء غير معتاد وغير معروف في بلادنا حضرموت"، هذا الشعور بالخل من انتهاك حرمة المدينة وممتلكات أهلها كان الشرارة التي أوقدت رغبة في التصحيح، يؤكد بارمادة "عندما رأينا أنّ ممتلكات الدولة تُنهب وتُسرَق، تحركنا انطلاقاً من واجبنا الديني أولاً، وعُرفنا المجتمع الحضرمي ثانياً" وهكذا، تحولت الصحوّة إلى حركة منظمة بدأت من الخطب في المساجد كأول خطوة عملية، حيث تدخل فريق الملتقيات التطوعية؛ لتوعية الشباب وتصحيح أخطائهم وتبيين أنّ ما أخذوه هو مجرد سرقة من مال المواطنين. هنا، تحول الخطاب من السياسي إلى الأخلاقي والديني، مع التركيز على مفهوم المسؤولية الفردية والجماعية تجاه المجتمع.

ما يميز هذه المبادرة هو ذكاؤها التنظيمي اللافت، الذي تجلّى في عدة محاور أساسية، أولها: الحرص على الشرعية والتعاون مع الجهات الفاعلة، حيث تفهم القائمون عليها أنّ نجاحها يتطلب شرعية عملية، فتعاونوا مع "الجهة التي بدأت بشد النزاع" - المجلس الانتقالي - لتوضيح خطأ فعل النهب، كما تم التنسيق مع السلطة المحلية لتأمين العمل، ومع عقال الحارات لجمع معلومات دقيقة عن المنازل المنهوبة، هذا التعاون الثلاثي (المجتمع، السلطة، القيادات المحلية) ضمن حماية للمتطوعين وسرية للعملية، وثانيها: اتباع منهجية قائمة على "السرية التامة" وعدم

الإذلال، حيث تم إنشاء آلية تسمح لمن لديهم ممتلكات مسروقة بإعادتها "دون أن يكشف عن هويتهم"، وُضعت الأغراض في "هنجر" بعد "كتابة كل منزل باسم صاحبه"، ليتسنى لأصحابها المطالبة بها لاحقاً دون مواجهات. هذا المنهج التصالحي (بدلاً من العقابي) شجع الكثيرين على العودة عن فعلهم، خاصةً وأنّ "كل الذين نهبوا كانوا خائفين، ففكروا في أنفسهم قبل لا ينفضوها"، وثالثها: استخدام قنوات تواصل ذكية، حيث استعين بالإذاعة المحلية (إذاعة سيئون) ومنصات التواصل الاجتماعي (فيسبوك، تليجرام) لنشر رسالة واحدة واضحة: "لمن أخذ شيئاً... يجب استرجاعه مع السرية التامة دون إفصاح عن أي هوية".

تتجلى قوة هذه المبادرة في تأثيرها الإنساني الملموس، الذي رأيناه في قصص مؤثرة تستحق الوقوف عندها، يصف بارمادة ردود فعل "كبار السن" الذين "كانوا يكونون من شدة الفرح" عند استعادة ممتلكاتهم، وفرح أصحاب السيارات والدراجات النارية المسترجعة بعد أن فقدوا الأمل من عودتها. لكن من أبرز القصص تأثيراً كانت مع "فريق من الأطفال لا يتجاوز عمرهم 10 سنوات" كانوا ضمن من نهبوا، حيث تم استقبالهم وطمأنتهم أنّه لن يتم إخبار أحد، مما حوّل الموقف من عقاب إلى درس تربوي يصحح المسار دون كسر للنفس. أما عن عدد القطع التي تم استرجاعها، فيوضح بارمادة أنها تجاوزت منذ انطلاق الحملة 1558 قطعة متنوعة، شملت أدوات منزلية وصناعية ودراجات نارية وقطع سلاح، إضافة إلى مقتنيات أخرى تم تسليم جزء منها للمواطنين على أن تستمر عملية التسليم تباعاً.

كثيرة هي الرسائل التي أرسلتها هذه المبادرة، لكن أبرزها أنّ الخير لم ينته، وأنّ هناك شباباً قادرين على إحداث أثر حقيقي في مجتمعهم، غير أنّ الرسالة الأعمق التي تختصرها هذه التجربة هي: مهما غفل الناس عن القيم والأخلاق، يبقى هناك من يتذكر، فهذه المبادرة لم تستعد ممتلكات مادية فقط، بل استعادت الثقة بين أفراد المجتمع، والكرامة للمتضررين، ولعل النصيحة التي يوجهها القائمون عليها هي: "أكثرُوا من عمل الخير لكي يعلم المجتمع أنّ الدنيا بخير.

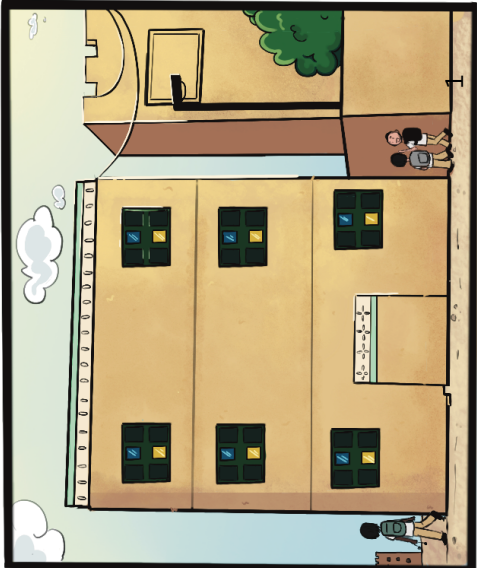
ما يمكن استخلاصه من هذه التجربة الفريدة أنّ "أمانة الحضارم" التي تجسدها هذه المبادرة المجتمعية التطوعية النقية، لم تكن تمثل إلا عادات وتقاليد وأعراف المجتمع الذي انبثقت منه، لقد أثبتت للمجتمع أجمع أنّه مهما حدث من انحراف وخروج عن الأصل، تبقى هناك فروع تحمل خيراً وبذرة وفاء، تعيده إلى أصله، وأعادته الثقة بأنّ الأخلاق هي القاعدة، وأنّ الانحراف هو الاستثناء المؤقت الذي يمكن إصلاحه. لقد كانت حجر أساس في بناء السلام وترسيخ مبدأ التعايش والتعافي المجتمعي، لأنها قدمت نموذجاً عملياً لكيفية تحويل الأزمة إلى فرصة للنضج

المجتمعي، حيث تتحول الصدمة الجماعية إلى مسؤولية جماعية، وتتحول الفوضى إلى نظام أخلاقي ذاتي يصنعه المجتمع لنفسه، وهكذا رسخت هذه المبادرة في أذهاننا أنّ التعافي يبدأ عندما يقرر الناس استعادة زمام المبادرة الأخلاقية قبل استعادة الممتلكات المادية، وبإذن الله لن تكون هذه المبادرة أول مبادرة ولا آخرها، فالوطن ينتظره الكثير من هذه الصحوّة، وهذه المبادرات المجتمعية التي تعيد تعريف معنى التعايش وبناء السلام.

شفاء الحبيبي



مكتبة
الكتاب
الحبيب



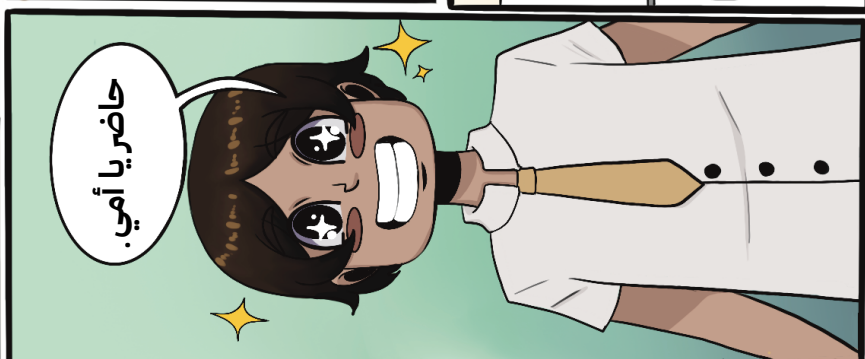
اغسل يديك،
وبدّل ملابسك،
ثم تعال لتناول
الطعام.



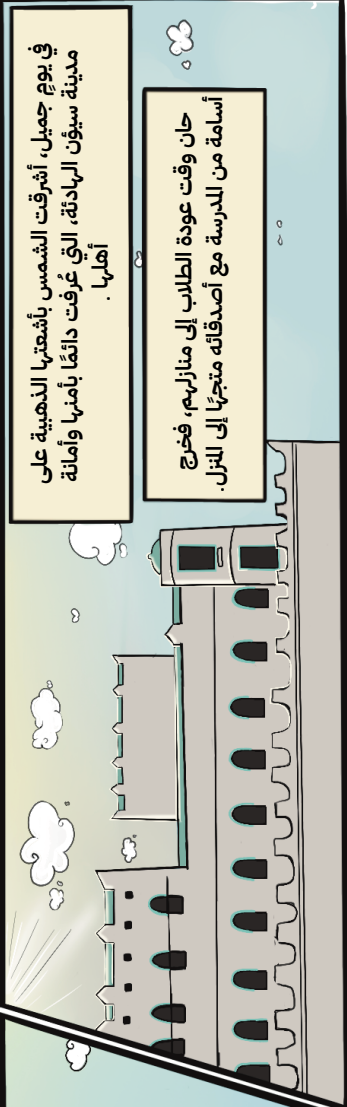
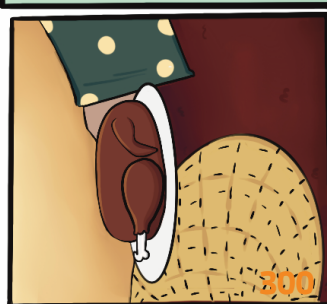
قولوا لي أين
مدرستي!

قولوا لي أين
مدرستي!

تحدثوا
إلى بعضكم البعض!



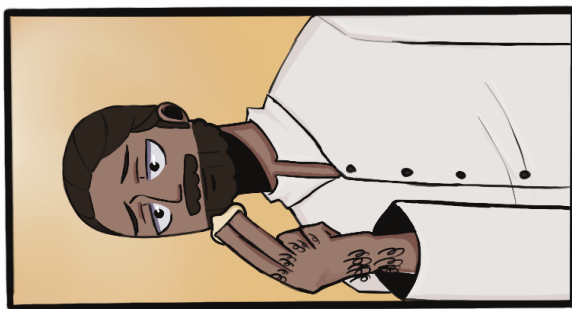
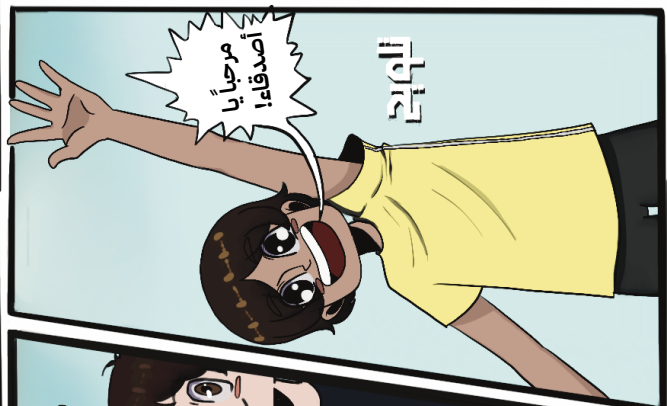
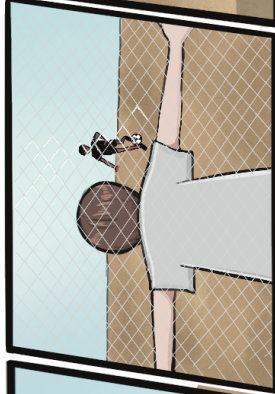
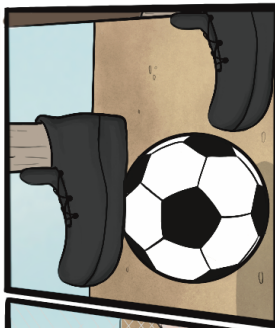
حاضريا أمي.

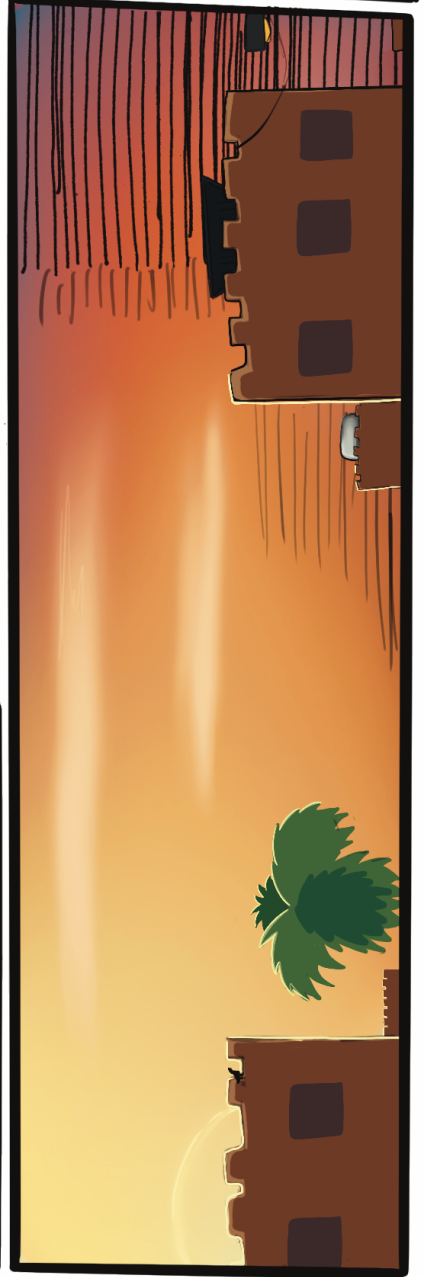


حان وقت عودة الطلاب إلى منازلهم، فخرج
أسامة من المدرسة مع أصدقائه متجهين إلى المنزل.

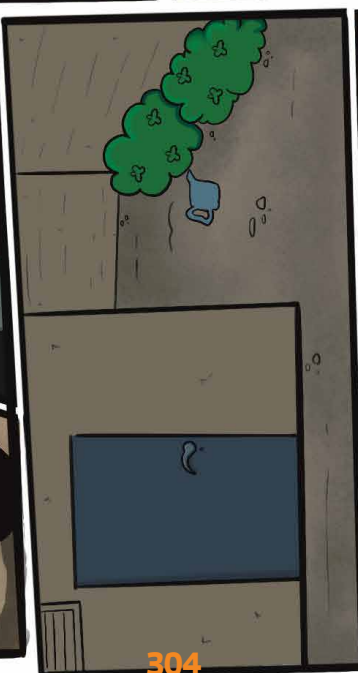
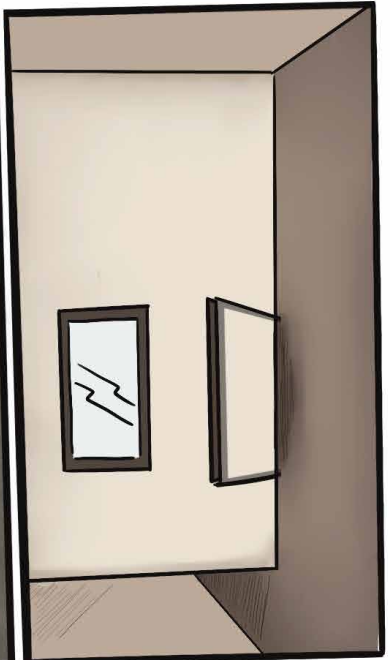
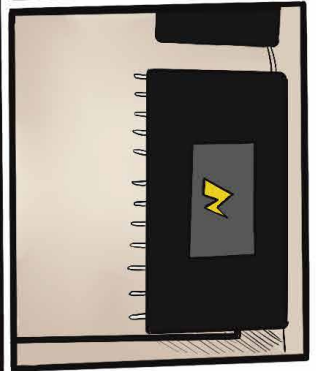
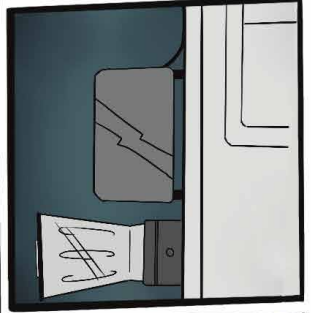
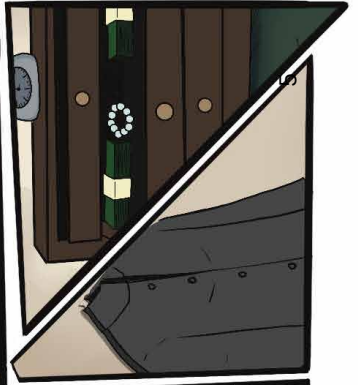
في يوم جميل، أشرق الشمس بأشعتها الذهبية على
مدينة سيون الهادئة، التي عُرفت دائماً بأمنها وأمانها
أهلها.







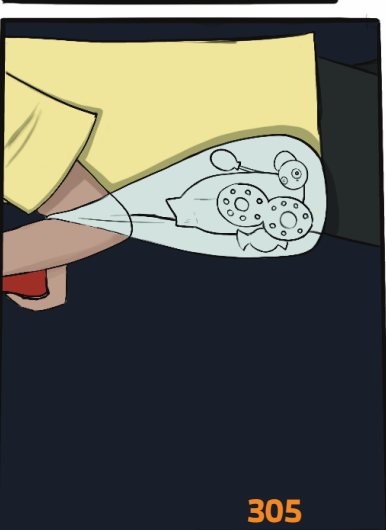
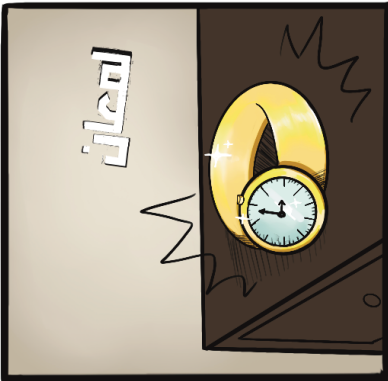
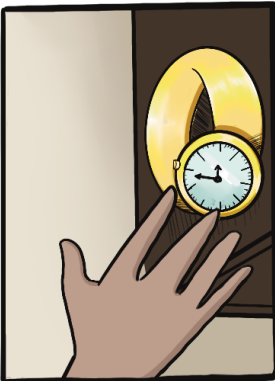


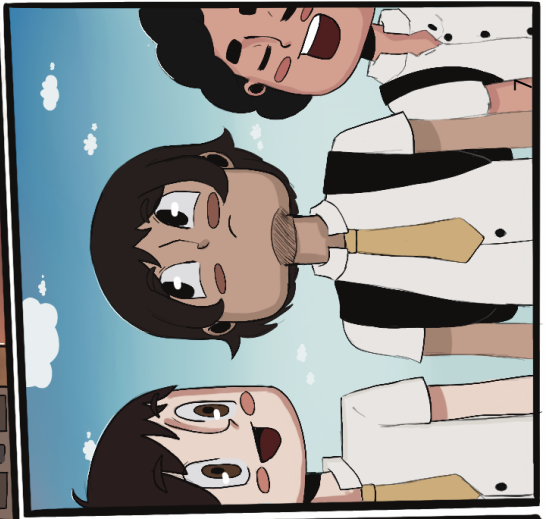


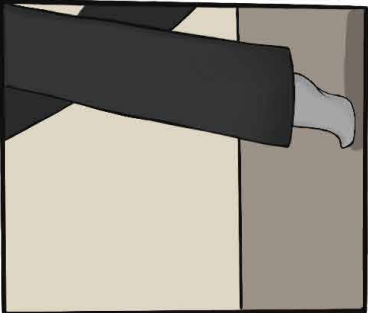
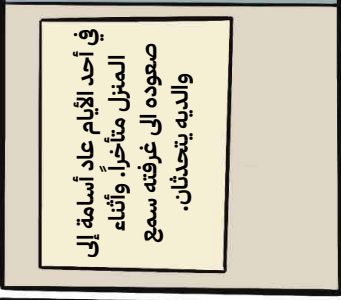
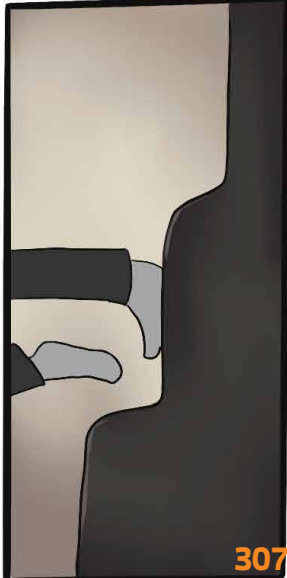
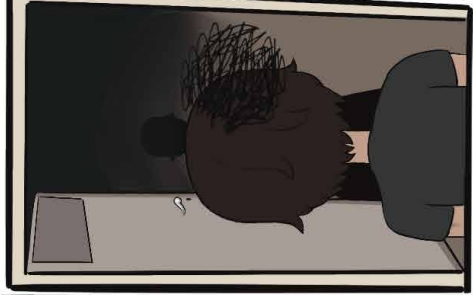
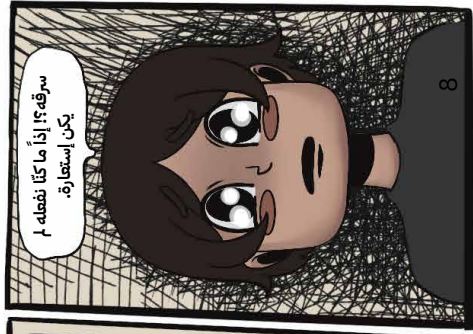
الآن

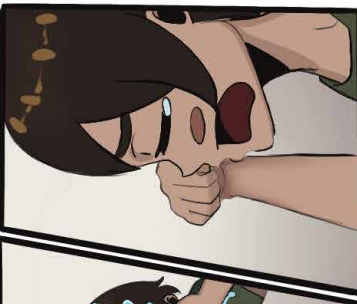
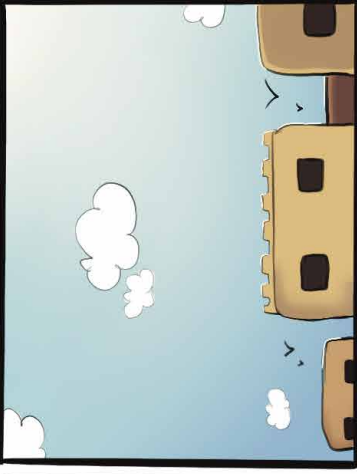
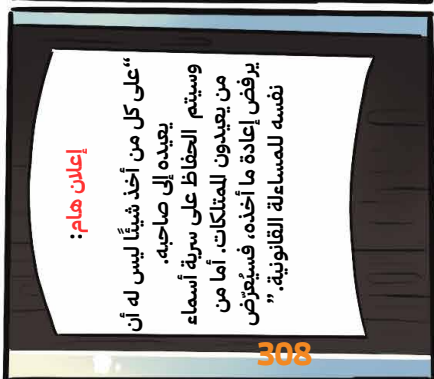
أرأيتم؟ حتى الكبار
يفعلون ذلك.

ثم بدأ الجميع بتنفيذ خططهم
والدخول إلى المنزل.









إعلان هام:

“على كل من أخذ شيئاً ليس له أن يعيده إلى صاحبه، وسيتم الحفاظ على سرية أسماء من يعيدون المتاع، أما من يرفض إعادة ما أخذه، فسيُعزّض نفسه للمساءلة القانونية.”

المصداقية



المحازي الحضرية وتأثيرها على الأطفال

سالمين بنقح

هل من الممكن أن تساهم المحازي الحضرية في تعزيز السلوك الإيجابي لدى الأطفال؟ من أجل الإجابة عن هذا التساؤل فإنّه من المهم معرفة أنّ الطفل في بداياته يميل غالبًا إلى تقليد من هم حوله، ويتأثر كثيرًا بأفعال من هم أكبر منه وهو-أي الطفل في هذه المرحلة يكون عقله فارغًا إلّا من الأشياء التي يتلقاها ممن هم أكبر منه، لذلك يجب أن تكون المعارف التي يتلقاها هذا الطفل على قدر عالٍ من الدقة؛ لأن كل المفاهيم التي سيتلقاها الطفل صغيرًا ستكبر معه وكل القنوات التي تم إقناعه بها ستكبر معه أيضًا. والسؤال الذي طرحته آنفًا سؤال جوهري فهل يمكن لهذه الحكايات البسيطة أن تشكل وعي الطفل منذ نعومة أظفاره؟ هذا ما سأحاول شرحه وتبسيطه هنا، ولكن في البدء ينبغي أن نوضح أولًا ما هي المحازي الحضرية التي يدور النقاش حولها، باختصار شديد المحازي: هي الحكايات الشعبية البسيطة التي تسردها الجدات للأطفال وتختلف أهدافها وأنواعها، منها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي، ولكل حكاية من هذه الحكايات معنى يختلف عن الآخر.

وهذه الحكايات الشعبية لها دور كبير في تشكيل وعي الأطفال؛ لأنها تغرس في عقولهم كل المفاهيم والقنوات التي تريد الجدات والأمهات والآباء غرسها في نفوس وعقول أطفالهم وبالتالي تكبر هذه القنوات معهم وتنتقل من جيل إلى آخر. تُعرف هذه الحكايات في حضرموت باسم المحازي وهي جمع محزاة، وتسمى كذلك حزايا وهي جمع حزاية وليس هناك فرق بين حزايا ومحزاة فالمعنى واحد وإن اختلفت التسمية من مكان لآخر في حضرموت.

تُروى هذه المحازي غالبًا في الليل في الأجواء العائلية الدافئة حيث يتحلق الأطفال حول الجدة أو الأم أو الأب أو الجد ولكن جرت العادة أن تروي هذه المحازي الجدات في جو تسوده المودة والألفة. وقد يجتمع حول الجدة غير أحفادها فقد يحضر أبناء الجيران والأقرباء في مشهد يعكس روح التماسك الاجتماعي ويعزز مبدأ المساواة بين الناس والترابط والتماسك. وليست حضرموت هي الوحيدة التي تعرف هذا النوع من الحكايات بل إنّ هذا الأمر معروف عند أكثر شعوب الأرض، وقد نجد تشابهًا كبيرًا

في بعض الحكايات من مكان لآخر، فالأفكار في جوهرها واحدة ولكن تختلف بعض التفاصيل والشخصيات ولكن المعنى واحد والفكرة واحدة.

تبدأ الجدة في سرد المحزاة بأسلوب شيق وممتع مع استخدام أسلوب الغموض والتشويق لإضفاء عنصر الإثارة مع أن كثيراً من هذه المحازي في أصلها قائمة على عنصر الخيال. ومع أن الجدات غالباً يكن أميات لا يقرأن ولا يكتبن إلا أنهن يجدن فن السرد القصصي الممتع، ويؤمنن بأن هذه الحكايات تغرس في نفوس هؤلاء الأطفال قيماً ومبادئ حميدة، وتساهم هذه المحازي في تعزيز مبدأ التغيير السلوكي الإيجابي.

وسأستعرض في هذا المقال حكايتين بسيطتين في الظاهر لكنهما تحملان قيماً حميدة في جوهرهما

المحزاة الأولى: محزاة فاطمة وكعدة

تظهر لنا هذه المحزاة كيف أن تعاملنا مع الأشياء من حولنا قد يكسبنا ميزات ليست عند غيرنا، وتغرس في النفوس حب الأشياء من حولنا، وإظهار الخير لمن هم حولنا ليس للبشر فحسب وإنما لكل شيء حتى الطبيعة، وأنا متى ما كنا جيدين في سلوكنا وتعاملنا فإن جزاءنا سيكون بلا شك أن ننعم بالخير الوفير.

وخلاصة الحكاية أنه كان هناك رجل تزوج بامرأة وأنجبت له بنتاً اسمها فاطمة، ثم بعد مدة توفيت هذه الزوجة، فتزوج الرجل بامرأة أخرى وأنجبت له بنتاً اسمها كعدة، وبعد مدة قرر هذا الرجل السفر إلى الخارج تاركاً زوجته مع ابنتيه فاطمة وكعدة، تكن هذه الزوجة الثانية زوجة طيبة فكانت تسند كل العمل لابنة زوجها فاطمة وكانت تعاملها بجلافة وغلظة. وحدث أن أمرت هذه الزوجة فاطمة أن تخرج للرعي بمفردها وأعطتها قربة فيها قليل من الماء لا غير. فخرجت فاطمة للرعي، وفي طريقها صادفت نخلة فقالت لها: اسقني من الماء الذي معك، فقالت فاطمة: ليس معي الكثير منه ولكنني سأعطيك منه، فأعطتها منه وقالت لها النخلة: عسى أن يصبح شعرك طويلاً مثل سعفي، وفي الحال طال شعر فاطمة. ثم أكملت فاطمة طريقها وصادفت شجرة حناء وقالت لها: اسقني من الماء الذي معك، فقالت لها فاطمة: ليس معي إلا القليل ولكنني سأعطيك منه، فقالت لها الشجرة: عسى ألا يزول منك طلاء الحناء أبداً. وأكملت طريقها، وصادفت شجرة قطن، وقالت لها نفس الذي قالته قبلها النخلة والحناء، فأعطتها فاطمة من الماء الذي معها فقالت لها شجرة القطن: عسى أن يصبح لونك أبيض مثلي، فحدث ما تمنته لها الشجرة. ثم أكملت طريقها فصادفت رجلاً غريباً قال لها أريد ماء فأعطته، ثم قال لها: أين أربط حصاني؟ قالت له: في إصبع رجلي، قال: وأين أضع رحلي؟ قالت: على ظهري، قال: أين

أنام؟ قالت على رجلي، قال: بعد قليل ستمر سبعة سيول إذا رأيت السيل الأصفر أيقظيني من النوم، وعندما رأت فاطمة السيل الأصفر أيقظت الرجل فقال لها: اقفزي فيه، ففعلت وخرجت منه مليئة بالذهب والفضة والمجوهرات، وعادت إلى المنزل فرأتها خالتها زوجة أبيها واختها كعدة فغارت الزوجة منها، ومن اليوم التالي أمرت بنتها كعدة أن تذهب لرعي الأغنام بدلاً من فاطمة، فعلت كعدة ولكنها لم تتعامل مع كل ما صادفته كما فعلت فاطمة. وعندما جاءها الرجل وتعاملت معه بغلظة وجلافة، قال لها: ستمر سبعة سيول من هنا إذا رأيت السيل الأسود أيقظيني، وعندما جاء السيل الأسود أيقظت كعدة الرجل فقال لها: اقفزي فيه ففعلت وخرجت منه مليئة بالثعابين والعقارب.

إنّ هذه المحزاة البسيطة في أحداثها تضعنا أمام رسالة مهمة، لا تتعلق بالأخلاق فقط وإنما بكيف نتعامل مع الأشياء من حولنا. وتظهر لنا أنّ الجزء من جنس العمل، وتصور لنا كذلك أنّ الخير الذي نفعله يعود علينا بالخيرات فيما بعد، لذلك ينبغي علينا أن نتعامل مع كل شيء من حولنا بمبدأ اللطف والإيجابية. فلو لم تتعامل فاطمة مع الأشجار من حولها بلطف وعطف لما كان جزاؤها تحقق كل الدعوات التي دعتها لها الأشجار. ولو لم تتعامل مع الرجل الغريب بلطف لما كان جزاءها أن خرجت من السيل وهي محملة بالذهب والفضة والمجوهرات، وكذلك الحال بالنسبة لأختها كعدة التي تعاملت مع الأشياء بجلافة وغلظة ونظرة سلبية ورثتها عن أمها فكان جزاءها ما كان.

هذه الحكاية رغم بساطتها وعنصر الخيال الذي فيها تحمل رسائل مهمة للأطفال، فهي تغرس في عقولهم حب الخير والسعي دوماً لتقديم المساعدة للآخرين، والتعامل بمبدأ الشراكة مع كل الأشياء من حولنا، وهذا دليل واضح على أنّ بعض هذه الحكايات أو كما نسميها المحازي قادرة على تشكيل وعي الأطفال وغرس القيم الإنسانية الحميدة في نفوسهم، وهذه المفاهيم والقيم والأفكار ستكبر معهم وسينقلونها هم بطريقة أو بأخرى لأبنائهم جيلاً بعد جيل.

بناءً على ما سبق فإننا نتوصل إلى نتيجة مفادها أن بعض هذه الحكايات له دور كبير في بناء شخصيات الأطفال سواء كان هذا البناء إيجابياً أم سلبياً، وأنّ الطفل عندما يكبر إنما هو نتاج ما تربى عليه صغيراً لذلك ينبغي أن تكون الأشياء التي يتلقاها صغيراً أشياء مفيدة وتحمل رسائل التماسك والتفاهم وتعزز مبدأ حب كل الأشياء من حوله.

وفي المحزاة الثانية التي تدعى خطر أبو مطر، فقد كان هناك رجل تزوج بامرأة أنجبت له بنتاً أسماها فاطمة ثم بعد مدة توفيت هذه الزوجة فتزوج بأخرى ولم ينجب منها، وقرر بعد مدة السفر للتجارة وأوصى زوجته بابنته وأن تعتني بها جيداً وكان قد وضع في يد ابنته أسورة وقال لزوجته: لو خرجت هذه الأسوار من يدها سأعاقبك وهو هنا يريد أن ينبهها إلى قضية إطعامها جيداً حتى لا ينقص وزنها.

ومن حرص الزوجة على البنت أسكنتها في غرفة ليس فيها نوافذ وتأتي لها كل يوم باللحم وما لذ وطاب من الأطعمة والأشربة، وفي إحدى الأيام جاءت بنات عم فاطمة لزيارتها وأخبرنها بحكاية شاب جميل بهي الطلعة يدعى خطر أبو مطر، فتعجبت فاطمة من هذا الأيام، وقالت لهن: ومن هو هذا خطر أبو مطر؟! قالت لها إحداهن: إنه شابٌ جميلٌ جداً يأتي كل يوم إلى خلف منزلكم يشرب من حوض الماء الذي خلف منزلكم ويسقي حصانه، لماذا لا تخرجين لرؤيته؟

قالت فاطمة: لا أستطيع ذلك فخالتي لا تسمح لي بالخروج من المنزل حرصاً عليّ وخوفاً من والدي، فاقترحت عليها إحداهن حيلة لترى ذلك الشاب، قالت لها: غداً عندما تأتيك خالتك قولي لها أريد مرقاً ودجاجاً، فإذا أحضرت لك المرق فاسكبيه على الجدار واصنعي ثقباً في الجدار بواسطة العظم حتى تُحدثي ثقباً وتري منه هذا الشاب الجميل.

ففعلت فاطمة ما اقترحته عليها بنات عمها وتمكنت من رؤية هذا الشاب ورآها وتعلقت به وتعلق بها، وأصبح كل منهما متيمّاً بالآخر فضعفت حالتها وخافت خالتها زوجة أبيها من عقوبة والدها وذهبت إلى عجوز حكيمة في القرية وقصت عليها الخبر فقالت لها العجوز: قدمي لها ديكاً مطبوخاً، وانظري ماذا تفعل وأخبريني، ففعلت الزوجة ما أمرتها به العجوز وسمعت فاطمة تقول: الله يعلق كبذك مثلما علق كبدي!

وأخبرت العجوز بالأمر فقالت لها إن هذه البنت عاشقة، فأخبرت الزوجة زوجها عند عودته وجعلته يرى الأمر بعينه، فما كان منه إلا أن زوج بنته فاطمة بهذا الشاب وعاشا حياةً سعيدة خالية من الكدر والنكد.

إذن هذه الحكاية على بساطتها كما ذكرت آنفاً تحمل رسالة مهمة يمكن استقراءها من أحداث القصة البسيطة، وهي أنه ينبغي علينا أن نتقبل مشاعر الآخرين وألاّ نمنع المتحابين من الاجتماع، ونبتعد عن التفريق بين القلوب التي يحب بعضها بعضاً، وأن نتقبل هذه المشاعر الإنسانية النبيلة التي لا تختص بشعب دون الآخر، فإذا نحن قمنا بذلك ستختفي الكثير من الإشكاليات التي نراها اليوم في مجتمعاتنا.

وهنا يمكننا القول أن الحكايات الشعبية البسيطة تمثل في جوهرها اللبنة الأساسية التي تصنع وعي الطفل وتساهم بشكل كبير في تكوين شخصيته والطريقة التي سيتعامل بها مع الأحداث عندما يكبر. فالطفل منذ نعومة أظفاره نحن الذين نملاً عقله ونشكله فهو أشبه بالصلصال يمكنك تشكيله كيفما شئت. لذلك ينبغي أن تكون المعارف والأفكار التي تقدم له على قدر عالٍ من الإيجابية، وهذا ما تفعله بعض الحكايات أو المحازي لذلك ينبغي التركيز على الجانب المشرق منها. الجانب الذي ينمي فيه حب الخير والتقبل، ويجب الابتعاد عن الحكايات التي تحمل طابع الانتقام والشر؛ لأنها قد تساهم بشكل كبير في غرس قيم سلبية في نفسه وبالتالي عندما يكبر يكون نسخة من كل الأشياء التي تلقاها صغيراً فيصبح من الصعب تغيير مفاهيمه وأفكاره، كما يجب لفت الانتباه إلى أهمية مثل هذه الحكايات التي تحمل في طياتها الأفكار الحميدة والقيم الإنسانية والاجتماعية النبيلة وتسليط الضوء عليها وتطويرها إن أمكن لتتناسب مع لغة العصر الحديث فالوسائل والطرق كثيرة. وفي الأخير نحن الذين نساهم في تشكيل وعي الأطفال وطريقة تفكيرهم وهذه المحازي هي إحدى العناصر الأساسية التي تساعدنا في غرس قيم التسامح والتعايش والمحبة بينهم وهذا جانب يجب ألا يتم إغفاله إذا أردنا أن تكون الأجيال القادمة أجيالاً واعية ومتفهمّة ومتقبلة، وهذه الحكايات التي انبثقت من ثقافتنا الشعبية البسيطة لها أثر ودور فعالان في تأسيس أطفالنا فينبغي التركيز عليها وتلقينهم إياها مع التركيز على جوهر وأصل الحكاية.



فرح بن مرضاح

عسل ولوزة





وهكذا
تفرقت
الطيور..



أتفق
تمامًا!



أنا إذا كنت
مكانه سأعرف
كيف أعود
لوحدي!

وقديمًا كانوا
يقولون:
الطريق يصبح
أخفّ عندما نمشي
فيه مع أحد.





لوزة تعالي
وقت الغداء.



لوزة..؟



هيا هيا، لا
داعي للبكاء.

ولكنها
صغيرة..

سنجدها،
بالتأكيد لم
تذهب بعيداً.

لوزة مفقودة!

إذا بحثنا عنها
جميعاً،
سنجدها.

لنذهب الآن.

هل خرجت؟ لا
أظن أنها
تعرف طريق
العودة..



لم البكاء،
عسل؟



لماذا تركض؟
انتظروني!



لا أعلم أشعر بالخجل، لم أكلم غريبتنا من قبل..









النهاية

نساء تعز.. سلام يُصنع بصمت

إيناس الحميري

في أحد أحياء مدينة تعز، كانت أم محمد تقف أمام خزانها الفارغ، تحدّق في قاعه كما لو كانت تبحث عن أملٍ مختبئ بين جدرانه اليابسة. مرّت أيام دون أن تصل المياه إلى منزلها. الأطفال ينتظرون، والغسيل يتكدّس، وحرارة النهار تزداد قسوة. لم يكن أمامها سوى شراء الماء من الوايت بسعر يفوق قدرتها، أو انتظار حلّ يعيد تدفق المياه إلى بيتها. هذا المشهد جزءٌ من أزمة ممتدة شهدتها مدينة تعز منذ سنوات، حيث تحوّل الحصول على الماء إلى معاناة يومية لآلاف الأسر، وهو ما استدعى ظهور مبادرات مجتمعية ووساطات محلية، لعبت النساء فيها دورًا حيويًا ومحوريًا في فتح قنوات الحوار وإعادة المياه إلى بعض الأحياء في المدينة.

نجاح جهود وأدوار النساء في التخفيف من أزمة المياه التي تشهدها تعز، يجعلنا ندرك أن القضايا الخدمية والإنسانية، يمكن أن تتحول إلى مدخل فعّال لبناء الثقة وصناعة السلام، خصوصًا عندما تقودها مبادرات مجتمعية تشارك فيها النساء بفاعلية، في اتخاذ القرارات المجتمعية.

في عام 2015، شهدت مدينة تعز انعدامًا شديدًا للمياه نتيجة الانقسام الذي فرضته الحرب، إذ كانت إمدادات المياه تحت سيطرة الحوثيين في ضاحية المدينة الشرقية المعروفة بـ"الحوبان"، بينما الخزانات التجميعية داخل المدينة، ما أدى إلى تعطل وصول المياه إلى السكان.

وبحسب إحصائيات وحدة الرصد والدراسات الاقتصادية بمركز الدراسات والإعلام الاقتصادي، فإن الاحتياجات اليومية للمياه تصل إلى 35 ألف متر مكعب، بينما المتوفر لا يتجاوز 6 آلاف متر مكعب، بعجز يُقدّر بنحو 83% من حاجة المدينة. هذه الأرقام تعبّر فقط عن فجوة مائية كبيرة، وتكشف كيف يمكن للصراع السياسي والعسكري أن يحوّل الخدمات الأساسية إلى أدوات ضغط تمس الحياة اليومية للسكان. إذ يكشف تقرير منظمة "هيومن رايتس ووتش"، أن أربعة من أصل خمسة

أحواض مياه في تعز تقع تحت سيطرة الحوثيين أو على الخطوط الأمامية للصراع، مما يجعل الوصول إليها غير ممكن.

في مواجهة هذا الواقع، برزت مبادرات مجتمعية حاولت معالجة الأزمة عبر العمل المحلي والوساطة. فبين عامي 2020-2021 انطلقت مبادرة لإعادة المياه بدأت بتدخلات شبابية وعُقال حارات لحل نزاعات داخل الأحياء وإصلاح شبكات المياه وتأهيل الآبار. وفي أكتوبر 2022، تمكنت وساطة نسائية، من استعادة عدد من خزانات مياه كانت تسيطر عليها إحدى الفصائل العسكرية في مدينة تعز، ومن خلالها عادت الحياة لمؤسسة المياه، ومنها إلى معظم أحياء المدينة.

تطورت هذه الجهود لاحقاً إلى وساطة مباشرة بين جماعة أنصار الله (الحوثيين) والسلطات الحكومية في مدينة تعز عبر لجنة تنسيقية ضمت مؤسسة المياه والتخطيط ووسطاء محليين تتصدرهم الحقوقية "معين العبيدي" ورئيسة مؤسسة شباب سبأ "عُلا الأغبري". إذ تشير إحدى المشاركات إلى أن الوساطات النسائية بدأت منذ أزمة 2015، حيث جرت وساطات نسائية تحت ضغط كبير أسفرت عن تسليم خزانات المياه، إضافة إلى زيارات لعدة مناطق خاضعة لسيطرة أنصار الله لإجراء مفاوضات بهدف حل أزمة المياه.

وفي يوليو 2025 توجت جهود الوساطة، بتوصل السلطتين المحليتين للمياه والصرف الصحي في محافظة تعز، إلى اتفاق لإدارة منظومات إمدادات المياه بشكل مشترك عبر خطوط التماس. تظهر هذه التجربة كيف يمكن للمبادرات المحلية، عندما تتدرج من معالجة النزاعات الصغيرة إلى الحوار مع الأطراف المتصارعة، أن تفتح مسارات عملية لحل أزمات خدمية معقدة.

وقد لعب الدافع الإنساني دوراً محورياً في انخراط النساء في جهود الوساطة، خصوصاً في القضايا الخدمية التي تمس حياة الناس اليومية. وهو ما أكدته إحدى المشاركات في المبادرة النسائية، حيث قالت، إن هذا التحرك جاء نتيجة استشعار مباشر لمعاناة السكان، موضحة: نحن في "مؤسسة شباب سبأ" نؤمن أن المياه حق أساسي وخدمة ضرورية للحياة ولا يجب أن تكون ورقة مساومة في الصراع.

كما أن رؤية الأمهات والأطفال في طوابير أو يقطعون مسافات شاقة للحصول على

شربة ماء كان المحرك الرئيسي لنقل المعاناة إلى طاولة الحوار وتحويلها من ملف صراع إلى ملف بناء ثقة.

إضافة إلى ذلك، فإن هذه الوساطات لم تكن عفوية، بل استندت إلى عمل منهجي قائم على تحليل النزاع وبناء العلاقات مع مختلف الفاعلين المحليين. إذ توضح المشاركة نفسها أن أولى خطوات التفاوض بدأت بتحليل دقيق للنزاع عبر أدوات المؤسسة، وبناء الثقة مع المجتمع المحلي والمؤثرين وأصحاب المصلحة، مشيرة إلى أنها تواصلت ونسّقت مع الجهات الاجتماعية والقيادات المحلية وصولاً إلى مختلف الأطراف لضمان وجود أرضية مشتركة للوساطة؛ وهو ما يشير إلى أن الوساطة المجتمعية الفاعلة لا تقوم فقط على النوايا الإنسانية، بل تحتاج أيضاً إلى أدوات تحليل وعلاقات اجتماعية واسعة تسهل الوصول إلى حلول مشتركة.

غير أن العمل في بيئة نزاع لم يكن خالياً من التحديات، إذ اصطدمت جهود الوساطة أحياناً بتسييس الاحتياجات الأساسية في ظل غياب الثقة بين أطراف النزاع وصعوبة إيجاد ثغرات يمكن من خلالها تجاوز تلك العقد. وتقول الوسيطة: "أعتقد تسييس الاحتياج أو الاتهامات المتبادلة بين الأطراف كانت تضعنا في موقف صعب يتطلب حكمة وصبر لتهدئة النفوس وإعادة التركيز على الجانب الخدمي والإنساني لملف المياه."

يكشف هذا التحدي كيف يمكن للصراعات السياسية أن تعرقل معالجة القضايا الخدمية، ما يجعل إعادة توجيه النقاش نحو البعد الإنساني خطوة أساسية في أي وساطة مجتمعية.

الوسيطات واجهن ضغوطاً نفسية ومجتمعية خلال العمل في ملف حساس يرتبط باحتياجات أساسية للسكان وبين أطراف يشوب علاقتها مستويات عالية من الحذر والهواجس وغياب الثقة التي قد تنعكس أحياناً تشكيكا في نزاهة ونوايا الوسطاء من أطراف مختلفة بما فيها المجتمع.

وتضيف: "الخوف موجود دائماً في بيئة عمل حساسة لكن الإيمان بالهدف والقضية يبدده، وقد تعرضنا لضغوط أحياناً بسبب استعجال النتائج وتعاملنا مع ذلك بالشفافية مع الناس والاعتماد على العمل الجماعي." ويبرز هذا الجانب حجم التحديات التي تواجهها المبادرات المحلية، حيث يصبح الالتزام الجماعي والثقة المجتمعية عاملين أساسيين لاستمرار الجهود.

بما في ذلك الوساطات المحلية. في المقابل يأتي حرص النساء على إنهاء النزاعات، من تأثير الصراع المباشر على حياتهن الأسرية. إذ يقول أستاذ علم الاجتماع البكاري، باعتبار أن المرأة شريك الرجل في تحمل أعباء الحياة، فهي أكثر حرصاً على أن تساهم في تطبيع الحياة والحد من الصراعات، لأنها تدفع ثمناً باهظاً كأم وزوجة في نتائج الصراع. ويبيّن هذا التفسير كيف يمكن للمعاناة اليومية أن تتحول إلى دافع للمشاركة في بناء الاستقرار المجتمعي.

بين عجز مائي يصل إلى نحو 29 ألف متر مكعب يومياً ومدينة أنهكتها سنوات الصراع.. وآلاف النساء اللائي يكافحن يومياً للحظوة بعبوة ماء تفي حاجة أسرهن اليومية، وبين وسيطات سخرن جل جهدهن ومثابرتهن لتخفيف تلك المعاناة، تبرز تجربة وسيطات تعز كمسار نوعي لصناعة السلام بدءاً من الاحتياجات اليومية للإنسان. خزانات فارغة ومعاناة يومية ألهمت مبادرات مجتمعية قادتها النساء فتحت آفاقاً للحوار جنى ثماره المجتمع أو جزء مهم منه على الأقل في أمنه المعيشي والمائي.. في تجربة ملهمة تثبت قدرة النساء على الإسهام بصناعة سلام محلي لا يبدأ دائماً من الاتفاقات السياسية الكبرى، بل قد ينطلق من قضايا خدمية هي بقدر بساطتها تشكل الحياة لكنها تتحول إلى مساحة مشتركة للحوار والعمل والانطلاق نحو المستقبل.

وكان التركيز على المصالح المشتركة والتسلح بالوضوح والشفافية ونبيل الهدف الإنساني أحد المفاتيح الأساسية لإقناع الأطراف بفتح خط المياه. تقول الوسيطة: "بالتركيز على المصالح المشتركة أقنعناهم أن استمرار توقف المياه يضر الجميع بما في ذلك حواضنهم الشعبية، واستخدمنا لغة الملف الإنساني الخدمي والعمل الحيادي لكل المواطنين." ويعكس هذا النهج أهمية تحويل النقاش من منطق الصراع إلى منطق المصلحة العامة، وهو ما يشكل أحد أسس بناء السلام المحلي.

وقد كان حضور النساء في هذه الوساطات دوراً محورياً فاعلاً أسهم في تغيير طبيعة الحوار نفسه وخلق فرص تمنح أملاً بالحياة، إذ تقول الوسيطة: "الواقع اليوم يثبت عكس الصورة التي تحصر دور المرأة في البيت، فالمرأة هي الأكثر قدرة على فهم احتياجات الأسرة والمجتمع لأنها في قلب المعاناة. ووجودنا كوسيطات أضفى صبغة إنسانية وهدوءاً على طاولات التفاوض." وتكشف هذه التجربة أن مشاركة النساء في عمليات الوساطة يمكن أن تضيف بعداً إنسانياً يخفف من حدة التوتر في النزاعات المحلية.

هذه التجربة شكلت نموذجاً ملهماً في قدرة النساء على اختراق محاذير الصراع والتأسيس لنقاط التقاء تبعث بصيص أمل من وسط دخان الحرب. إذ يرى أستاذ علم الاجتماع بجامعة تعز، الدكتور محمود البكري أن مشاركة النساء في الوساطات تعكس واقعاً اجتماعياً تشكّل عبر سنوات من انخراط المرأة في التعليم والعمل العام، مشيراً إلى أن "النساء في محافظة تعز أحد أهم مكونات المجتمع المحلي من حيث المشاركة في الحياة العامة، وما يقمن به من أدوار سياسية واقتصادية واجتماعية هو انعكاس لهذا الواقع."

وقد ساهم النجاح الذي حققته النساء في صناعة السلام في تراجع الصورة النمطية التي تحصر دور المرأة في البيت، لصالح دور اجتماعي أكثر انفتاحاً، وهو ما يؤكد الدكتور البكري بقوله: إن "الصورة النمطية التي تحصر دور المرأة في العمل المنزلي ناتجة عن ثقافة مجتمعية مترسخة في بعض المناطق، لكن في محافظة تعز فإن هذه الصورة آخذة في التراجع لصالح صورة أكثر مدنية وحداثة."

هذا التحول الاجتماعي يعكس بيئة أكثر تقبلاً لمشاركة النساء في قضايا المجتمع،



حنان الإدريسي

من المعاناة إلى السلام



ذهبت لشراء ناقلة مياه
فلم تستطع بسبب ارتفاع سعره



استيقظت أم محمد ذات صباح
فوجدت خزان بيتها فارغاً



لتجد طوابير طويلة من النساء،
والأطفال عند الخزان العام



فحملت دلوها، وخرجت تبحث
عن مياه



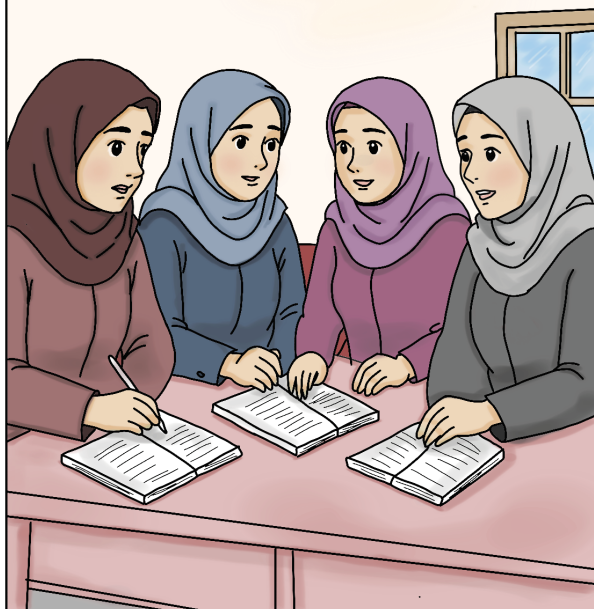
ونشوء الخلافات بينهم



رأت مأسبته الحرب، وأزمة المياه
من تعب يومي للناس



فاتفقن معًا للتوجه للجهات
المعنية



فجمعت نساء الحي ليفكرن
في حل لهذه المشكلة



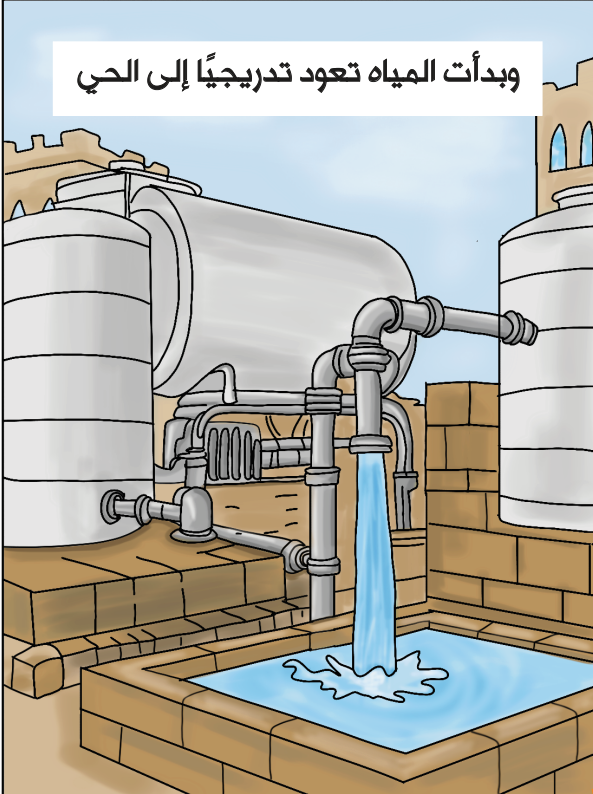
قدمن مطالب الحي بوضوح،
وشاركن في الاجتماعات لحل الأزمة



وسعين إلى الحوار من أجل
التخلص من أزمة المياه



وبدأت المياه تعود تدريجيًا إلى الحي



فتم إصلاح الشبكة المتضررة، وتنظيف الخزان
العام، ومتابعة جهود الجهات المعنية حتى تم
وضع حلول مناسبة



وشكروا النساء على مبادرتهن،
وصبرهن، وإصرارهن



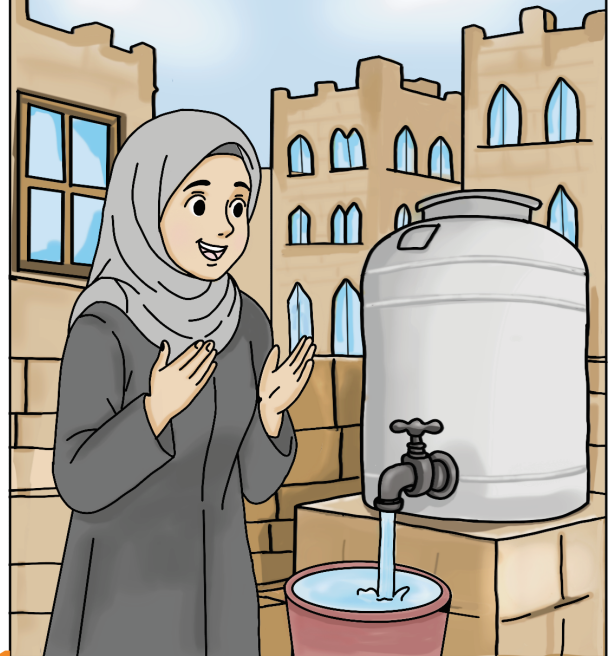
شعر أهل الحي بسعادة لتخلصهم
من طوابير المياه الطويلة



أثبتت أم محمد أن المعاناة قد تتحول
إلى عمل يبعث الخير والسلام



شعرت أم محمد بالسعادة لعودة مشروع
المياه إلى منزلها وحمدت الله كثيرًا



وادي وصحراء حضرموت نموذج راسخ للتضامن والتعايش السلمي

نافع عامر الجابري

يشكل وادي وصحراء حضرموت نموذجاً إنسانياً للتضامن والتعايش السلمي، حيث يتجلى التعاون بين الناس في مختلف الظروف، ولا سيما أثناء الأزمات والكوارث، فيتحرك المجتمع تلقائياً لتقديم المساندة دون انتظار تدخل رسمي. لقد أسس المجتمع الحضرمي عبر قرون طويلة ثقافة قائمة على الاعتماد المتبادل والتكاتف الاجتماعي، مما مكّنه من الصمود وحماية أفرادهِ في أحلك الظروف. وتجسد هذه التجربة أبرز القيم الإنسانية في اليمن، إذ تُظهر التكاتف والتعايش كسلوك يومي متجذر في الحياة الاجتماعية. وقد تشكّل هذا النموذج عبر التفاعل المستمر في بيئة صحراوية وزراعية صعبة، فرضت على الجميع التعاون والتكامل في إدارة الموارد الطبيعية ومواجهة تقلبات الطبيعة، فترسخت قيم عميقة جعلت المجتمع الحضرمي مثلاً للصمود والتماسك في مواجهة التحديات الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية. ويبرز هذا النموذج بوضوح في مدينة شبام التاريخية، التي تُعد رمزاً حضارياً وإنسانياً في وادي حضرموت. تعكس بيوتها الطينية المتلاصقة فلسفة اجتماعية قائمة على التقارب والتكافل، إذ لم يكن القرب المكاني بين البيوت مجرد هندسة عمرانية، بل تعبيراً عن وعي جماعي يرى في الجوار قيمة إنسانية عليا، وفي التعاون ضرورة حياتية لا غنى عنها. وقد شكلت هذه البيوت نسيجاً اجتماعياً متكاملًا، تتداخل فيه العلاقات اليومية وتتقاسم فيه الأسر المسؤوليات والواجبات، وتتقاطع المصالح في إطار من الاحترام المتبادل وحمل المسؤولية والعمل المشترك، وهو ما يبرز مدى تجذر قيم التضامن والتعايش السلمي في المجتمع الحضرمي عبر القرون.

ويجسد المجتمع الحضرمي قيم التضامن والتكافل في سلوكه اليومي، مستنداً إلى التعاليم الدينية التي تحث على الإحسان إلى الجار وصلة الرحم والتعاون على البر. فقد جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم "إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك"، وهو ما يدل على أنّ المشاركة والتكافل ليست مجرد شعارات، بل أصل من أصول الحياة الاجتماعية، حيث يُقدّم البعد الإنساني في العلاقات على المصالح الضيقة.

ومن أبرز المحطات التي أكدت هذا التلاحم ما شهدته حضرموت عام 2008 من سيول

مدمرة، ألحقت أضرارًا واسعة بالمنازل والمزارع والبنية التحتية، وعزلت بعض المناطق عن محيطها. في تلك الظروف الاستثنائية، لم ينتظر الناس توجيهات رسمية، بل انطلقت مبادرات شبابية وأهلية لعمليات الإنقاذ، حيث فتح الأهالي بيوتهم ومدارسهم لإيواء المتضررين، وقدموا الطعام والملابس والمياه. كما ساهم التجار وأصحاب المزارع بالدعم بما يستطيعون. وكان التضامن الاجتماعي عاملاً حاسماً في حماية الأرواح وتقليل حجم الخسائر، كما عزز الثقة بين أفراد المجتمع وترك أثراً في ترسيخ الشعور بالمصير المشترك.

تكررت صور التكافل الاجتماعي في أعوام لاحقة، خاصة عند انقطاع الطرق بين الساحل والوادي بسبب السيول، لا سيما في المناطق التي تتعرض لجريان الأودية. فقد تشكلت فرق أهلية لمساندة العالقين، وتقديم الطعام والشراب، ونقل المرضى إلى أماكن آمنة، كما تم تسخير وسائل النقل الخاصة لخدمة الناس دون مقابل. وقف الشباب صفًا واحدًا لخدمة المجتمع دون تمييز بين منطقة وأخرى، وهذا عمل على تأكيد أن التضامن في حضرموت ثقافة راسخة متجذرة في الوعي الجمعي، تنتقل من جيل إلى جيل، وتشكل جزءاً أساسياً من النسيج الاجتماعي للمنطقة.

كما أسهمت العادات والتقاليد الاجتماعية في وادي وصحراء حضرموت في ترسيخ مفاهيم التعايش السلمي، من خلال منظومة عرفية تقوم على حل النزاعات بالحوار والوساطة الاجتماعية. يلعب العقلاء ووجهاء المجتمع دوراً أساسياً في احتواء الخلافات ومنع تفاقمها والحفاظ على السلم الأهلي، لا سيما في القضايا القبلية، حيث يتم إصلاح ذات البين قبل اتساع دائرة الخلاف. ويضع الجميع مصلحة الجماعة فوق المصالح الفردية، ما يجعل الاستقرار الاجتماعي نتيجة واعي جماعي بأهمية السلام الداخلي والحفاظ على وحدة الصف.

ويعد العمل التعاوني في المجالات الزراعية والاقتصادية صورة أخرى من صور التكاتف في وادي وصحراء حضرموت. يعتمد سكان الوادي والصحراء على ممارسات جماعية في استصلاح الأراضي، وتنظيف قنوات الري، وتقاسم المياه وفق أعراف متوارثة تحقق العدالة بين المزارعين. وعند نزول السيول، يتعاون الجميع في تنظيم توزيع المياه بما يضمن المصلحة العامة ويمنع النزاعات، وهو ما يعكس إدراكاً عميقاً بأهمية الشراكة والتكامل بدل التنافس والصراع. وقد أسهمت هذه الممارسات في تعزيز الأمن الغذائي المحلي، وتقوية الروابط بين الأسر، وترسيخ مفهوم المسؤولية المشتركة تجاه الأرض والإنسان.

كما لعبت المساجد دوراً محورياً في نشر الوعي بقيم العدل، ونبذ الظلم، والتحذير من أكل الحقوق، والدعوة إلى احترام الآخرين، والتسامح، وقبول الاختلاف، استناداً إلى

قوله تعالى في القرآن الكريم: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ" وقوله تعالى: "وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين"، فكانت مساجد حضرموت عبر التاريخ منابر إصلاح وتوجيه تغرس في النفوس معاني الرحمة والتراحم وتذكر الناس بواجباتهم تجاه مجتمعهم وتسهم في بناء وعي أخلاقي يعزز الاستقرار ويحد من النزاعات. وتؤكد الأمثال الشعبية الحضرمية هذا المعنى مثل قولهم في الشدة يُعرف الأخ ويقال تعرف صديقك وقت الضيق وهي أمثال متداولة تعبر عن طبيعة المجتمع الذي يرى في التضامن قيمة متوارثة تنتقل من جيل إلى جيل، وتؤكد أنّ المواقف الصعبة هي المحك الحقيقي للعلاقات الإنسانية. ومن خلال هذه الثقافة تحولت الأزمات إلى قوة دافعة لتعزيز التماسك بدلاً من أن تكون سبباً في التفكك.

يجسد نموذج التضامن والتعايش في وادي وصحراء حضرموت مبادئ اليونسكو في اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي لعام 2003، التي تؤكد أهمية الممارسات الاجتماعية والعادات والتقاليد وأشكال التضامن كعناصر أساسية لحماية الهوية الثقافية، وتعزيز السلم المجتمعي والتنمية المستدامة. ويظهر هذا النموذج عملياً من خلال الممارسة اليومية والعمل الجماعي، حيث يحافظ المجتمع على القيم الموروثة ويطبقها في الحياة اليومية. ومن خلال هذا التطبيق العملي، يصبح وادي وصحراء حضرموت مثالاً حياً على كيف يمكن للتراث الاجتماعي والثقافي أن يساهم في تعزيز التماسك الاجتماعي وحماية الهوية الثقافية في مواجهة التحديات المعاصرة.

ورغم قوة هذا النموذج فإنّ قيم التكاتف والتعايش السلمي تواجه تحديات متزايدة في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، وتسارع أنماط الحياة الحديثة مما يستدعي دعماً أكبر للعمل التطوعي وتعزيزاً لثقافة المشاركة المجتمعية، وتوثيقاً للتجارب الناجحة في مجالات الإصلاح الاجتماعي والتكافل ونقلها إلى الأجيال القادمة عبر التعليم والإعلام حتى تظل هذه القيم حية ومتجددة وقادرة على التكيف مع المتغيرات.

وفي الختام، يقدم وادي وصحراء حضرموت نموذجاً واضحاً يؤكد أنّ قوة المجتمعات تُقاس بصلابة القيم التي تحكم سلوك أفرادها قبل وفرة الموارد أو الإمكانات المادية. فابتداءً من بيوت شبام المتلاصقة وصولاً إلى مواقف التضامن أثناء السيول، تتجلى الحقيقة أنّ التكاتف المجتمعي في حضرموت ضرورة وجودية، وهو مفتاح للاستقرار والتنمية المستدامة. وتبعاً لذلك، يرسل هذا النموذج رسالة واضحة بأنّ بناء السلام يبدأ من داخل المجتمع، وأنّ الاستثمار الحقيقي يكمن في الإنسان وقيمه وأخلاقه.



لينا السقاف

أوفياء

منهاتن الصحراء



2026

نعم أكثر من
أي وقت
مضى

هل أنت مستعد يا
سعيد لاختبار
الرياضيات اليوم

الحمد لله لقد
انتهت
الاختبارات

ما رأيك نحتفل
اليوم؟



اجتياح السيل للمدينة

تمسك جيدًا



النجدة!
أنقذني يا
سليمان

يا إلهي إن
الماء يتدفق
من كل مكان



أهل المدينة يساعدون بعضهم البعض في هذه الكارثة

يا إلهي لقد
خسرت كل
شيء

بسرعة، إن
الماء يجتاح
السوق من كل
مكان



لا تقلق يا عم
سوف
نسألك

الحمد لله لقد
أنقذناه وهو
بخير الآن

أمسك
بيدي يا
سعيد



تكاثف أهل المدينة

لقد تضرر
الكثير من
الناس في
هذه الكارثة

سوف
نساعدكم
جميعاً

الشكر أيضاً
لرجال
مدينتنا
الشجعان

شكراً جزيلاً
لك يا سليمان
لن أنسى لك
هذا.



سنعيدها
جميلة مثل
ما كانت

سوف
نرممها
من جديد



عودة الحياة الى المدينة من جديد

وأخيرًا
عدنا نلعب
من جديد

يبدو أن لعب
الكرة أصبح
ممتعًا بعد
المطر.



بل في تعاون
وتكاتف أهلها
الطيبين الأوفياء

جمال مدينتنا
شباب لا يكمن في
عمرانها فقط!



